الكونت دى مونت شفيقه







مجموعة قصصية

جائزة أفضل مجموعة قصصية لعام2012-2013 من اتحاد كتاب مصر

د. نهاد إبراهيم

دار العلوم للنشر والتوزيع

مجموعة قصصية

الكونت دى مونت شفيقه

الطبعة الثانية

د. نهاد إبراهيم

٢٠١٨

جائزة أفضل مجموعة قصصية ٢٠١٢/٢٠١٣ من اتحاد كتاب مصر

دار العلوم
للنشر والتوزيع

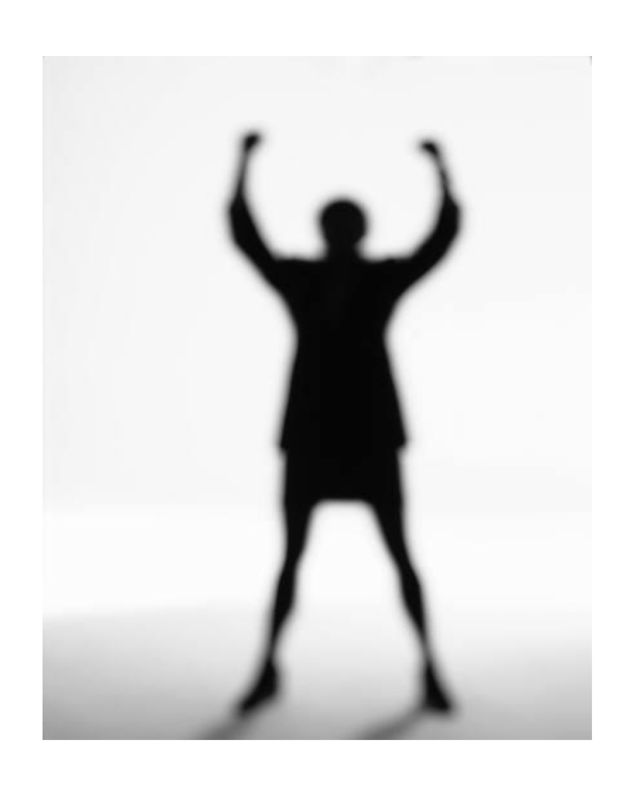
مجموعة قصصية : الكونت دى مونت شفيقة
المؤلف : د. نهاد إبراهيم
الطبعة الثانية : يناير ٢٠١٨

التنسيق الداخلي : رفعت حسن سيد
دار العلوم للنشر والتوزيع
ص. ب : ٢٠٢ محمد فريد ١١٥١٨
هاتف : ٠١١٤٤٧٦٤٠٠٠
الموقع الإلكتروني : www.dareloloom.com
البريد الإلكتروني : daralaloom@hotmail.com
Facebook.com/dareloloom
Twiter : @dareloloom

دار العلوم للنشر والتوزيع

رقم الإيداع : ٢٨٧٤١/ ٢٠١٧
الترقيم الدولى : ٥-٥٤٢-٣٨٠-٩٧٧-٩٧٨

للتسامح
رائحة نفاااااااااذة
لا يعرفها
إلا
القليلون!!!



٤ × ٦

لم تكن يومًا مثل غيرها من بنات حواء..

يبدو أنها كانت ابنتها المفضلة، أو ربما لم تنجب حواء غيرها..

لو وقفت الدنيا ذات يوم تنظر فى مرآتها، تبحث بين دفاترها عن وردة تزين بها شعرها المنسدل، فلن تجد غيرها تليق بمقامها الرفيع..

هكذا كانت أمها تقولها لها دائما. لم تكن أمها وحدها بل كـــل أقاربهـــا وأصحابها وطوابير عشاقها، وزوجها الوحيد الذى اختارته وحده لتمنحـــه نفسها لأنه كان يستحقها. ليست مبالغة ولا يوجد ما يدعو للكذب والنفـــاق، ولماذا الكذب وهذه هى الحقيقة التى تعرفها هى عن نفسها وتصدقها..

كان هذا منذ زمن بعيد. منذ وفاة زوجها المفاجىء لم تعد تنظـــر فـــى المرآة. لم تتجاهلها كلها تماما، لكنها تتعامل معها الآن كعامـــل الكلاكيـــت الذى يحفظ مهمته جيدا ويؤديها كالآلة..< مشهد كذا.. أول مرة>. أما هى فتتطلع إلى المرآة الصغيرة وهى تقف بعيدا بحكم العادة وتقول فى نفسها.. < مشهد كذا.. أول وآخر مرة>.

ماذا كانت ترى فى هذه اللحظة الخاطفة؟ لا أحد يعرف.. ولا هى أيضًا كانت تعرف.. كل ما تعرفه أنها كلما اشتاقت إلى نفسها، تأخذها روحها من يدها إلى ألبوم الذكريات تقلِّب صفحاته وتتقلب هى بين يديـــه. عائلتهـــا.. زوجها.. ابنها الوحيد الذى سافر إلى الغرب ليستكمل دراسته العليا هناك. يقسِّم وقته بالكاد بين الدراسة والعمل، ولا تسعفه ظروفـــه لزيارتهـــا منـــذ عامين..

<وحشتنى جدا>..

كلمتان اثنتان لا تغيرهما كلما شاهدت تهافت روحها إلى صفحة ألبومها أو على صفحة قلبها.

بعد شهرين سيحصل ابنها على شهادة الدكتوراه هناك.

<- أمى الحبيبة والوحيدة..

من كل قلبى أتمنى حضورك لتقفى بجانبى وأنا أتسلم شهادتى. وجودك هو وجودى. السعادة بلا شريك هى قمة التعاسة.>

ورطة ما بعدها ورطة.. فهى لم تجدد جواز السفر الذى انتهت صلاحيته منذ آخر مرة سافرت فيها مع زوجها؛ منذ خمسة عشر عامًا. فى ذلك الوقت كان عمرها خمسة وثلاثين عامًا بالتمام والكمال. نعم.. فقد تزوجت فى عمر مبكر قبل أن تكمل عامها الثانى والعشرين. لكن إذا كانت لا تجرؤ على النظر إلى نفسها فى المرآة، كيف تتحمل أن تذهب إلى المصوراتى ليلتقط لها صورة حديثة وهى فى أوائل الخمسينيات؟!! مشكلة سخيفة حسمتها هى منذ زمن بعيد.. فى المناسبات العائلية ذات الكاميرات المتلصصة إما تعتذر عن التصوير لأن الفلاش يتعب عينيها، أو تعتذر عن المناسبة من الأصل هربا من حصار كاميرات الفيديو. بطاقة عضوية النادى.. اعتادوا هناك على تكرار طبع صورتها القديمة، لم يعد أحد يهتم بسؤالها ولا أحد يجرؤ على إزعاجها أبدا. أصدقاؤها.. قليلون جدًا وغالبًا ما تكتفى بالتليفونات التلغرافية. بطاقة الرقم القومى الجديدة.. عندما يقررون عدم صلاحية البطاقة القديمة نهائيًا، ستجد حلا بالتأكيد لهذه المسألة التى ستحدث بعد عدة شهور أو سنوات؛ فتدابير الله لن يجف بئرها يومًا..

لم تتغير هى كثيرا.. من قال إنها فقدت جمالها؟!! مستحيل.. جمال روحها لا يشيخ أبدا. لم تكره أحدا طوال عمرها، ملكة فى نفسها لكن بدون أن تتعامل مع غيرها على أنهم الرعية المتدنية. طوابير معجبيها وعشاقها زادت أكثر بعد الزواج، وتنوعت نوعية الإلحاح عليها بشكل ما بعد فراق حبيبها. قلبها قطرة ندى ولد فى هذه الدنيا ليحيى كل من حوله. كانت ومازالت أيام الدنيا سعيدة بوجودها، إنها تؤنس وحشتها وتشعرها أنها بخير، فكافأتها أيام الدنيا بلطشة فرشاة خفيفة تحت عينيها فقط لتتذكرها، دون أن تمد أظافرها الطويلة وتخطط الوجنتين وتتحل أعواد الرقبة. تريد الدنيا الاحتفاظ بها جميلة، فتركتها إلى حال سبيلها بأدب ولم تمارس معها شقاوتها، ولا شطحات جنون الفن السريالى الذى تمارسه على الوجوه والأجساد. أما هى فلم تسامح الدنيا أبدًا على اختطافها زوجها منها فى عز شبابه.. فى عز حبه لها وحبها له..

خاصمتها عندما خاصمت روحها وفضت يدها من اللعب معها. لم تتحمل هى فكرة انفلات الزمن أمام عينيها، فقررت أن تجمده هى بمعرفتها. لن تكون أبدًا فى موقف رد الفعل المهزوم مرة أخرى.

<– أمى الحبيبة والوحيدة..

أريد أن أقدم إلى العالم نفرتيتى جميلة الجميلات، وأخرج لسانى أغيظ خطيبتى الأجنبية الشقراء. تصورى قالت لى يومًا إننى لن أجد فى الدنيا أحلى منها، وهى لا تدرى أننى أعيش مع المادة الخام للحلاوة نفسها.

أرجوك يا أمى..

ابنك الوحيد>

< لم يذكر هو أية نفرتيتى يقصد، قبل الحادث أم بعده؟!!>

أربع ساعات ويزيد وقفتهم هى متسمرة أمام محل المصوراتى، وهى لا تدرى أبدًا ماذا تفعل؟!! أشكال وألوان يدخلون ويخرجـــون وهـــى تقـــف كالمانيكان الهاربة من وراء زجاج الفاترينة. قمة فى الأناقة والجمال، آه لو انتبهت إلى كم المعاكسات التى تنهال عليها من المارين وعـــابرى الســـبيل لغيرت رأيها على الفور. لكن مشكلة المانيكان أن كل الناس تراها وهى لا ترى نفسها!

أخذت بعضها وذهبت. ذهبت دون أن تدخل المحل. فكرت أن تختـــرع حلا بديلا ربما يكون منقذها من الغرق. ذهبت إلـــى موظـــف الجـــوازات المختص وقدمت له كل الأوراق. اصطحبت معها صورة كبيرة لها وحدها، استعارتها من البرواز المتوسط بجانب فراشها الفارغ وطبعت منها نسخة.

وصل الموظف الدقيق إلى الصورة وأطال النظر إليها. نســـى نفســـه ووقته وصمت تماما وكأن القطة ابتلعت لسانه. سكت.. فســـكتت. أخيـــرًا أعادت له القطة لسانه ونطق جملة واحدة..

<- المطلوب صورة جديدة ٤ × ٦

- لكن هذه أكبر وأفضل..

- المطلوب ٣ صور جديدة ٤ × ٦>

أيام مضت وعادت لتقدم إليه نسخة من صورة زفافها الضـــخمة مـــع زوجها يوم كانت فى قمة أنوثتها.

<- قص منها ما تشاء..>

هذه المرة قطتان كبيرتان ابتلعتا كل لسان الأخ الموظف وتوابعه.. وبعد زوال الصدمة الغادرة ثبّت الرجل العجوز نظره عليها طويلا، وقال لها بصبر منهك..

<- المطلوب صورة جديدة ٤ × ٦

- يا حضرة..

- ٤ × ٦!<

أسبوعان وعادت إليه تحمل ألبوم الصور كله كى يختار بنفسه ما يشاء، حتى ترضى الحكومة عنها وتستخرج لها جواز السفر..

هذه المرة حديقة القطط كلها ابتلعت فمه هو وكل زملائه الموظفين، الذين تجمهروا من حوله فى مظاهرة سلمية صامتة، وزادت تفاعلاتهم مع الموقف بوضوح عندما جاء الدور على صفحات صور البلاج الساخنة..

شخصيا استضافها المدير فى مكتبه! حواديت ومحاولات ملاطفة فى الطريق ثم ختم على أحلامها بالشمع الأحمر..

<- يا هانم.. المطلوب صورة جديدة ٤ × ٦!!!!!!!!!!!!!!!!!!<

جلست هى فى الحديقة المفتوحة أسفل مُجمّع التحرير، تتأمل ما يحدث لها وقد أعيتها الحيل الفاشلة.. تحت لهيب شمس القاهرة الحارقة تركت عينيها فى اتجاه واحد وقتا طويلا دون أن تشعر. أفاقت فجأة على رائحة غريبة بداخلها، فوجدت رجلا.. يشبه زوجها.. يبعث إليها بابتسامة تحمل دعوة كريمة للأمان. هل كان يجلس بجانبها منذ زمن؟؟ كل ما تعرفه أن نسمة هواء باردة لمست روحها فجأة ورطبتها..

عدة أيام وكانت تأخذ دورها فى الطابور لتتسلم جواز سفرها الجديـــد. لسبب ما تلفتت برأسها وهى تجلس على نفس المقعد فى الحديقة المفتوحة. نفس الرجل يرسل إليها ابتسامته التى تفتح لها يديها الطيبة.

كلاكيت ثانى مرة.. منذ سنوات بعيدة لم تتوقف هى أمام نفس المشـــهد مرتين.

تركته وذهبت لتستعد..

من خلفها كان الرجل مازال يرسل ابتسامته للفتاة التى كانـــت تجلـــس خلفها فى المرتين..

<- ابنى الوحيد..

انتظرنى..

إمضاء: نفرتيتى>

الباب الأحمر

بيتنا مشهور جدااا..

بالحب، بالتفاهم، بالضحك المستمر عمّال على بطّال..

من المغفل الذى قال <الضحك من غير سبب.. قلة أدب؟!!>

فى رأى عائلتى أن الضحك بسبب وبدون هو الترسانة الإنسانية النووية السلمية ضد كل أمراض الزمن الهينة والمستعصية، بما فيها أنفلونزا الطيور والخنازير وما يستجد..

شهرة بيتنا لها قصة طويلة. مجد الأمم ثمنه غال جدًا!

غريبة جدًا.. خطيبى الغريب يؤيد فلسفة عائلتى ألف بالمائة وكأنه متربى معنا، وأنا.. أنا أضحك أيضا.. لكنى لا أؤيدهم إلى هذه الدرجة المذهلة، شىء من الضحك لا يضر لكن لابد من سبب..

قال لى يوما.. <- ماذا نفعل بالحياة إذا لم نضحك فيها ولها ومنها وبها؟>

قلت له فى نفس اليوم.. <الضحك من غير سبب قلة أدب!>

كنا خطيبين من النوع اللطيف.. بمعنى أننا لا نحاول مضايقة بعضنا من ناحية دقة المواعيد ونوعية الملابس وأذواق ألوانها وتحف موديلاتها، لا نحاول خلق سخافة وهمية من خلال التعليق على طريقة استخدام الشوكة والسكينة، وكل هذه التفصيلات الرفيعة التى تجلب آلاف المشاكل بين الخطيبين. لكنها لا تجرؤ أبدًا على رفع رأسها لتخلق ملليمترا واحدا من هذه المنغصات السمجة بين الحبيبين.. كل ما أعرفه أننى أحب حبيبى على

كل الوجوه. من حسن الحظ أنه يحمل قلب عصفورة رقيقة يهيج جناحها الصغير لحزنى، تغنى وتدعو من قلبها بالسعادة للحياة كلها، حتى للسحاب فى وسط السماء دون سابق معرفة.

التقينا، تفاهمنا، اعترفنا، انطلقنا وارتبطنا رسميًا فى لمح البصر. يوم عقد القران طلب المأذون منديلا أبيض اللون كالمعتاد. ناوله حبيبى منديل والده. اعترض المأذون وقال له..

<– أريد منديلك أنت. أكيد سيكون أكثر بياضا بلون قلبك.>

حتى الغريب اشتم رائحة نقاءه من أول نظرة..

الحق يقال إننى لا أقل أبدًا طيبة عن حبيبى. قلبى حقيبة سفر ولدت مفتوحة.. الكل يلقى فيها أدق متعلقاته بمنتهى هدوء البال. لم أضع يومًا قفلاً عليها، لم أحتفظ بنسخة واحدة من المفتاح فى جيب سحرى. ماذا سأفعل بها وحدى؟! ما جدوى حقيبة سفر فارغة؟!! لم أسمح لنفسى يومًا بالركنة فوق رف دولاب أو تحت الفراش مهجورة بلا ونيس أو جليس..

كنت ومازلت أنا أحب كل ما يحبه حبيبى. كان ومازال هو يحب كل ما أحبه، إلا مأزق خطير لم نجد له حلا أبدا! فحبيبى يذوب عشقًا فى اللون الأبيض. معه يصبح طبقتين سميكتين من أرق ملاك لم يسمع به أحد.. من أجمل نغمة يعزفها أوركسترا الحب السيمفونى بقيادة كيوبيد المنجلى! أما أنا فأمقت هذا اللون الأبيض كمقت ابن آدم للشيطان الرجيم.. فهو مساحة عديمة الشخصية عمرها قصير، وأنا أكره العمر القصير. من صغرى لا أعرف نفسى إلا وأنا أنتشى وأرتجف وأتجلى وأصهلل فى أجمل حالاتى عندما تلتقط عيونى الجميلة أى ظل خط من اللون الأحمر النارى.. يا سلام لو تنازلت كل حقول الدنيا عن خضارها واكتسى وجهها بحمرة

الخجل الدائم.. يا سلام لو صنعوا سلالم لكل رسامى الدنيا وصعدوا جماعة ليزينوا جسد السحاب الأبيض الشاحب بباليته حمراء متوهجة... يا سلام لو وقف كل مصممى الملابس فى العالم على خط واحد من أقصى الكرة الأرضية إلى أقصاها وألبسوها بلوفر تريكو كاروهات أحمر × أحمر... يا سلام لو...

لكن حبيبى كان يقشعر من اللون الأحمر، يتلوى أمامه كما يفرفر الطفل الصغير من وخز الحقن فى أسفل ظهره..

أدركنا معا هذا المأزق المخيف فى أول مناسبة تبادلنا فيها الهدايا بعد الخطوبة.. أوكى.. مسألة أذواق. لكن ماذا فى اختيار لون الأثاث والحائط فى شقتنا؟!! هنا وقع المحظور.. هو يريدها عصير قطن أبيض يقطر بياضا منقوعا فى بياض شاهق، وأنا أريدها لهاليب جهنم حمراء لا أمل فى هدايتها أبدا.. مع ذلك وبعدما شربنا فدادين من عصير الليمون لتروق أعصابنا، لم نصل إلى نتيجة أبدا. وفى ليلة رأس السنة أهدانا بابا نويل الحل من عنده، وهو يتمخطر أمامنا بثيابه الحمراء وذقنه البيضاء. فاتفقنا أنا وحبيبى على اقتسام كل شىء. نصف أبيض ونصف أحمر. وكل واحد حر فى رؤية النصف الذى يجد نفسه فيه..

مرت المسألة بسلام وأمان فى كل شىء إلى أن وصلنا إلى باب الشقة.. كانت لحظة من أصعب لحظات حياتنا. حبنا العظيم يتعرض لاختبار أعظم. مع باب الشقة لا يوجد اختيار.. إما أبيض وإما أحمر!

هل أرضى حبيبى وأخسر نفسى؟؟؟؟؟؟؟؟؟؟؟؟؟؟؟؟؟؟؟؟؟؟؟؟؟؟؟؟؟؟؟؟؟؟؟؟؟؟

هل يرضينى حبيبى ويكره الباب وكل ما وراء الباب!!!!!!!!!!!!!!!!!!!!

شهور طويلة والزواج معطل ومتجمد محلك سر. لا أحـــد منـــا يريـــد التنازل أبدا. هناك أمور مع خالص الأسف لا تقبل القسمة على اثنين..

مناقشات، عناد، غضب، تهديدات، خصام ولا حياة لمن تنادى..

كاد الشوق يحرقنا..

شحوب، عزلة، أمراض، أدوية، اكتئاب، محاولات انتحار..

المسألة خطيرة..

يوما ما قصد أصحابى إبلاغى أن فتاة تموت فى اللون الأبيض تتـــردد بانتظام على حبيبى الوحيد.. قفزت من تحت اللحاف الأحمر وذهبت إليه.. وأخيرا اتفقنا.. أخيرًا تزوجنا!

بيتنا مشهور جدااااااااااااااااااااااااا

كل من يزورنا سيجد باب الشقة غارقا فى اللون الأبـــيض المخيـــف، وسيجد أيضًا لافتة منيرة معلقة علـــى قمتـــه مكتـــوب عليهـــا.. <البـــاب الأحمر>..

كلما فتحنا الباب ضحكنا وقهقهنا بصوت يجلجل على نغمات الحـــب.. من يومها فهمت أنا أن <الضحك من غير سبب مش كله قلة أدب!>

عبقرينو زمانه

طوال طفولتى السعيدة أسمعهم يقولون عنى بمنتهى الحب..

< محظوظة جدًا!>

كلما تمطر السماء فوق رأسى رزقا بلا حساب، كلما أقرأ فى عيـــونهم منتهى الغل الأزرق الممتزج بالأسود الداكن وهم يبرطمون..

< بنت المحظوظة!!>

أول أيامى فى الدنيا توافق مع يوم انتصار بورســـعيد فـــى العــدوان الثلاثى.

ثانى أيامى حصل والدى على ترقية استثنائية فى العمــل لا يســـتحقها وبدون أى مناسبة.

ثالث أيامى نجح شقيقى الكبير فى الامتحان من أول مرة علـــى غيــر العادة، بعدما طبّق نظام الاحتراف على برشام الغِش وتجاوز مرحلة هواية العيال.

رابع أيامى بللت السماء أسفلت الشارع فى عز شهور الصيف، وبفعــل العاصفة الترابية قبلها انقلبت الدنيا بركا من الأوحال العامرة بكل مـــا لـــذ وطاب.

خامس أيامى تزوجت خالتى شفيقه بعد طول عنوســـة مـــن أى رجــل يرتدى بنطلون، قبل أمتار قليلة جدًا من انتهاء تاريخ صلاحيتها.

سادس أيامى ضحكت أمى ضحكة من اليمين إلى اليسار وكـــان حـــدثا عظيما، فالست والدتى تعشق النكد كعينيها وتؤرخ به أيامها ولياليها.

وفى سابع أيامى رزق الله عمى بابنه الوحيد بعـــد ســـنوات صـــحراء جرداء، أطلق عليه اسما عجيبًا حتى يعيش؛ وهذا من منتهى حسن حظـــى المُبخت..

أرزاق فى أرزاق. كل حياتى أرزاق. خيرات لا ذنب لى فيها، لكنهـــا التصقت بوجهى الجميل وقدمى التى تجرجر معها البشـــر والســـعد أينمـــا حلت. أفلحت دعوات أمى فى صد كل عيون الحسود الواسعة الموجهة عبر صواريخ مضادة عن جدارة واستحقاق..

أفلحت بنجاح ساحق حتى ثلاثين عامًا مضت. أى أنها كانـــت تفلـــح. و"كان" فعل ماض لم يعد له وجود ولا معنى منذ تزوجت ابن عمى الفظيع المريع المدعو "عبقرى".. اسمه كدا "عبقرى"!!!

والحق يقال.. أشهد وأحلف بالله العظيم أنه بالفعل اسم علـــى مســـمى "عبقرى ابن عبقرى". من فرط قدراته العقلية الفتاكة، من هيلمـــان نفـــوذه الفكرى الجبار، هدَتنى بنات أفكارى بصفتى ضليعة فى اللغة العربية التـــى أقوم بتدريسها، لاختراع صيغة مبالغة مجلجلة لتوصيف هذا المخلوق مثل كارت تعريف الكمبيوتر. من أعلى قمة برج غيظى وآخر صبرى وقفـــت وصرخت وأطلقت عليه من كل قلبى لقب "عبقرينو"..

و"عبقرينو" يا أعزائى من الرجال والمدامات كلمة عربية مستحدثة تأتى أحيانًا تقريبًا على وزن "مجانينو"، وأحيانا أخرى على مقـــاس "برســـيمو". ومن باب الأمانة الإبداعية أعلن أننى اقتبستها رأسا من قصص "ميكـــى"، التى أعتبرها تسليتى الوحيدة فى خيبتـــى الثقيلـــة خصوصـــا مغـــامرات

مخترعها العجيب "عبقرينو". لكن بطلى أنا بنسخته المنزلية الحلزونية الكابوسية يختلف تمام الاختلاف عن بطل حكايات ميكى الطفولية الكوميدية الوردية.

ثلاثون عامًا وأنا أنبح صوتى وأهاتى وأزعق من بدروم قلبى الموجوع..

<- يا عبقرى.. لا تنسى تشترى الخضار فى أول يوم رمضان.>

ويكون جزائى حرمان الأسرة كلها من الإفطار والسحور أول يوم، ونتجه جميعا وقت آذان المغرب بالضبط إلى الدعوة على من كان السبب فى عذابنا الأزلى..

<- يا عبقور.. من فضلك لا تنسى إطفاء النور بعد نوم الجميع وأنت يعنى السهير الوحيد فى البيت.>

ويكون عقابى فاتورة كهرباء عبقرية تولول معها أوراق العشرات والعشرينات، وجواب شكر من وزارة الكهرباء على مساهماتنا الجليلة فى زيادة فائض ميزانيتها..

<- يا أبو العباقرة.. أبوس إيدك لا تنسى حجز المصيف من نقابتك، لأننى استقلت منذ سنوات طويلة بفضل مفعولك الجبار، حتى لا أفقد عيالى مع أبوهم العبقرى قبل الأوان.>

ويكون مصيرى قضاء ليالى الصيف السخيفة بطولها بين الأحضان المهلكة لشمس مدينة قنا بلدنا فى صعيد مصر، واستحالة علاج لون الجلد الذى تفحّم عن آخره. حتى كرهت الشمس.. والقمر.. والصيف.. والشتاء..

والحر.. والبرد... كرهت كل شيء ونقيضه.......... كرهت كل الدنيا وكرهت نفسى!!!!!!!!!

<- يا عبقرينو.. أبوس القدم والغنم على رأى أم كلثوم.. إياك تنسى موعد زواج ابنتنا، فأنت وكيلها لأنك – مع الأسف – والدها الوحيد.>

ويكون نصيبى أن أعيش لأسمع تهديدا بطلاق ابنتى من زوجها الأبله قبل أن يكتب كتابها، لأنه – على حد تعبيره – ناسب عائلة مفككة مستهترة تنتسب إلى شخص ما اسمه "عبقرى"..

هذه مجرد مقتطفات عشوائية جدًا من أوراق مذكرات والدتى التى انتحرت مكرهة باختيارها منذ أيام قليلة أو كثيرة.. عثرت عليها أنا فى درجها الوحيد. صممت أن أفتح الدرج بالمفتاح رغم أن القفل مكسور منذ سنوات.. لا يهم.. استدعيت النجار وأصلحت الدرج وتكلفت الشيء الفلانى مع أن ميزانية البيت لا تسمح، وبعد الإصلاح صممت أن أفتح الدرج بالمفتاح وأقرأ لوالدى الوحيد بعض السطور، لعله يراجع نفسه قبل زواجه الثانى.

وبما أن المهمة فشلت فشلا داكنا لأن والدى العبقرى لا يتذكر والدتى أصلاً، فقد قررت أن أنتحر أنا الأخرى دون أن أكتب مذكراتى، ومفتاح الدرج الذى انكسر قفله مرة أخرى مازال فى جيبى. اعترافات والدتى المحظوظة جدًا فيها الكفاية وزيادة.

إمضاء ابنتها الكبيرة المنتحرة متأخر جدًا "عبقرية بنت عبقرينو"..

قلم رصاص

قابلتها..

مصادفة بحتة؟؟ لو كان الأمر كذلك لقلت إنها مسألة تحدث كثيرًا. لكن مصادفة ثلاث مرات متوالية؟!! هذا ما يسمونه أهل السينما مصادفات قدرية بالإكراه ماركة "حسن الإمام"..

كأى إنسان طبيعى بدون ذيل.. كنت أمشى فى حالى فى شارع سليمان باشا.. فى عز شمس القاهرة المختنقة عن آخرها بهاموش الزحام كالعادة. ولماذا تنام المدينة وهى تعرف أن العمر قصير! أقصر من جرة قلم.. أقصر من رمشة عين.. من ينظر إلينا نحن سكان مدينة القاهرة يعتقد أننا ولدنا راقصى باليه بالفطرة.. بمنتهى التلقائية نعيش ونموت ونحن مهمومون جدًا بتوجيه حركة كتف واحد إلى أقصى اليمين أو أقصى اليسار بشكل مفاجىء، هكذا بكل مرونة ورشاقة وتواضع وتسامح، لنتفادى طوفان الهابطين علينا من كل الاتجاهات من سلالات بشر وسيارات وتراب، لم ولن ينتهى عمرهم الافتراضى أبدًا. الخلود هو الچين الوحيد الذى ورثناه بكل مهارة عن أجدادنا الفراعنة. نحن أبرع من يسجل أهدافا لا تنسى فى قلب الزمن..

<- المصريون فنانون بالفطرة، عظمتهم أنهم لا يشعرون بموهبتهم أبدًا.>

كلمات ألقاها صديقى الأجنبى فى وجه الهواء، وهو يجلس بجانبى على القهوة فى شارع سليمان باشا. أسدل هو الستار على كلماته من هنا، وبدأت مسرحيتى أنا من هنا.. فجأة رأيتها تسير أمامى. أنا خبير النساء

المحلى والدولى تعطلت كل مراوحى دفعة واحدة!!! لماذا أعجز عن وصفها؟ كيف أشتم رائحة شياط داخلى دون أن يكلف جرس الإنذار خاطره بالصياح والتصفيق؟؟ يا رب.. ماذا سيحدث لو تعطل جنزير عجلة الحياة وتجمد كل شىء فى ديب فريز الدنيا ولو ثوان معدودة؟؟؟

من طرف الرصيف الأيمن حتى طرف الرصيف الأيسر وكل وظيفتى فى الحياة متابعتها فى صمت مخيف. صمت أخافنى أنا شخصيًا. صواريخ إشعاع ذرية موجهة نشلت إنسانيتى من جيبى. هل أنا هذا الملاك الذى يُحلِّق بجناح واحد فوق رأسها حتى غادرت الرصيف واختفت؟! اللعنة على هذا الرصيف القصير.. هذا الأبله يحمل قلبا من الطوب لا يعرف قيمة الحياة أبدًا.. يتصور أن هذه اللحظات النادرة جدًا فى حياتنا تملأ ألبومات الصور وتفيض..

فارقت هى الشارع وفارقته أنا معها من داخلى. جسدى المتصلب تكفّل وحده بمهمة الاستماع إلى صديقى، أما روحى فقد ضاعت كما تضيع منى فاتورة الكهرباء دائمًا ولا أجدها أبدًا..

ثلاثون يومًا كاملة مروا. ليس لى مشاوير فى شارع سليمان باشا. سافر صديقى الأجنبى فشعرت ببرودة الحرية عندما تحتلها الوحدة القاتلة. ووقعت أنا وحدى بين فكى الأسد.. من ناحية سأموت على الذهاب إلى هناك، ومن ناحية أخرى مرعوب رعبا أزليًا من مجرد التفكير هناك.. بمنطق من يبحث عن عفريته من فرط خوفه جرجرتنى قدماى على نفس القهوة. فنجان.. فنجانان.. ثلاثة و... و...... أثناء حملقتى فى وجه القهوة للتفتيش عنها، فجأة أحسست بشعر رأسى يقف زنهارًا. تيار كهربائى كاسح كنسنى من مكانى.

هى!

نفس الرصيف.. نفس الاتجاه.. تأثير مضاعف كاد يقتلنى ليبعثنى مـــن جديد فى نسخة جديدة أدهشتنى جدًا. ملعون أبو على هذا الرصيف القصير! ألم تصله معلومة أن الأرض كروية فيعيدها إلىّ مرة أخـــرى؟! لمـــاذا لا تتحول ذرات هذا الرصيف الأحمق إلى بالون كبير يسير إلى أعلى حتـــى تظل هى أمام عينى على المدى؟ لماذا لا يستبدلون أسفلت الرصيف اللزج بورق سوليفان حنون يزحلق الناس إلى الوراء حتى لا يستكملوا طـــريقهم أبدًا؟؟ لماذا لا تستوقفها أحد البرامج التليفزيونية السخيفة ويعطلونها بأكوام أسئلتهم التافهة؟؟؟

سأقتل هذا الرصيف المتبلد!

بكل بطء قاتل جاء موعد ميلاد اليوم التالى.. مرت أمـــامى. وجـــدت نفسى أقفز لأسير وراءها. أول ثلاث خطوات كنت مشغولا بين متابعتهـــا وبين إخراج لسانى لهذا الرصيف المؤذى الذى أطـــأ عنقـــه الآن بقـــدمى الكبيرتين المنهكتين. انتهى الرصيف فتفرغت للمراقبة فقط. إلى أيـــن؟ لا أعرف. لماذا؟ إلى متى؟؟ لا أريد أن أعرف. من رصيف إلـــى رصـــيف تأكدت أنها تسير إلى ما لا نهاية بنفس القوة والجدية. غريبة.. كل الأرصفة تشبه بعضها وكأن أمهم لم تلد إلا قطيع تواءم مجمعة. لم تكن هى مجـــرد فتاة. أول مرة أجدنى أمشى وراء نفسى وليس أمامها.. بقدرة قادر وجـــدت نفسى فى شارع سليمان باشا مرة أخرى. دلنى قلمى الحبر الـــذى تركتـــه وحيدا على منضدة القهوة دون وداع على راية نقطة الانطلاق. يبـــدو أن الأرض كروية بحق.. قبل وصولى إلى نهاية الرصيف الملعـــون توقفـــت الفتاة فجأة.. فتوقفت أنا.. استدارت إلىّ.. فبحلقت فيها.. نظـــرات محـــددة

موجهة مصوبة إلى عيناى من نشانجى بريمو حرام عليــه أن يخطــىء.. الأرض من تحتى تحولت إلى خوازيق مدببة على طريقة كمــائن الهنــود الحمر فى الغابات. تصلبت مكانى كوتر كونترباص مشدود على آخــره.. قاموس كلماتى ابيضت صفحاته وعيناه تماما. بقايا ذاكرتى التــى تفتخــر بالزن فى رأسى تاهت بين الزحام وجنون الكلكسه. بللٌ غريب غارق فوق جبهتى يعيش حالة خصام كامل مع حلقى المجفف كشوكة صبّار الصحراء الشريرة..

التفتت..

استدارت...

مشت....

توقفت.....

<- إلى متى هذا الصمت؟!!>

- انخرست كل خبرات سنين عمرى..

- معك قلم؟؟>

مددت أصابعى المسحورة بقلم رصاص. أخرجت هى منديلاً ورقيــــاً وكتبت عليه شيئًا.

التفتت..

استدارت...

مشت...

لم تتوقف...

الرصيف الملعون انتهى وفارقتنى هى. فردت المنديل الورقى بين يدى بكل اشتياق وهلع كمن يحمل طفله الحلال لأول مرة.

حروف ضائعة.. أرقام مبتورة.. فوازير كلمات متقاطعة لا حل لها أبدًا..

ملعون أبو خاش هذا الرصيف القصير المتعجل دائما. ملعون أبو اللى جابوا غباء هذا القلم الرصاص عديم النظر. ملعون سنسفيلى أنا هذا العاشق المندهش العبيط..

شارع سليمان باشا..

مرات ومرات..

ليست هناك..

جرّبت كل باشوات ميادين وسط البلد من محمد فريد باشا إلى طلعت حرب باشا إلى مصطفى كامل باشا.

أيام وراء أيام..

ليست هناك..

استبدلت وردتى الحمراء المعلقة فى عروة الچاكتة بقلمى الرصاص المدلدل الرأس خجلا من ذنبه.

ليست هناك...

رائحتها محفورة فى قلبى بحبر خالد لا يصدأ.

الله يلعن أقلام الدنيا الجرداء وأرصفتها السَمِجَة وخوازيقها المتينة!

نقطة حبر أبيض..

يوما ما كنت أكتب قصصًا قصيرة. قصص جميلـــة. أمتعـــت النـــاس وأمتعتنى من قبلهم. صحيح أن نسبة القراءة فى بلادنا شيء مُحبط مخجـــل يدعو إلى الأسف الفظيع، لكنى على أى حال كنت أكتب. رغم كل شـــىء كنت أكتب. مهما حدث كنت أكتب.

فى العادة كنت أبحث عن مصدر إلهام.. عن شيطان مُبدع ميئوس من إيمانه. أى حكاية تحدث أمامى أو أسمع عنها أفتح لها كل أبراجى تلقائيًـــا. لعل وعسى تكون بطارية الشحن لقصتى الجديدة.

فى العادة الفنان مخلوق ينتمى إلى عباد الله الأندال.. جاحد بـــالفطرة.. خصوصًا الإخوة المؤلفين.. يتلهفون على أى شرارة تأتيهم من الســـماء أو الأرض أو البوتاجاز، يأخذون الشوارع ذهابًا وإيابًا بحثًا عن فكرة جديـــدة، يتنزهون فى غرفهم من اليسار إلى اليمين وبالعكس على أمـــل التقـــاط أى خيط وهمى يتدلى من أى مكان فى الكون، حتى لو كان حبل غسيل سايب عديم الأصل والفصـــل! يقـــرأون.. يشـــردون.. يتـــأملون.. يتخيلـــون.. يشطحون.. يتهورون.. يتجننون.. يسرحون وحدهم فى ملكوت الله الواسع. لا يرسلون ولا يستقبلون إلا من داخلهم. كل قنوات الدِش مركـــزة علـــى محطة واحدة. كل حياتهم مختزلة فى حلم واحد. حلم مد خط ســـكة حديـــد يصل بأفكارهم من الداخل إلى الخارج. إذا أحبهم الله تنحنى لحظة الكتابـــة أمامهم وتعافر للخروج إلى الحياة. إنها أسعد لحظة فى الوجود! إنها أتعس لحظة فى الوجود!

فى العادة لا أحب الكتابة عن كائنات مجردة. عنـــدما كتبـــت قصـــتى الشهيرة التى منحتها عنوان "حياة فستان"، فكرت فى اختيار أى واحد مـــن

دولاب ملابسى. ولماذا أشترى جديدًا؟ لابد أن يكون هناك عِشرة بينى وبين بطلى الفستان.. أفهمه ويفهمنى، أهد حيله ويحتملنى. فالتربية من الصفر مسألة شاقة جدًا تحتاج إلى عمر على عمر.. لم يكن الاختيار صعبًا على الإطلاق كما تخيل الغرباء عنى. فدولابى العزيز ولله الحمد لا يضم إلا فستانًا يتيمًا واحدًا! فقر دم.. فقر جيب.. فقر وقت.. المهم أننى توكلت على الله واستعرت فستانى دون أن أترك أية ضمانات. كعادة الأنثى بدأت بتدليل فستانى بالهمس واللمس.. أطلقت عليه أسماء عجيبة، صحيح ليس لها معنى لكنها أعجبتنى أنا وهذا يكفى. ثم إننى من نوع المؤلفين السخيف الذى لا يطيق أحد عشرته! أكره الملل كره العمى. أموت فى تغيير كل شىء بجنون حتى الفراش الذى أنام عليه. كل يوم وكل ساعة كنت أنادى فستانى وهو وحظه مع مزاجى.... " فيفى"، "سوسو"، "فيسو"، "سوفى"، "توفا"، "فانس"، "فسفس"..... إلى آخره. فستانى حبيبى.. وحيدى.. أكلمه فيكلمنى، أسأله فيجيبنى، أهجره فيغفر لى، أتوحشه فيدركنى، أفرده فيلملمنى، أغسله فيكوينى.. فستانى.. حبيبى.. وحيدى..

فى العادة تستمر عندى حالة الكتابة طالما كنت متوهجة. وأنا أتوهج فى حالة الاستمتاع بالصداقة القوية. الصداقة تنفخ فى نفسى حب الأمان. وحب الأمان يدفعنى فى ظهرى لأغامر. والمغامرة تلف كتفى كالشال حتى تقذف بى فى نعيم الجنون، فيأخذنى الجنون من يدى ويعيدنى مشكورًا إلى العقل. أتوقف عن الكتابة من باب الهدنة الحياتية حتى أعود لأفيض من جديد. إنها أسعد لحظة فى الوجود. إنها أتعس لحظة فى الوجود. نقطة حبر ممتلئة تسيل على جبين الدنيا بالفن والخير والجمال.

حانت لحظة النهاية المأساوية؟؟!!

انطفأت قنبلة الكتابة الموقوتة وأشار عدادها إلى الصفر، وظهر من وراءها وجه النذالة القبيح على أصوله.. بمنتهى الصراحة والقسوة غدرت

على صديقى الفستان، وهجرته مرة واحدة دون ذنب جنى.. مـــاذا أفعـــل بمُلهم مُستهلَك؟! كيف ألعب مع شيطان مُستعمَل؟!! وما ذنبى أنا إذا كانـــت فورة شمعته قد ابتلت وأصبح مثله مثل غيره. مجرد فستان وديع.. مثالى.. مكانه الطبيعى السجن على أكتاف شماعة حقيرة فى الدولاب. فليذهب مـــع الريح بغير رجعة. الحل الوحيد أن أضع على فمى شريطًا لاصقًا، أو أضع فى أذنيه فدادين من القطن الأبيض السميك فلا أكلمه ولا يكلمنى. المهم أن ألقيه بعيدا عنى، عن وجهى وعن تفكيرى. ندالة مشروعة لا يُعاقب عليها القانون! وأتذكر أننى فى لحظة نرفزة ما طردته من بيته ومزقته وتركتـــه دون تصليح. لم يعد ينفع معه أى تصليح. ومع ذلك لم أتخلص منه. ومـــع ذلك لم أره منذ هذا اليوم.

أحيانًا كنت أسمع صوت بكاء مكتوم فى الليل لا أعرف مصدره.

كما هى العادة عدت لأبحث عن كائن جديد أوقِّع معه عقد استعارة من طرف واحد، بشرط أن يكون متسامحا ويتقبل ندالة الفنان المعتادة.. بحثت طويلا.. طويييييييلا.. طويلالالالالالالا...

"حياة فستان" كانت أخر قصصى التى كتبتها.. منذ سنة؟ من ســـنتين؟؟ أوراق نتيجتى تقف على رأسها تستعصى على الزمن. صوت بكاء مــــازال يعذبنى فى أذنى. فستانى حزين. من وقتها تحولت أنا إلى نقطة حبر بيضاء لا تضر ولا تنفع.. حتى هذه السطور أدونها فى مذكراتى الخاصة. و لماذا تهم أى إنسان؟! فهى حكايتى أنا مع فستانى أنا. حكايتنا وحدنا!

كم كنت أتمنى أن يكون قلبه أطيب من قلبى ويسامحنى علـــى نـــدالتى الطبيعية المرشوقة فى كرات دمى المنتفخة أكثر من الــــلازم. فســـتانى.. حبيبى.. اشتقت إليك بكل عمرى.. سامحنى على ندالتى فأنا فنان أصيل..

نشارة خشب

ثلاث ساعات كاملة والنجار المأسوف على شبابه يصلح فى أحوال هذه المنضدة، التى انهارت واحدة من أقدامها فى زلزال خشبى عاصف مـدو مسجلا تسعة ريختر تسبب – الله لا يسامحه – فى إيقاظ جيراننا السـخفاء من نومهم لنحصد نصيبنا من أسافل الألفاظ المحرمة دوليا..

أعتقد أننى كأنثى جميلة أهتم بنفسى بدرجة سوبر لا أستغرق كل هـذا الوقت المهول فى استخدام أدوات ماكياجى التى لا أذكـر عـددها فـوق التسريحه.. أو فوق...... المهم..

أعتقد أن زوجى المهندم أكثر من اللازم الذى يتخذ ديفيد بيكهام الجبار مثله الأعلى فى ملابسه، ومازال وحده متمسكا بماركة شارب كلارك جيبل الفتاكة التى تقع فى غرامها كل النساء – من وجهة نظره طبعا – أعتقد أنه لا يفرِّط فى كل هذا الوقت لضبط إيقاع هندامه المتجدد دائمًا.

أولادى المراهقون الذين لا يفعلون فى الحياة سوى فتح أفواههم علـى آخرها أمام أغانى الفيديو كليب وخلافه من بلاوى الدِش، يستحيل يضيعون وقتهم الثمين فى النوم ثلاث ساعات على بعض.

ماذا يفعل هذا النجار الكسول؟! الشاب الكاچوال يـتكلم فـى تليفونـه المحمول أكثر بكثير مما يدقدق المنضدة وكله كلام فارغ وألفاظ بيئة جدا..

<– آيوه يا حبيبتى.. أموت فى الصنفرة.. هى الدنيا إيه غير شـاكوش ومسمار يتلمُّوا على بعض ويتودودوا.>

قليل الأدب!

كالعادة تسرسب زوجى وأولادى خارج البيت عندما وجدوا أن العملية الجراحية للمنضدة ستستغرق وقتًا أطول من اللازم طبقا لجدول مواعيدهم المزدحم جدًا بالعمل واللعب والانحلال وخلافه. انفرط عقدهم وبقيت أنا وحدى بصفتى الشاويش النوباتشى المسئول عن حراسة كافة الممتلكات. وظيفة ليس لها معاش ولا تاريخ تقاعد. عملية انتحارية وطنية إجبارية بعنوان "إلى الأبد".

الحقيقة أن المنضدة كانت ثقيلة جدًا. ليس لأنها مصنوعة من خشب ممتاز، بل لأنها كانت تحمل على كتفيها أكثر من احتمالها. كتب الأولاد، أطباق صينى، دوسيهات زوجى، أبحاثه، جهاز كاسيت متضخم، جبال شرائط واسطوانات مبعثرة، دليل التليفونات، كومة جوارب للغسيل، مخلفات حرب طعام الغذاء الذى انتهينا منه بالدور حسب مواعيدنا المختلفة لحسن الحظ قبل الهَدَد...

ماذا يفعل هذا النجار الوقح؟!! الشاب الغندور يغازل فتاته هكذا عينى عينك فى تليفونه المحمول، أكثر بكثير مما يدقدق وكله كلام ساذج وألفاظ عجيبة حقيقى..

<– آيوه يا حبيبتى.. يا سلام على الخشب لمّا يبقى متأصل ومن عيلة.. هى الدنيا إيه غير مُله ولوح مخلوقين لبعض..>

سافل رسمى!

اضطررت أن أجلس أمام البيه النجار بالقهر حتى لا ينتهى من عمله فى العام القادم، وحتى لا ينتهز فرصة معسكره المغلق فى شقتنا ويتزوج وينجب فى التليفون المحمول باللاسلكى.. كرسى وتكشيرة وحبس انفرادى وخلوة غير شرعية مع أخونا النجار لمدة ثلاث ساعات أخرى.. يا رب..

الصبر والرحمة من عندك وحدك! أخيرًا ركز الشاب الوسيم فى عمله ولو ظاهريًا، وركز نظره فى ساق المنضدة وفى ساقى أنا أيضًا بالمرّة.. بدأ فى تركيب زوائد ودعامات. الأرض غرقت نشارة خشب.. ما علينا.. فلنؤجل التفكير فى المسح والكنس الآن عندما يرحل العدو.

أول مرة.. منذ زمن بعيد.. أجلس مع نفسى فى حالة صمت رهيب كل هذا الوقت.. فى مرآة الصالون شاهدت امرأة أخرى تشبهنى من بعيد. فجأة تذكرت أننى لا أتذكر آخر مرة قال لى زوجى كلامًا لطيفاً. لماذا تسرسب كل رجال العائلة من الشقة وعزلونى أنا وحدى مع هذا الغريب؟ هل يثقون بى إلى هذا الحد أم يثقون بذوق النجار إلى هذا الحد؟!! لماذا ينسى أبنائى عيد ميلادى دائمًا مع أنى لا أنساهم أبدًا. الأشياء وحدها هى التى تجتمع على المنضدة، أما نحن فلم نجتمع سويا منذ زمن بعيد جدًا. لماذا قلّت مكالمات صديقاتى حتى ندرت كشمس شتاء بلاد الثلج؟! ماذا أفعل أنا فى هذه الحياة؟؟!! من أنا؟؟؟!!!

<– المنضدة تمام يا مدام.. لكن بالنسبة لنشارة الخشب أنا لست مسئولاً عن تنظيفها.>

ألقيت عليها نظرة رسمت لى خريطة حياتى التى طارت منى كذرات الهواء.

لم أنظفها..

لن أنظفها..

جمعت حاجياتى ومعلقاتى ومخلفاتى وأطلالى وهلاليلى وبـــواقى أدوات مكياجى الناشفة من انعدام الاستعمال فى حقيبة ســـفر. تركـــت لزوجـــى وشاربه ماركة كلارك جيبل ورقة فوق صفوف أبحاثه..

<- إلى زوجى الذى نسينى مع النجار ونسى النجار معى... انهد حيل الحب. لم يعد هواه صالحا لدوران الطاحونة. فرت الشاة من القطيع. فتش عن الحب الضائع فى نشارة الخشب!>

صفحة ١٤

معركة حربية قامت فى بيتنا عندما حان وقت الاختيار بين القسم العلمى والأدبى. المدرسة مدرستى أنا. التعليم تعليمى أنا، لكن هل الاختيار اختيارى أنا؟؟

-> عايزة تكملى دراستك فى القسم الأدبى؟؟؟؟ أكيد مجنونة!! هو دا بالظبط طريق الخايبانين فى التعليم، حفظ وصَم ودمتم. لكن القسم العلمى هو العقل.. هو المستقبل.

- يا ماما يا حبيبتى.. أقسم بالله العظيم أننى لا أفقه الألف من عصاية عسكرى المرور القصيرة دى فى الرياضيات والعلوم. بعدين أنا مش خجلانة إنى أسوأ من أسوأ طور الله فى برسيمه فى جدول الضرب وتوابعه. ربنا وحده أعلم إزاى نفدت بجلدى من كل كماين مرور السنوات السابقة!

- أنا خريجة علمى وخالك واخوكى الكبير.. كل المعارف والجيران وبقية أفراد العيلة الكبيرة اللى تشرّف. ليه انتى تنطى زى الفرقله وتشذى عن القاعده؟؟

- ومين بس اللى قال إنها قاعدة. يا ماما.. يا روحى.. وحياة كل الغاليين تأكدى إنى مش بدوّر على شهرة ولا بضيّع وقتك فى عنادك وفرهدتك. كل ما هنالك إنى بحب علم النفس والمنطق. بستمتع بالتاريخ. بتلذذ بالعربى. بطير فوق السحاب مع حصص الأدب والقصة. صحيح أن كراهيتى للجغرافيا أزفت من كراهيتى لطعم

الخرشوف، لكنها على أى حال مادة من ضمن المــواد وللضـــرورة أحكام.

– مفيش منك رجا.. يا خسارة خيبتى فى بنتى الوحيدة.. يـــا خســـارة تعبى وشقايا!>

هكذا أعلنت أمى خسارتها الفادحة فى ابنتها الصغيرة، ونصبت الصوان وتقبلت العزاء فى أحلامها التى مرمغتها أنا المجرمة المفترسة فى أعمـــاق الوحلة! هل العار أننى سأدخل القسم الذى أحبه، هل الكارثـــة أننـــى أرى مستقبلى وأعرف قدرات نفسى بشكل واقعى، أم العار أننى أحتفظ بحقى فى الاختيار من الأساس؟؟ فأنا لا أدين أمى، لكننى لا أفهم كلامها.. كأســـتاذة جامعة بكلية الهندسة تعودت هى على التعامل مـــع كـــل الـــدنيا بمنطـــق "٢+٢=٤". حسبة عقلية بحتة تتحمل الآلة الحاسبة مسئوليتها كاملة، لكـــن هذه الآلة الصماء مالها ومال الميول واختيار الذوق والحب والكره. فهل لو وقفت فوق فراشى مثلا وصرخت بأعلى صـــوتى أن "٢ + ٢ = ١٩٨٠"، سينهار برج إيفل ويعتزل فرنسا؟! هل ستأخذ الشمس على خاطرها وتقسم ثلاثة بالله العظيم ألا تشرق غدا مهما حايلوا فيها؟؟!!

الشوط الثانى والحاسم من المباراة المصيرية فى بيتنا بدأ فـــى اليـــوم التالى مباشرة على أثر مكالمة حقنة متينة من والدتى لوالدى الـــذى يعمـــل محاسبا فى الخليج. وبدأت التحقيقات المخيفة بمنطق "ابن مين فى مصر؟!! لا أدرى لماذا تسلط على رأسى مشاهد التحقيقـــات والتعـــذيب المرعبـــة المفزعة المهينة فى فيلم "إحنا بتوع الأتوبيس"......................

<- مزعلة مامتك ليه؟

– ماقصدش أزعلها ده أنا عايزة أفرّحها

- مش فاهم حاجة!

- ولا هى كمان فاهمانى..

- مش عايز فلسفتك دى

- وأنا بحب الفلسفة

- فاتورة التليفون هتخرب بيتى!

- أنا أهم من الفاتورة

- انسي موضوع اللاب توب اللى وعدتك بيه إلى الأبد!>

وأغلق والدى السماعة فى وجهى البرىء..

بما أن الوقت الأصلى انتهى بتعادل الفريقين، وكل منا متمسك بوجهة نظره، احتكمنا إلى ضربات الجزاء الترجيحية خصوصا أن يومًا واحدا فقط يفصلنا عن الموعد النهائى لتسليم الاستمارات. وإذا كانت المسألة بالضغط والعنف، فبأى منطق يسمونها "استمارة الرغبات"؟!! آخر حيل أمى بالاتفاق مع أبى العصبى دائمًا وحكماء العائلة من الأخيار والأشرار، هى دعوتى فى مطعم للوجبات السريعة على أساس أن الطعام ينهضم معه كل شىء من تحايلات ومفاوضات وقرارات وخلافه..

<- الوقت أزف

- والمطلوب؟

- ربنا يهديكى

- ربنا يهدينا جميعا

- القسم العلمى بينور العقل

- ويعنى القسم الأدبى مقطوع عنه الكهربا بفرمان من السد العالى مثلا؟!!

- كلية الهندسة لا يُعلى عليها. مستقبل مضمون و..

- وهمّا يعنى منحوا خريجين هندسة لوحدهم نسخة من مفتاح باب المستقبل وسابوا الباقيين يخبطوا راسهم فى الحيط علنى كدا؟!

- أنا صبرت عليكى كتير..

- وأنا كمان

- يعنى مفيش فايدة؟؟؟؟>

- وهو انا سمعت جديد يقنعنى؟!!

- نطلب الأكل أولا..

- أحسن برضه!!>

طرقعت أمى بإصبعها إلى الجرسون الشاب، فجاءها فى لمح البصر فى حركة آلية لا تميز بين الإنسان ومستنسخه الحقير من الجماد. جسده الممصوص ينتفض أحيانا كناموسة تحمل فى أجنحتها رقّاص الساعة. أكتافه محنية كعلامة استفهام ذليلة لا تجد من يلاغيها. وجهه متقوقع إلى الداخل كنجمة مظلمة مهجورة. عيناه ضائعتان كأن النوم جافاها منذ القرن التاسع عشر! تركت الجرسون وركزت على أمى، فوجدت وجهها قد التقط عدوى تضاريسه وكأنها شفت كل ملامحه بدون ورق شفاف! فى حياتى لم أر أمى مرعوبة بهذا الشكل!!

<- عبد الحميد؟؟!! مش معقول..............

حالة مستعصية من الصمت الرهيييييييييييييييييييييييييييييييييب

دا انت أفضل طالب عندى فى العشر سنين الأخيرة!!!

- أهلا يا دكتورة.. تحت أمرك

- عملت إيه بشهادة الهندسة؟

- حطيتها فى التلاجة..

- مش فاهمة حاجة.. إنت مش كنت...؟!!!

- كنت يا دكتورة.. البركة فى الدكتور حسن اللى أنعم عليّا بتقدير ضعيف فى مادته، فحرمنى من التعيين عشان يوفر مكانى لابنه. البركة فى الشركات اللى بتعترف بكروت الواسطة مش ببيانات الكفاءة العلمية. ولو انا استنيت لما الدنيا تعرف قيمتى، مصاريف عيلتى المتعلقه فى رقبتى هتستنانى قد إيه؟؟

- هو حصل ايه؟

- محصلش.. المشكلة إنه ماحصلش.. محطة بنزين، منادى سيارات، مندوب مبيعات، مرمطون فى تنضيف المطعم، وأخيرا ترقية إلى جرسون مجهول المصدر لسه قدامه عمر بحاله مش هيلحقه عشان يعاملوه كبنى آدم ويلزقوا اسمه على البادج. والله وحده أعلم بالمستقبل...>

سكتت أمى تمامًا

سكتت وسكوتها كان صوته عال جدااااااا فهى أمى منذ زمن طويل وأحفظها عن ظهر قلب

حزنت حزنا نبيلا ولم تنطق بقية جلسة المفاوضات. أحسست أن المباراة بيننا قد انتهت بالضربة القاضية بفضل العدالة السماوية.

بعد أربعة أشهر كان موعد أول يوم لى فى دراسة القسم الأدبى. طرقت أمى باب غرفتى بحنان. وجدتنى أفتح كتاب التاريخ وأقرأ بصوت عال بكل مزاج وحب. استأذنتنى فى قطع صغير لوصلة مواويل التاريخ..

<- ما شاء الله.. يا رب يوفقك فى اختيارك. كم رقم الصفحة اللى بتذاكريها؟

- صفحة ١٤

- ١٣ صفحة فى زمن قياسى؟؟؟؟.. الله أكبر! حبيبتى.. تأكدى دايما أن المستقبل مفتوح على مصراعيه للعلم وللمجتهدين..>

كان احترام العلم جزءا لا يتجزأ من تركيبة أمى المكافحة جدا. من يومها وصورة الجرسون الباشمهندس عبد الحميد منقوشة فى ذاكرتى بألوان الزيت! لم أشأ الاعتراف لأمى أن كتاب التاريخ يبدأ من صفحة ١٣. تركتها تعيش حلمها حتى تتركنى أعيش حلمى..

شباكنا ستايره كاوتش!

أم كلثوم.. أحترمها، فيروز.. أقدرها، أسمهان.. أنتظرها.. لكن كله كوم وحبيبتى شادية عندى كوم تانى! هذه السيدة فضلها كبير جدًا على حياتى. سهرت على متعتى، رفعت منسوب إدراكى للجمال، فتحت مسامى على الدنيا، بالاختصار ربتنى من أول وجديد..

كل أصحابى يعرفون أننى أمتلك شقتين. واحدة أعيش فيها مع زوجتى وأولادى والآن أحفادى منذ حوالى أربعين عاما، أما الثانية فقد حوّلتها إلى "متحف شادية".. كل هفوة تخص حبيبتى متوفرة حتى لو كانت إشاعة سخيفة من الجرائد الصفراء والزرقاء. مكتبة فيديو لكل أفلامها وحفلاتها أتحدى بها كل قنوات الدراما والشو تايم. نسخ أخرى على اسطوانات سى دى ودى فى دى من باب الاحتياط ومن باب أن فى الإعادة إفادة. كنوز أدراج من قصاقيص الجرائد والمجلات مرصوصة بمنتهى العناية فى غرفة سرية أشيك من غرفة الملك خوفو بحاله. جناح مخصوص لكل الصور التى نُشرت لها وآفيشات الأفلام ولقطات منها بكل الألوان والأحجام الواقعية والخيالية. نسخ ثانية منها محفوظة عندى على هارد الكمبيوتر واسطوانات لأشبع وأرتوى يا ناس! كل الشقة والأثاث بلون الورد الأحمر على نفس لون الفستان الذى غنت به شادية وأبدعت فى الحفل الشهير بالنادى الأهلى. تحف من شرائط الكاسيت الجاهزة وأندر تسجيلات الإذاعة. ثلاثة مواقع أنشأتها باسمها على الإنترنت تحكى كل تفصيلة عنها من الإبرة للصاروخ. بيتى المتواضع المعبأ برائحة الحب يفتح ذراعيه لكل من يعرف قيمة شاديه ويحبها من كل قلبه ويحبنى معها من حسن حظى..

مجهود خمسين عامًا ويزيد..

هوايتى الوحيدة تطوير متحفى بأحدث إمكانات التكنولوجيا. الحمد لله أن عندى أسبابا تجعلنى أنتظر اليوم التالى لأعيشه. تزوجت زوجتى لأن اسمها "شافية" على وزن "شادية". حرف واحد مش مشكلة! زوجتى الذكية خصصت وقتها لمشاركتى حب حبيبتى وليس للغيرة منها. ابنتى البكرية شادية لم تفهم وهى صغيرة لماذا أهتف دائمًا وأنا أناديها باسمها عمّال على بطّال، لكنها الآن عرفت وفهمت كم أحبها. ابنتى الصغرى فاطمة على اسم شادية الحقيقى مغرمة جدًا بها خصوصا وهى تغنى "أقوى من الزمن". البنت تجلس بالساعات أمام تسجيل الأغنية بعد تخرجها من الجامعة، حتى كتبت رواية ممتعة بنفس الاسم. مهاويس! ملاحيس!! لا يهمنى.. لا يهمنا.. فلا أحد يدفع لى شيئا من جيبه. الحب نعمة وسره عند الله وحده.

من فرط حبى لها كنت أخاف أن أراها. أخاف أن أقترب أكثر حتى لا أحترق. لكن يومًا ما حجز لى أحد أصدقائى الذى يعرف غرامى بشادية تذكرة فى حفلة لها. فجأة وجدت نفسى أمامها وجها لوجه!!!!!!!!!!!! فى هذا الوقت كنت قد التحقت بوظيفتى الحكومية منذ عامين. لم أكن حزينا، لكنى لم أكن سعيدا. شاب خريج حقوق مثلى مثل غيرى، يتذكرنى رؤسائى وزملائى فى المصلحة فقط فى حالة التحقيق معهم. يحترموننى غصب عنهم، لكنهم لا يحبوننى. لا يوجد موقف شخصى. مجرد سيرتى كانت فأل سيىء عندهم. الكلام معى بحساب وكأننى عزرائيل على الموضه بالطربوش والمنشة..

-> صباح الخير يا إبراهيم

- خير.. اللهم اجعله خير.. يا سيدنا قلت لك ميت مرة وش سعادتك بيفكرنى يذكرنى بجزاء بالثلاثة أيام خصم اللى هبدتهوملى على الريق أول الشهر ولسه مراتى بتمسخر بكرامتى الأرض بسببهم بقالها عشرين يوم.

- أنت اللى اتأخرت يا سيد إبراهيم، أنا ذنبى إيه؟!

- يا سيدى مالكشى ذنب.. لكن انت شخصيا ذكرى سيئة فى حياتى. فلا منك وجدت لى أى مخرج قانونى زى زميلك السابق، ولا منك سايبنى فى حالى من غير ما تبتلينى بصباحاتك المؤذية!>

إبراهيم أفندى كان أكثر الزملاء أدبا فى لومى على أداء وظيفتى الإدارية البحتة. فأنا عبد المأمور، ذئب دون أنياب شرسة نواياها طيبة. لكن من الذى يحب عشماوى فى أى عصر وأوان؟؟؟

كنت أعيش أسوأ أيام حياتى. وآه من عذاب الأسئلة التى لا تجد لها إجابات..

وصلنا إلى يوم الحفلة. كنت أول مرة أراها فى الحقيقة..

شادية.. زميل دراستى القديم يجلس بجانبى. لا أراه نهائيا ولم اعد أعرف أى شىء إلا أنها غنت لى "شباكنا ستايره حرير" ومعها نسيت أنا كل الستائر التى تغلق علىّ منافذ حياتى..

سبع ساعات وأنا أسير وحدى فى شوارع القاهرة عائما بلا هدف.. لا أفهم لماذا تسِح دموعى وتغرق شفتاى كطفل تائه من أمه؟ لماذا ينتفض جسدى كشعلة عود ثقاب فى آخر عمرها الذى لا يُذكر أصلا؟! دخلت

غرفتى دون أن أحيى والدى الذى كان يصلى الفجر فى الجامع. والدتى كانت فى سابع نومه. فقد أخبرتها أن عندى مأمورية فى مدينة أخرى ومحتمل أبات.

ما كل هذا الصدق والحب الذى تغنى به هذه السيدة الجبارة؟؟!!!

فى نفس اليوم الذى لم يغمض لى فيه جفن قدمت استقالتى من العمل. والغريب أن كل زملائى مثل إبراهيم وأخواته ودعونى والدموع تتخبّط فى عيونهم.. الله وحده أعلم بنواياهم. فى هذا اليوم قررت أن أفتح مكتب محاماة. قررت أن أتحول من الهجوم إلى الدفاع. قررت أن أفعل ما أحب. فشلت مرات ومرات حتى عرفت بدايات طريق النجاح.

والآن بعد كل هذا العمر أصبحت واحدا من أشهر المحامين فى مصر.. من أشهر المحامين الشرفاء العاشقين لمهنتهم.

فى عيد ميلاد حفيدتى سهير على اسم شادية فى فيلم "معبودة الجماهير"، وجدت أصحابها يضعون سى دى لمطربة عجيبة صوتها مريب كأنها معزة مهجنة مع جدى زرايبى. يبدو والله أعلم أنها من فصيلة منقرضة! المفروض أن هذه المصيبة تغنى الآن "شباكنا ستايره حرير"!! كيف تجرأت هذه الماكرة الدسيسة؟ هل تريد هذه المتخلفة عقليا الصعود بسرعة الصاروخ على أكتاف نجاح الآخرين؟؟ ما كل هذا النهيق المستفز؟!! فلا هى فاهمة الكلمات، ولا هى تعرف ماذا تريد، لكنها بالتأكيد تعرف لماذا تخنقنا بصوتها المقزز هذا، غالبًا لضمان حدوث عملية انتحار جماعى للشعب كحل وحيد لأزمة الانفجار السكانى الرهيب؟! لابد أنها تكرهنا من كل قلبها. أو ربما تكره نفسها بدرجة مختلة...

لم تدرك هذه الفتاة البلهاء أن الحرير مغزول فى صوت شادية نفسه. لم تفهم أن أحبال صوتها هى محل الإقامة الدائم لكل ستائر الدنيا. فـــالحرير بكل هيلمانه لا يجرؤ على الوجود إلا إذا استأذنها أولا ومنحته هى التأشيرة ليلف الجميع به قلوبهم.. أما هذه الفاشلة التى تتوهم أو توهمنا أنها تغنـــى فهى تتصور أن الحرير مجرد كلمة مكونة مـــن أربعـــة حـــروف تـــدلقها وتتشحتف ورائها هكذا مثل أى كلمه من الكلمات..

ما كل هذا التخلّف الحضارى القاتل؟!!

شىء واحد فقط نجح فيه صوت هذا الصوت الديناصورى القادم مـــن فنانة العصر الردىء، فقد حوّلت بصوتها الانكشارى المتعفن اسم الأغنيـــة من "شباكنا ستايره حرير" إلى "شباكنا ستايره كاوتش" مع سبق الإصـــرار والبلاهة والجهل المرير!

يا الله .. فعلا نحن نعيش أيام فاضحة عديمـــة الشـــبابيك.. متبجحـــة مكشوفة الستائر.. تتكتك من برودة الإحساس محكوم عليها بالحرمان مـــن الحرير!!!!!

تيك وتاك

<– يا حبيبى اتهد فى مكان واحد.. من فضـــلك.. أرجــوك.. أبــوس إيدك.. يا ابنى خيلتنى!>

هكذا كانت صديقتى تصرخ طوال اليوم منذ خمــس ســنوات. مــوال ببغائى قرودى متكرر مصحوب ببعض المفردات الأخرى التى ســيعترض عليها أصحاب التربية الرفيعة! إنها ضريبة أول طفل لا يجد غير أمه يناهد فيها حتى ينتِف كل ريشها. وكالعادة ينتهى بها الحال لتنام على نفسها وهى واقفة كما الحصان، أما هو فيستمر كمكوك اليورانيوم فى لعبه المنفجر إلى ما شاء الله.

<– يا ولد سيب اخوك يلعب معاك. انتو الاثنين مطرودين برة الأوضة مصحوبين بألف سلامة.. اللهم لا تحاسبنا على جهلنا قادر يا كريم، وارزقنا من صبر يونس وأيوب كوكتيل مع بعض!>

هذه هى النسخة المعدلة من وصلة الصراخ اليــومى بعــدما رزق الله شقيقتى بطفلها الثانى، ليستكمل مع شقيقه الأكبر فريق عصــابات المافيــا المتخصصة فى إدخال الأمهات مستشفى المجانين بحجة أن المجانين دائمًا فى نعيم!

هى من أقرب صديقاتى. لكنها ليست صديقتى الوحيدة. وأنــا طبعــى سيىء للغاية.. فذاكرتى الخائنة تتفنن فى اقتناص كل المعلومات والمواقف المؤثرة، كل شىء وأى شىء إلا الأسماء وأرقام التليفونات. تركلهما بعزم ما فيها خارج حدود عقلى الضيق، وتترفع أن تستوطنها هذه الخانات المملة التى تشبه بعضها البعض. كنت أحل هذه المشكلة مع صــديقاتى اللائــى

يتحملن معرفتى بهذا العيب فى تصنيعى، وأنادى كل منهن باسم "لولو" فأنجز مهمتى فى أمان الله حتى لا نتوقف عند هذه الصغائر. أما من لا أعرفهم فكنت أحل المشكلة باستخدام صيغتى احترام "حضرتك" و"سيادتك"، لأنه ليس من المعقول أن أسأل رجلا كبارة عن اسمه وأنا أعرفه مثلا منذ سنوات عديدة. هو يذكر اسمى وأنا لا أذكره.. عيب.. واللهِ عيب!

فيما يخص أسماء أزواج صحباتى فكنا نتفق على استبدالها معا بأسماء شهرة دالة مثل "الأبله" أو "أبو تى شرت مقلوب" أو "شمشون الأصلع" أو "بطوط اللحوح" أو "الحاج دى كابريو"، وما شابه من أسماء مستعارة وسيمات لا يفهمها إلا صاحباتها. لعل وعسى يكون ميكروفون التليفون مفتوح بالخطأ أو السماعة الأخرى مرفوعة من باب فضول الرجال التافه! وبما أننى أنسى أسماء الآباء وهذا قدرى، فحتما ولابد أننى أنسى أسماء بقية شجرة العائلة للأبناء من وراءهم. فرأسى الغالية ليست دليل تليفونات متنقل. عندى ما يكفينى ويزيد. صنفان فقط من الأطفال لا أتوه عنهما أبدا.. صنف ألعب معه كل الألعاب وأغلبه. ضرورى جدًا أغلبه حتى أحقق ذاتى وأستعيد طفولتى المُشرّدة. فيما بعد أتساهل مع أصدقائى الصغار بمزاجى وأتركهم يغلبونى أحيانا، لكن على شرط استرداد كل ما ضاع من هيبتى بتوجيه مدفع رشاش من القبل الساخنة من نوعية الرشاش الآلى سريع الطلقات.. أما الصنف الثانى فهو لا يخص إلا عائلة صديقتى العزيزة فقط دون غيرها.. فابنها الكبير ونائبه الشقيق الصغير من دون كل أبناء صديقاتى أطلقت عليهما اسم "تيك وتاك". هما وحدهما من دون العالم يحملان ماركة مسجلة لا تقبل التزوير أو المنافسة! من تاسع المستحيلات أن تدير ذاكرتى ظهرها لهما أبدا.. المحروس الكبير تيك يشبه المتلوف الصغير تاك فى كل شىء. والمتلوف الصغير تاك يشبه المحروس الكبير

تيك فى كل شىء. أطلقت عليهما هذا اللقب بعد زيارة واحدة لصديقتى فى بيتها.. الزيارة الأولى والأخيرة.. إلى الآن.. عندما علمت أنها ستعود من السفر بعد غربة حوالى خمس أو سِت سنوات ومعها زوجها وطفلاها، ذهبت بكل حُسن نية وبراءة عبيطة لرؤيتها وأنا لا أعرف الجحيم الأسود الغارق فى بركان السواد الذى تعيش فيه صديقتى حبيبتى! فالولد الكبير والولد الصغير.. لا أذكر أسمائهما الحقيقية.. يشبهان بعضهما جدًا رغم أن الفارق بينهما ثلاث سنوات وكأنهما شخص واحد نزل إلى الدنيا بالتقسيط على دفعتين. الكارثة المهولة أن الكبير كلما قال كلمة.. أى كلمة.. ينتظر الصغير لحظة ثم يكررها مرة أخرى كالببغاء المُخَدّر الذى هرب من قفصه إلى قفص الجيران! ثم تبدأ حلقات المسلسل العربى الممل بنجاح ساحق.. يصرخ الكبير فى وجه الصغير معلنا استنكاره هذه الإعادة السخيفة التى تخنقه فى عيشته، ثم يتسلم الصغير الراية ويصرخ فى وجه الكبير مستفهما عن سبب استنكاره لهذه الإعادة السخيفة ولماذا تخنقه فى عيشته! وأخيرا يأتى دور صديقتى لتصرخ فيهما معا، ليكف الاثنان عن إصابتها بهستريا مُركّبة مستعصية فى هذا السن الصغير.. فنحن الاثنتان لم نتجاوز الثلاثين من عمرنا بعد.. إلى هذا الحد ذكرنى هاتان التحفتان بالمخبرين السريين الجهبذين تيك وتاك توءم مجلة "تان تان" الشهيرة التى شبعنا من قراءتها فى طفولتنا الآدمية وبصراحة أكثر مازلت أواظب على قراءتها إلى الآن لأتحمل مقالب الحياة.

تيك وتاك.... مجرد جودهما فى حد ذاته كارثة بكل المقاييس..

هى صديقتى منذ الطفولة.. أخيرًا عادت لتتسلم عملها كمعيدة فى كلية التربية بعدما أنهى زوجها عقده فى الخارج، كى يكبر الأولاد فى حضن وطنهم الحبيب و"يشرفوه" على حد تعبيره. نحن الآن فى منتصف العام

الدراسى ولا حِس لها ولا خبر منذ شهور طويلة.. هل يا ترى.. يـــا هـــل ترى.. التهمها تيك وتك فى إحدى غاراتهما الجوية الأرضية المـــدمِّرة، أم أنها انتحرت مع سبق الإصرار والترصد وأراحت واستراحت؟؟

<- يا لولو.. انتى فين؟

- إنى أتنفس تحت الماااااء

- اللهم روّق بالك مع أغانى عبد الحليم يا رب

- أنا مابغنيش.. أنا..........................

دربكة فظيعة جدا.. رزع أبواب.. استغاثات قادمة من فيلم رعـــب.. انهيارات جبلية مخيفة سَوَرَت أذنى..

- يا لولو.. رُحتى فين؟؟ انتى بتتفرجى على برنامج عالم البحـــار ولا إيه النظام؟

- لأْ.. أنا بلعب بطولة فيلم "ظُلم الإنسان لأخيه الإنسان!

هل هناك دخيل على الخط؟؟

- يا حبيبتى.. أنا مش ناقصة وش.. فهمينى الله لا يســيئك.. عـــايزة أسمع منك جملة واحدة مفيدة توحد ربنا.. هو كلامك ليه شايل صدى صوت غريب بالشكل دا؟

- يا ستى.. أنا محبوسة فى الحمّام.. أخدت معايا أبحاث الطلبة عشان اصححها بعد ما فشلت كل محاولاتى السلمية والحربيـــة لانتشـــال أبحاث العيال من بين إيدين ورجلين وسنان تيك وتاك..

- الله يقرفك.. بتصححى الأوراق فى التواليـت؟؟؟!!!! إيـه الخيـال الواسع ابو ريحه دا..؟ طيب دا بالنسبه للهبد والرزع والخبط، إيـه بقى هويس المية المفتوح اللى مغرّق ودانى دا؟؟؟؟ إنتى بتأخدى دش بورق الطلبة؟؟؟؟؟؟؟؟؟؟؟؟؟

- ضحكتينى وانا ماليش أى نفس اضحك أو اعـيش أساسـا.. الحمـا بالدُش زى بقية مخاليق الله حلم بعيييييد هنـاااااك أوى، لازم حتمـا ومن كل بد اتزرع زى البصله الدبلانه المعفنـه لحـد مـا يتكـرم ويتعطف ويتنازل جوزى وييجى من شغله بعد عمرٍ طويل ان شـاء الله.. دا انا فتحت الدُش على آخره وسيبته يبرطع فى البانيو عشـان ماسمعش الدويتو الأغبر اللى انتى عارفاه بكل كلمة وإعادتهـا، أنـا استاهل ضرب البُلغ، أنا اللى جبيت دا كله لنفسى!>

دربكة رهيبة.. فتح أبواب.. شجب.. رفض.. تحذيرات.. تهديـدات.. دوى مذهل وكأن جناح طائرة هليكوبتر انحشر بين قضـبان شـباك دورة المياه ويكركر من هول الألم.. كورال ثورات تمرد جامح لشعوب هائجـة أتلفت أعصابى وأبادتها عن آخرها..

بعد مدة طويلة لم أحسبها جيدا لأريح أعصابى وأشترى عمرى شرحت لى صديقتى كيف اقتحم تيك وتاك باب دورة المياة، وكانت هى من سـوء حظها تقف وراءه بالضبط. فطار الورق يرفرف ربّانى بدون أجنحة وشبّك يديه وحروفه وأحباره وسطوره ومعلوماته فى تشكيل بديع ليقيم حفل سباحة توقيعية جماعية على وش مياه البانيو الممتلـىء عـن آخـره، وتحولـت الأبحاث يا حرام إلى فرافيت مبللة لقيطة استقرت وسكنت حـول سـدادة البلاعه تؤنس وحدتها!!! أما صديقتى نفسها فقد أنهت علاجها الطويل مـن

الزحليقة الجبارة التى تعرضت لها بعد حوالى ثلاثة أشـــهر مـــن تاريخـــه طبعا.. تحتاج هى إلى أجيال وأجيال مع ضرورة تغيير عميد الكليـــة فـــى الطريق حتى تشفق عليها الناس وتتظاهر أنها تناست هذه الفعلة الســـوداء التى أصبحت نكتة ساخنة خالدة خلود الفراعنة الجبابرة على كل لسان..

ومن يومها وهى تمشى بين زملائها وقد اعتادت رأسها وضع التنكيس المُهين..

لم يكتف الجهبذان تيك وتاك بالفضيحة المحلية، بل وصل صيتهما إلى محافل الفضائح الدولية أيضا..

ولله الأمر من قبل ومن بعد!

نيولوك

زوجتى الحبيبة مجنونة بشىء ما مقرف اسمه "نيو لوك".. الحقيقة إنه مقرف جدًا طالما يأتى من بنات أفكارها المؤذية! آه من النيو لوك وسنينه.. وباء رهيب طفح على سطح الكرة الأرضية منذ سنوات. ومنه انتقل مباشرة إلى سطوح بيتنا، ثم اخترق السقف وهبط مباشرة فوق سقف رأس زوجتى وتلبّسها تماما، وطبعا كنت أنا وجيبى أكبر ضحيتين لهذه المعجزة المنحوسة. أقطع ذراعى إذا لم يكن مخترع هوجة النيو لوك شخصا قبيحا عديم الضمير والمرجعية الوطنية..

أجمل ما أحبه فى زوجتى هى رسمة حاجبيها.. حاجبان مغريان ثقيلان ممتلئان محترمان يملآن مركزهما. مهذبان بأطراف ريشة فنان عنده ذوق يقدر قيمة البرواز الذى اختاره الله لعباده. طبعا التغيير حلو.. مطلوب.. أنا شخصيا أفرِق شعرى كل يوم على جنب شكل. فأنا أحب النيو فرق وليس النيو لوك! حتى استيقظت فى يوم عديم الملامح على حبيبتى الوحيدة التى لا أحب غيرها وهى تفاجئنى بهيئة مفزعة دوت على رأسى كمقطورة مُحَمّلة بزلط العالم أجمع..

<– بسم الله الرحمن الرحيم.. انتى مين؟ عملتى إيه فى نفسك يا مجنونه يا بنت المجانين؟؟؟؟!!!!!!!

– قلعت كل حواجبى وبدلتها بخطين رفيعيين جدًا بُنى محروق.. نيو لوك!

– لا إله إلا الله.. يا رب يا تاخدنى يا تاخدنى عشان اخلص من حرقة الدم دى! يا ستى.. عمرك سمعتى فى يوم إن الملكة العبقرية مارى

أنطوانيت إتنازلت عن تسريحة شعرها اللى كانت سبب شهرتها على مر التاريخ؟ حد كدب عليكى وبلغك إن الملكة العاقلة نفرتيتى قلعت عيونها المصنفة الأجمل على مستوى الكون من باب التغيير والملل؟؟ مين أوهمك إن وردة الكون الأميرة ديانا الله يرحمها ألف رحمة نزلت الشارع منكوشة من باب الزهق من سجن الأسرة المالكة؟؟؟ بالذمة يا ناس.. بأى منطق تتخلى المرأة الذكية عن الجنة المجانية اللى ميزها ربنا بها!!!>

على طرف لسانى أعترف لها أن شكلها أصبح مفزعا جدا.. أنها تحولت من عصفورة رقيقة تكتب عنوانها على عنوان أوراق الشجر البريئة، إلى حداية منحوتة على جدار جهنم الحمراء.. على طرف لسانى اعتراف أن خطى حاجبيها البنيين الواقعين تحت شعرها الأسود المتقحم يشبهان شريطى السكة الحديد اللذين شهدا حادثا مروعا لم ينج منه أحد الشهر الماضى. على طرف لسانى تعليق أن هذه الكارثة الزوجية الأنثوية الغدارة ملأت قلبى حقدا على كل خلق الله. على طرف لسانى..................

على أى حال الشكوى لغير الله مذلة!

فكرت كثيرًا أن أجلس فى البيت بظهرى حتى لا أراها. هدانى عقلى إلى إطفاء النور باستمرار حتى لا تحدث المواجهة الدامية، لكن اتضح أن شكلها فى النور أرحم بكثير من شكلها فى الظلام.. والمصيبة أننى أخاف من الظلام وسنينه! فى النهاية أصبحت أتلكك لافتعال أى خناقة تافهة من لا شيء، واخترعت لها انشغالى فى مأموريات عمل لا تنتهى لأنجو برقبتى

وأعصابى وبرستيجى وأهرب من هذا المكان الذى تحول بسببها من "بيت التفاح" إلى "بيت الأشباح".

كثيرا ما أشتاق إلى زوجتى.. حبيبتى.. لكنى لا أجدها.

أجمل ما فى زوجتى بشرتها البيضاء الناصعة.. لو منهم كنت أخذت وجهها فى إعلانات مساحيق الغسيل علامة جودة بريفكس على البياض المهول.. لا بقع.. ولا عطسة زمن ردىء.. تعودت أن أستبشر بوجهها الصابح فى كل أوقات اليوم.. فالحياة معها رقيقة ناعمة ونظيفة.

فى يوم آخر أغبى من السابق دخلت علىّ فى الحجرة امرأة غريبة لا أدرى مصدرها. كيف اجتمعت لها البجاحة لدخول غرفة نومى دون استئذان؟ وماذا لو رأتها زوجتى الشرسة التى تجيد العض المسموم! الإشكال أننى كنت أبحث عن نظارتى النظر دون جدوى. وبعد فاصل من الشهيق والزفير والبرطمة والكلمات التى يعاقب عليها القانون، استكملت المرأة المتهورة طريقها وناولتنى النظارة من فوق المنضدة الصغيرة؟؟ وأخيرا اكتشفت المفاجأة الزرقاء..

إنها هى.. هى.. حبيبتى الوحيدة التى لا أحب غيرها.. زوجتى التى كنت أرى فيها كل نساء العالم.. لسعتنى هى بهيئة زاعقة صعقت كل أسلاكى الكهربائية دفعة واحدة ومعها أصبحت كومة رماد محنطة لا تنفع ولا تضر..

اللهم ارفع مقتك وغضبك عنا يا رب العالمين..

هى..

زوجتى!

<- بسم الله الرحمن الرحيم.. عملتى إيه فى لون وشك اللى أبيض من الحليب يا مجنونة يا بنت المجانين؟؟؟!!! إنتى فحفرتى فيه عشان تطلعى بترول ولا إيه؟؟

- أخيرًا اتخلصت من لون بشرتى البارد.. أخيرًا غيرتها إلى البرونزى اللمِّيع المُقشَعِر.. نيو لوك!

- ومين البارد صاحب الفكرة النيرة دى! يا حبيبتى.. يا مراتى اللى مابقاش لها لا حواجب ولا لون ولا طعم.. عمرك سمعتى فى يوم أن ملكة النحل قررت تتنازل عن تاجها من باب التواضع والملل؟ حد لفقلك قصة وهمية عن قرف جبال الثلج من لونها الأبيض الشاهق فقررتى تحويلها إلى فضيحة بالألوان مخجلة؟؟ مين قالكِ إن القطن الأبيض اتصالح أخيرًا مع زعيمة دود القز وسمح لشعبها أن يقزقزه بالهنا والشفا؟؟؟>

على طرف لسانى أعترف لها أننى لم أعد أطيقها.. أننى أصبحت محاصرا بين حاجبيها الشيطانيين وبشرتها المؤلمة ولا مفر من الاثنين.. أننى لم أعد أعرفها أو أحس بها.. أننى أدركت أن الحل لم يعد فى الجلوس بظهرى أو حتى على رأسى.. على طرف لسانى أعترف لها أن المسألة أكبر من ذلك بكثير..

على أى حال الشكوى لغير الله مذلة!

فى يوم من الأيام فاجأتها أنا هذه المرة بورقة أمسكها فى يدى. فاجأتها بكل شعر رأسى مسحوب إلى الوراء فى حركة تقهقر منظم جدًا بفضل خليط حمضان من الفزلين السائل. صارحتها أننى أفكر فى الانتحار مائة

مرة فى الدقيقة! لاحظت هى أننى تغيرت فزوت حاجبيها الفتلتين، فخففت منها أكثر وأكثر..

إبداء الملحوظة مهم ومحل تقدير، لكن توقيت الملحوظة أهم بكثير..

فتحت الورقة وكانت سطورها البائسة تصرخ بجروح قلبى وتقول..

<- من شهرين وساعتين ودقيقتين مافاجئتينيش بتقليعة جديدة من تقليعاتك العبقرية.. خير اللهم اجعله خير.. وبما إنى اشتقت لمقالبك المستمرة وأدمنت كوابيس الليل الطويل اللى مالوش آخر، قررت أن أتولى أنا زلزلة البيت بالنيابة عنك المرة دى وأمحيه من على وش الدنيا نهائى. مش بتدورى ع التجديد؟؟؟ التجديد هيكون فى لقبك.. فقد أصبحتِ زوجتى.. سابقا.. نيو لوك!!!!!!>

الباليرينا الحافية

لست راقصة باليه لكنى فنانة نادرة المثال!

التواضع شيء والغرور شيء ومعرفة قيمة النفس شيء آخر.. هذا ما أصر أنا على تعليمه لكل الصغار الذين يتدربون تحت يـدى. كثيـرًا مـا شاهدت غيرى يحبطون المواهب الجديدة، فتتبخر الضـحايا فـى الهـواء وكأنها لم تكن قبل أن تفترسها الديناصورات البشـرية الجاهلـة. سـاعتها أعرف أن ماسورة الغاز السام كانت موجهة إلى عقولهم مباشرة بلا رحمة.

لست مشهورة.. لا أريد. لست غنية.. لا أحب. من يعشق الوهج الزائد يحترق به فى يوم من الأيام. منذ عشر سنوات كان كل حلمـى أن أكـون ممثلة. سمعت عن اختبار مواهب جديدة. دخلت الاستوديو وطلـب منـى المخرج أداء هذا المشهد..

"الجلوس أمام حبيبى وأنا أضع قدمى الحافيتين فى وجهه تماما.. عتاب صامت أخرس. لكن الموهبة أن أخلق منه مشهدا صارخا باستخدام عينـى فقط لا غير".

كان الشرط ألا أشيح بيدى، ألا أشير بظافر إصـبع واحـد، ألا أرفـع حاجبى، ألا أستخدم وجنتى ولا حتى الغمازتين، ألا أتحرك ملليمترا واحدا من مكانى ولو بلفتة عنقى. الحالة.. تمثال متصلب لأنثـى مكتملـة تلـوم حبيبها على خيانته رغم حبها العظيم له. فكرت.. ركزت.. قررت ولعبـت المشهد أنا الفتاة التى أبلغ من العمر عشرين عامًا بأحاسيس امرأة قمة فـى النضج والأنوثة عمرها مليون عام! نجحت نجاحا مبهرا. كـل مـن فـى الاستوديو بكى.. بكوا بحرقة موجعة حتى بللوا أرواحهم. حتـى الشـاب

الجديد أمامى غطس فى زجاجة دموعه الصامتة. وأنا كما أنا لم ولن أبكى أبدا. نجاح ساحق.. الموهبة الحقيقية ستأخذ فرصتها أكيد. هكذا قالت لـــى جدتى العجوز.

ممثلة نادرة المثال لا تنجبها الأيام إلا كل ســنوات بعيــدة. أحاسيســها فياضة مثل الباليرينا الطائرة!

الجميع مدوا لى أيديهم بالحب والأمل، ماعدا يد جافة صــماء خرســاء كانت الوحيدة التى عادت إلى بيتها داخل جيب الچاكتة وأخفت العقد تمامــا واندفن فى قاع الجيب الواسع هناك إلى الأبد!

لم ينكر الأخ المنتج أن حجم موهبتى كبير.. كبير جدًا أكبر من اللازم، لكنه لم ينكر أيضًا أن مقاس قدمى كبير.. كبير جدًا أكبر من اللازم. أربعة وأربعون.. خلقنى الله هكذا فماذا أفعل؟؟ هل أذهب إلى البلدية لأزيل مـــن قدمى دورين زائدين، أم أضع كل واحدة فى قالب ثلج حتى تكِش قلـــيلا؟؟ علما بأن قالب الثلج للأمانة أصغر من قالب قدمى بكثير.. كاد المخـــرج يقبل قدمى المنتج ويستحلفه أنه سيتصرف فى كل المشاهد لأن هذه مهنته، لكن المنتج الفنان كان ملخوما إلى شوشته فى مشكلة عويصة جدا.. فالسيد بنديرة الفلوس المتحركة لا يتصور اكتمال الأنثى فى عينى الكاميرا بـــدون إبراز ساقيها حتى قدميها. لا يتخيل أن فتاة ستتمايل فى دلال وخلافه وهى تلبس حذاء منقرضا من النوع "الزحافى" المحروم من ضل أى كعب إلـــى يوم الدين. كيف سيبيع فيلمه إذا كان المخرج سيتجنب مشهد بلبطة البطلـــة بالمايوه مع حبيبها وطرطشة قدميها فى الهواء الطلق كزعانف سمكة قرش بلهاء قاصر تحت السن! كان ينقصه الاعتراض على قدمى الخاليـــة مـــن

غمازتين مثل وجنتى حتى تضحكان هما أيضًا فى رقــة ودلــع وتغــرى الكاميرا بالتصوير..

صدمنى الأخ المنتج صدمة فوق احتمالى..

عام كامل وأنا أبكى بكاء مريرا دون دمعة واحدة.. هذا المشهد البــديع الطويل جدًا من اغتيال الفن العظيم لم يكن مع الأسف تمثيلا بــل حقيقيــا وواقعيا جدااااااا.

من باب الذوق ذهبت مع شقيقتى وابنتها الصغيرة إلى مسرح الأطفــال لنشاهد عرضا ضاحكا بالعرائس. عرض "الباليرينا الحافية".. يحكى عــن فنانة موهوبة جدًا نادرة المثال، سرقت منها زميلتها الحقودة حذاءها ليلــة افتتاح العرض، حتى تضيع عليها فرصة البطولة التى انتظرتهــا طــوال عمرها. راقصة الباليه اكتشفت هذه الحقيقة الغادرة قبل رفع الستار بدقيقــة واحدة فقط بناء على خطة زميلتها الشريرة. وفى لحظــة واحــدة قــررت الباليرينا المسروقة أن تظهر على المسرح وتفرغ كل طاقتها وموهبتها بلا حذاء، رغم كل الصعوبة القاتلة لهذا الفعل فى دنيا الباليــه وليحــدث مــا يحدث!

نجحت البطلة نجاحا فاق الخيال، ومن يومها اشتهرت فى كــل الــدنيا باسم "الباليرينا الحافية".

منذ هذه اللحظة قررت عدم الخروج من هذا المسرح أبدا. كل ما حدث أننى غيرت مكان المتفرجين واستبدلته بمكان الفنانين. تعلمت تكنيك تحريك العرائس. نفخت فيهن كل موهبتى الغاضبة وكرامتى المجروحة جرحــا لا أمل فى شفاءه أبدا. فى عام واحد أصبحت من أشهر فنانى العرائس. كــل عروسة ماريونيت تظهر على المسرح بين أصابعى تظهر كإنسان حى من

لحم ودم وإحساس. عرفنى الجميع بأننى من أخلص من تشـــجع المواهــب الجديدة نظريا وعمليا، تلفت نظر من لا يمتلكون موهبة بمنتهى الإخــلاص والذوق.. بقدر ما أستطيع.

الحقيقة أن المساحة المتاحة لفنانى العرائس أعلـــى خشـــبة المســـرح ارتفاعها قصير إلى حد ما.. إلى حد كبير.. وهو ما يضـــطرنى أن أتكلـــم وألعب وأرقص وأبدع مع كل العرائس وأنا حافية القدمين.

صنعت نفسى بنفسى.. بنت "زحّافى" موهوبة موهبة نادرة لا أحد يملك حق الاعتراض على وجودها وينسفها بفلوسه الحافية!

آلو يا إش إش

منذ طفولتها وهى تنسى.. تنسى تأكل، تنسى تشرب، تنسى أن تنسى.. لكنها أبدًا لا تنسى كرهها العجيب للتليفون.

مشكلتى المعقدة الفظيعة المستعصية أن ابنتى إش إش من صغرها وهى تعامل عدة التليفون معاملة العبيد المهينة، تصر على معاندة السيد إجراهام بل مع أنها لم تقابله فى حياتها.. ولا أنا! مُحتمل أن السيد مخترع آلة التليفون قصد مكافأة كل إنسان ثرثار يحتفظ بلسان بربنط لا ينعس، مُحتمل أن نيته لم تكن غيظ هواة الكلام القليل وعشاق الصمت. لكن الأكيد أنه قصد اختصار المسافات وإنجاز الأمور وتوطيد صلة الدم بين العائلات والأصدقاء وخلافه، لهذا اخترع آلة التليفون على أساس أن كل مكالمة فى الدنيا تسير بمنطق (إرسال/استقبال) كحسبة الناس العقلاء.. أما ابنتى إش إش وحدها.. دونا عن كل البشر.. فتسير على تراك واحد وتستخدم التليفون (إرسال) فقط لا غير.. يوم الإرسال بكل الأسف هو يوم لا تلوح فيه أى شمس إذا تصادف وردت إش إش على التليفون.. فأى مكالمة مهما كانت مهمة لى.. أنا أمها الوحيدة.. أمها العظيمة.. أو لوالدها أو لشقيقها الأكبر، مصيرها الوحيد الاستقرار فى مزبلة التاريخ معززة مكرمة وكأن شيئا لم يكن.. ومهما قال لها المتحدث المسكين واستحلفها بالأحياء والأموات وأولياء الله الصالحين، أو حتى بحياة غاندى الذى تحبه فقط لأنه يشبه مدرسها فى الفصل أن تنقل رسالته إلى فلان لأنها فى الحقيقة مسألة حياة أو موت، فالنتيجة واحدة دائمًا فى الصيف وفى الشتاء وبين الفصول! بدون مقدمات أو أسباب تقلب إش إش الحكاية إلى مسألة موت فقط، موت الرسالة ذاتها التى لا تصل إلى هدفها أبدا. لا أنكر أن هذا الوباء القومى كان سببا آخر فى إنجاب طفل آخر، ليكون هناك استبن ثالث للرد على

مكالمات التليفون بدلا من حالة التدمير الضال بطوربيد ضال.. وعلى يد من؟؟ على يد ابنتى الصغيرة إش إش!!

سنوات وسنوات والشعب كله على هذا الحال المرير.. من جهة الآذية ابنتى ليست شريرة. من جهة الاستهتار إش إش ليست مُنحلة. هى نسّاية.. هذا كل ما فى الأمر. مؤكد أننى أدافع عنها أمام الجميع فى وقت السلم والرسائل البسيطة التى لن يتسبب وصولها فى هدم العائلة، أما عندما نسيت إش إش تبلغنى أن خالتها محجوزة فى قسم البوليس بسبب مشكلة مع عسكرى المرور، اختلف الأمر تماما.. دخان براكين الغضب راح يتصاعد من كل النوافذ مخترقة أبواب الغرف والشقة من تحت ومن فوق.. الليلة التى آنست فيها شقيقتى على بورش التخشيبة كانت من أجمل ليالى العمر التى لا تنسى أبدا!

بمرور الوقت فقدت الأمل فى إصلاح هذه المهزلة. ربما يكون العيب فى كتالوج تشغيل إش إش! الله أعلم. لكن واجبنا.. نحن أهلها الطيبون.. أن نتعامل مع هذه المشكلة اليومية كأمر واقع، حتى لا نصاب بانهيار عصبى جماعى، ونفتح فرعا منزليا آخر لحديقة حيوان الكائنات السعرانة.. من الأفضل جدًا عدم ذكر أى أمثلة أخرى غير حكاية شقيقتى، لأننى – حتى الآن – أمسك أعصابى بالعافية!

لو إش إش رجلا لكنت طردتها من البيت من أول مكالمة. لو وجدت لها العريس المناسب قبل بلوغها سِن العشرين، كنت زحتها فى أقرب صندوق مخلفات الحرب وكفى الله المؤمنين شر القتال. لكن المشكلة أن إش إش الصغيرة تبلغ من العمر الآن ثلاثة وعشرين عامًا ولم يأتها عدلها بعد. وبما أن مشكلة البطالة متفشية وتتعقد أكثر وأكثر، فقد ألحقتها بالعمل فى مكتبى كسكرتيرة حتى لا تتبهدل من أول الطريق. فمكتبى ولله الحمد يُعتبر من أكبر مكاتب المحاسبة فى البلد، ويحتمل سكرتيرة واثنتين خاصة

أنها خريجة لغات. كان كل شيء يسير على ما يرام، طالمـــا أن محاســـن السكرتيرة المخضرمة متوفرة فى الأسواق ومســئولة عــن الــرد علـــى التليفونات بصفة خاصة، بينما تتولى إش إش أمورا إدارية أخرى حســب بنود الاتفاق الصارم بيننا. ظل الأمن مستتبا على مدى عام ونصف العام، خاصة أن محاسن الطيبة لا تحمل أى ضغينة تجاه السيد إجراهام بِل فـــى شيء، وتؤمن أن التليفون عميـل مـزدوج بطبيعتـه مخلـوق للإرسـال والاستقبال معا. الله يعمر بيتك يا محاسن..

لكن مأساة حياتى استفحلت عندما انكسرت ساق محاسن، فغابت عن العمل أربعة أسابيع كاملة.. أربعة أسابيع من العذاب الأزلى قلّـب علـى روحى مواجع ماضى العار من كل ناحية، وهبت رياح الحرب العاصـفة تنذر بانفجار القنبلة الهيدروجينية العائلية المكتومة منذ زمن بعيد.. وبما أن بقية الموظفين يُحرَجون من إش إش ويتركون لها كل مهام الســكرتارية، وبما أنها ابنتى مهما كان وقد استأمنت محاسن وحدها على خلل كتالوج إش إش فى صفحة التليفون، فقد عشت.. مرة أخرى.. أسود أيام حياتى بمعنى الكلمة. يا ربى.... كنت قد تناسيت مشكلة تليفون البيت، بعدما اشترى كل منا تليفون محمول لنفسه لفض الاشتباك الأزلى وتراجعت أسهم الكـوارث المنزلية بعض الشيء..

مكالمة.. اثنتان.. ثلاثة.. رسائل على كل صنف ولون والنتيجة صفر. لو كان مصطفى بيه كامل نجح فى تحرير مصر من احتلال الإنجليز، كنا نجحنا نحن فى تحرير أنفسنا من احتلال إش إش!

بعد خسارتى عميل كبيرة بسبب رسالة لم تصـل تأكـدت بالفعـل أن الأمور زادت عن حدها بشكل خرافى. وأخيرا قررت.. قـررت أنـا الأم الحنون الكتومة المكتومة أن أعرض مشكلتى على الملأ للشعوب أصـحاب القلوب الرحيمة. فقمت بتسجيل رسالة صوتية على تليفون المكتب تُستخدم

فى عدم وجود محاسن التى عادت بعد خراب مالطة، وصممت أن يكون نص الرسالة بصوتى مع صوت ابنتى رغم اعتراض محاسن الطيبة على أساس أن البنت لم تتزوج بعد.. للعلم تم تسجيل هذه الرسالة بموافقة الخصم، لأن ابنتى اللطيفة جدًا لم ولن تخجل من نكباتها المتلاحقة مرة واحدة فى حياتها..

<- آلو يا إش إش

- آيوة يا ماما

- فيه أى حد فى الدنيا سابلى رسالة مهمة؟؟

- مش فاكرة

- يا حبيبتى!

- ماتدقيش

- ولو أى محاولة جبر خاطر عشان خاطر والدتك!!

- أف

- إش إش!

- نعم يا ماما وباختصار..

- باختصار؟!!! حسبى الله ونعم الوكيل!>

<< من فضلك.. لو سمحت.. سيب اسمك ورسالتك بعد سماع الحوار دا لتشاركنى مأساة حياتى وأرجوك تنسى تماما إن عندى بنت اسمها إش إش..>>

حوالى إلا ربع

<– الساعة كام من فضلَك؟

– ستة إلا ستاشر دقيقة ونص

عين الفتاة التى اتسعت عن آخرها بمنتهى الدهشة أرعبتنى. هل قلت شيئا خطأ؟ سألتنى وأجبتها.

– سيادتك بتهزر؟! أنا غلطانة إنى سألتك.. يا إما تكلمنى عربى يا إما تسكت..

– وهو أنا بتكلم كورى! الساعة دلوقتى ستة إلا ستاشر دقيقة..

– خلاص يا أستاذ.. مش حكاية.. انتهينا!>

التفتت الفتاة فى المنضدة المجاورة أمامها فى حركة فجائية، سمعت معها طرقعة رقبتها حتى أننى خفت عليها. رأيتها تصب كل غضبها فى نظرتها التى اخترقت زجاج الكافيتريا حتى كادت تدشدشه. لو كان للزجاج لسان كان استجار من نيران الغيظ المنبعثة منها.

تجلس هى وحدها.

أجلس أنا وحدى.

فيما يبدو أنها تنتظر أحدا تأخر عليها أو هى متلهفة على مجيئه بسرعة. أما أنا فأعرف أننى منتظر خطيبتى منذ خمس وأربعين دقيقة كاملة. طبعا ملِّيت من الانتظار وحدى كالسنجاب الصائم. خلال الخمس وأربعين دقيقة تلقيت حوالى عشر مكالمات موبيل كلها تحمل صوت خطيبتى وهى تؤكد لى أنها قادمة فى الطريق إن شاء الله.. لكنه الكوافير..

الباديكير.. المرور.. محل البارفانات.. سرحانها فى الطريق وهى تثرثر مع صديقتها ودخولها شارع خطأ.. مجموعة من الشباب العابث اعتقدت أننى أتمنظر بكل هذا الكم من المكالمات فى زمن قياسى حتى أعلن للجميع أن فتاتى لا تطيق الابتعاد عنى. مع أن الحقيقة أننى لا أتصور الاقتراب منها. بعد فاصل من التعليقات السخيفة ورد النظرات الزاجرة التى أسكتتهم، اتصلت بى خطيبتى تبلغنى أنها على وشك دخول الحى الذى تقع فيه الكافيتريا. وبما أننا فى آخر الحى فقد أدركت أن مازال أمامها ما لا يقل عن سبع وعشرين دقيقة حتى تصل، ناهينا عن الوقت الضائع فى العثور على ركنة للسيارة، هذا إذا كانت صادقة فى كلامها أساسا.. ماذا أفعل فى نفسى؟ ربتنى أمى الإنجليزية على احترام المواعيد والناس بدقة. علّمنى عملى كطيار مدنى فى شركة قطاع خاص أن حساب الثوانى فى الجو أهم بكثير من حساب الدقائق. فى السماء هى مسألة أرواح بشر، وفى الأرض هى مسألة مشاعر بشر. لكن يبدو أننى أكلم نفسى. الحقيقة أننى منذ يوم خطوبتى لخطيبتى.. منذ ستة أشهر.. وأنا أكلم نفسى. دائمًا ما تعاملنى هى مثل هذه الفتاة فى المنضدة المجاورة. تتهمنى أننى لا أتكلم عربى. <- وهو أنا بتكلم كورى؟؟؟!!!>

ملل × ملل × ملل. كل هذا الوقت الضائع يساوى رحلة طائرة إلى الإسكندرية وهبوطها على مهلها مع طيار جديد. حوّلت جرس تليفونى المحمول على خاصية الصمت. هذا أفضل طالما أن الكلام والصمت يستويان. بفضل حالة الفراغ المريع الكامل المنغرس فيه أدرت رأسى تلقائيا تجاه الفتاة الوحيدة فى المنضدة بجانبى، فرأيتها كما هى مازالت تزمجر بعنف صامت وقد اقترب الزجاج المسكين من الانشطار والانتحار.

سألتها فجأة بمنتهى الهدوء والأدب..

<- الساعة كام من فضلِك؟>

المفاجأة أتت أثرها. كل زئير الفتاة الغاضبة انقشع فى لمـــح البصـــر وانقلب إلى ابتسامة طفل شفافة أصفى من نهر التايمز.

تكلمنا طويلا..

عرفتنى وعرفتها..

بائع ورد شاب متجول منهك ذابل يلف حولنا. كل عشر دقائق يضـــع وردة على كل منضدة دون كلمة واحدة، ثم يعود إلى نقطة البداية ويأخذ إما الوردة وإما النقود دون كلمة واحدة. أول مرة أشعر بهذا النوع من السعادة. فالسعادة أنواع... أول مرة أشعر أننـــى أطيـــر علـــى الأرض. والأرض أنواع... مع خطيبتى الغائبة أحس أننى أقف على طبق جيلى أتمرجح على سطحه إلى الأبد بلا مهبط. مع هذه الفتاة أشعر أننى أقـــف علـــى ســـحابة صلبة شديدة أوتادها مثبتة بقوة فى عنق الهواء. أتمرجح إلى الأبد ولـــيس عندى رغبة فى الهبوط. أبدًا لم أقصد يومًا إهانـــة أى إنســـان كبيـــرا أو صغيرا. كيف أهين أرواحا أنا مسئول عنها أحيانا! ومع ذلك وجدت نفسى دون قصد أخبىء الوردة التى يضعها الشاب الصامت فى يدى اليمنى تحت المنضدة. أما اليسرى فكانت مشغولة بالتعبير عن انفعالاتى ورسم إشاراتى لشريكتى أثناء حوارنا الذى لا ينقطع.

تتكلم وأتكلم ويضع الشاب وردة وأخبئها.

عرفت أنها خريجة كلية الزراعة وأنها ترعى مشـــتل أحـــد أقربائهـــا. الحديث عن عملها يجعلها أكثر حرية. قالت لى إنها حوّلت المشتل إلى جنة متقدمة بعدما كان مجرد بقعة همجية متأخرة. يبدو أنها متخصصـــة فـــى تحويل كل شىء متأخر إلى جنة متقدمة. أول مرة فى حياتى أسمع عن هذا التخصص. رأيتها ملاكا يرتدى فستانا رقيقا أخضر اللون. ملاك.. هذا أدق تعبير. غضبها كالبرق وابتسامتها إلى الأبد.

تتكلم وأتكلم ويضع الشاب وردة وأخبئها.

قلت لها إننى لا أفعل فى حياتى شيئا غير السفر. خطيبتى التى أنتظرها فرضها علىّ والدى. اضطررت لإرضاءه لأنه مريض. انطباعى الأول عنها ليس إيجابيا. لكنى تعلمت من السفر أن العشرة هى أعدل حَكَم فى الدنيا. ستة أشهر تكفى للحكم عليها رغم أننى لم أقابلها كثيرا. أحيانا رغما عنى بسبب رحلاتى المستمرة وأحيانا رغما عنى أيضًا بسبب تأخرها المستمر وبالتالى لا نتقى أبدًا مثل هذه المرة.. وكل مرة..

تكلمنا وتكلمنا ويضع الشاب وردة وأخبئها.

صحبة ورد صغيرة شكّلت نفسها بنفسها فى يدى اليمنى. انتقلت يدى اليسرى من مرحلة الإشارات الصاخبة إلى مرحلة الصمت التام على المنضدة فى انتظار أمر ما. شعرت برغبتها. مددت يدى اليسرى تحت المنضدة، وتركتها تتحالف مع يدى اليمنى وقدمت صحبة الورد إليها عربون إحساس الأمان. آخر مكالمة محمول من خطيبتى أبلغتنى أن سيارتها تعطلت قبل وصولها بشارع واحد.

أعطيت بائع الورد الشاب كل ما أخرجته يداى من جيوبى دون عدد.

سكتت..

وسكت..

استنشقت هى الورد بكل قوة وكأنها علاج موصوف لحالتها. سألتنى فجأة..

<– الساعة كام من فضلَك؟

– حوالى إلا ربع!>

دلع بنات

لا أحب رؤية نفسى مترددة أبدًا

لماذا أفعل شيئا بالإكراه؟!!

المصلحة لا تهمنى. فالرزق بيد الله وحده. هذه ليست مثالية لكنها الحقيقة.

قبل خمس سنوات كنت أردد هذه المقولة بطريقة آلية، حتى ذهبت يومًا مع صديقتى إلى المسرح. المقاعد الخالية فى القاعة أكثر بكثير من المقاعد الممتلئة. لم يبدأ العرض بعد. شحوب المصابيح يشير إلى اقتراب انطفاء الأنوار الكامل. دقة المسرح الأولى.. الثانية.. قبل الثالثة بالضبط جلس بجانبى شاب حلو حلاوة.. يزيح القمر بطرف أصغر أصابع قدمه ويطرده طردة الكلاب ليحل محله.. ويا بخت النجوم به! جمال معصوم من الخطأ كما أنزل فى الكتاب! الحقيقة أننى لم أركز فى ملامح وجهه. الحقيقة أننى لم أره على الإطلاق فى الظلام، فقد كنت منتبهة إلى العرض تماما لأن هذا النص الصعب كان مقررا علينا فى كلية الآداب. أنا لست عديمة الإحساس، لكن لسبب ما لم يجذب الشاب الحلو جدااااا انتباهى، ولا أعتقد أن رد فعلى مدرج فى قائمة خطايا البشر الآثيمة! كل الأنباء السابقة جاءتنى بأبشع درجات التفاصيل المملة من صديقتى التى تجلس بجانبى، أو التى كانت تجلس بجانبى. فهى الآن تطقطق بكل جسدها من أعلى إلى أسفل وبالعكس كما شوال لب محمّص ملتهب يتقلّى على أقل من مهله فوق شواية الفحم!

بدأ العرض ومعه بدأت أشم رائحة حريق بجانبى لا أعرف مصدره. صف المقاعد كله يرتج من مطرحه كأنه يريد فراق جاذبية الأرض بلا

رجعة. بعد فاصل من الشد والقرص وبِس وهِــش وأف وبــف وتــف.. أخبرتنى صديقتى عن هذا ال "دون جوان" الجالس بجانبى بمنطق "يا ريتنى كنت مكانك!". أدركت وقتها أن رغبتها سيطرت عليها تماما حتـــى أننـــى خفت أن تدعو الله أن يخبئنى عنده إلى الأبد حتى يفرغ لها الجو لتســـتفرد وحدها بالأخ "الدون جوان".. اهتزاز كهربائى سريالى لكل المقاعد فى شو جماعى مؤلم بفضل صديقتى المطيورة. وقفت أنا بمنتهى الهـــدوء والثقـــة منتهزة فرصة أن الصفوف خلفنا فارغة، وأخبرتها بالخطة المحكمـــة فـــى كلمة واحدة بالأمر..

<– بدّلى..>

على بال ما استوعبت صديقتى هول الصدمة وطلبت من الله فى سرها أن يبقينى فى الدنيا لحظة واحدة فقط حتى نبدل الأماكن كانت جملة مهمـــة للغاية قد فاتتنى من العرض وهى للأسف مفتاح المسألة كلها. المهـــم أننـــا بدّلنا وانتهى الأمر.. كان هذا منذ خمس سنوات، وقد انتهت خطة التبـــديل نهاية سعيدة كالأفلام العربى وتزوجت صديقتى "الدون جوان"، لكننـــى ولله الحمد لم أقل "يا ريتنى كنت مكانها! "حتى بعدما رأيته فى النـــور... حلـــو حلاوة.................

فى العام الماضى عرفت أن هذا "الدون جوان" الوسيم جـــدًا يســـتحق نصف اسمه الأول فقط.. فهو "دون" جدًا كمـــا لا يتخيلـــه بشـــر! يســـىء معاملتها باستمرار كأى شمبانزى بعلبته مستورد من أدغال غابات القبائـــل آكلة لحوم البشر، حتى وصل الأمر إلى تفاصيل محرجة للغاية لا داعـــى لذكرها أبدااااا. والنتيجة الحالية زوجة مطلقة تحمل طفلتين وحالة نفســـية سيئة ستترك آثارها على الجميع إلى الأبد.

فعلا الرزق بيد الله وحده..

تذكرت هذا الموقف وأنا على وشك الذهاب إلى مشوار كلـــه مصـــلحة ورزق كبير. لكنه مشوار سخيف ورزيل.. فصاحب الشركة التى أعمل بها منذ عامين يحتفل بعيد ميلاد ابنه الصغير فى المطعم الشهير بالمهندســين. الولد ابنه لطيف، الأم محترمة مهذبة، لكن هذا الرجل المنفوش عبارة عن كتلة من الرخامة المتحركة وعينه فارغة أكثر من اللازم. أعتقد أننى لو لم أذهب سأكون الوحيدة التى أخترق النظام خاصة بعدما وعد صاحب الشركة كل الحاضرين بعلاوات إضافية، أولها هدية فاخرة على هيئة بوفيه لم يره هؤلاء الجوعى فى حياتهم!

لا أحب أن أرى نفسى مترددة أبدا!

أذهب أو لا أذهب؟

هناك ضرورات اقتصادية تبيح المحظورات، لكننى أصاب بمغص حاد كلما أكلت خارج البيت لسبب ما لا أعلمه. وقفت فـــى ميـــدان مصـــطفى محمود فى حى المهندسين قبل المطعم بقليل. وقفت أشاور عقلى بين احترام رغبتى وبين أحكام مصلحتى. كلما زاد ترددى كلما تعصبت أكثر. لا داعى لتكرار مميزات وعيوب كل اختيار. الموعد أزف وأنا مازلت حائرة بـــين كلمتين "أذهب أو لا أذهب!".. والله أعلم أن ضغط ترددى قد ارتفع وفط من تلقاء نفسه، حتى انتقلت العدوى إلى لســـانى وراح يـــردد وحـــده هـــذين الاختيارين بصوت راح يرتفع بالتدريج.. وبالتدريج تحول منظرى الجميل إلى فتاة مجنونة تشخط فى نفسها أو فى غيرها المجهول! كل هذا وأنا فـــى ملكوت غير الملكوت تماما..

فجأة سمعت أذنى صوتا ما تداخل مع صوتى.

صوت رجالى!!

هل يحاول هذا الحِشرى المتطفل فض الاشتباك بينى وبين نفسى؟

بأى حق وبأى منطق؟؟

فاصل مريع من الأخذ والرد والدهشة والاستنكار حتى وقفنا على أعتاب السب العلنى، وأنا لا أفهم أى شىء من هذا الشاب الذى فتحت عينى لأجده متحجرا فوق الرصيف بجانبى تماما.. لم يكن الشاب فى حاجة إلى تصديقى أو تكذيبى علنا، فقد كان على يقين تام أننى فتاة "من إياهم" أستخدم مكر الأنثى فى الاستعباط المكشوف جدا! وأخيرا.. أخيرا.. بعد عذاب.. فهمت أننى أقمت بينى وبين نفسى حوارا علنيا من طرف واحد بعنوان "أذهب أو لا أذهب؟" منذ ثلث ساعة وأكثر، وأنا لا أشعر أبدًا بتحنط هذا الصياد الشاب بجانبى وتحول حالته من منتهى الذكاء إلى منتهى الغيظ؛ لأنه استهلك كل الوسائل التقليدية والمبتكرة والمباشرة فى معاكستى من أول لحظة بدءا من سؤال "على فين يا جميل؟؟"، حتى دعوتى للذهاب إلى مكان مغلق على رواقه!!

أخيرا.. أخيرًا وبعد معاناة مشبوهة.. ابتعد الشاب عدة خطوات هائجا وأعطانى ظهره بعدما اقتنع بنظرته الفاحصة فى عالم النساء أننى داهية من دواهى الزمن..

وسمعته يسب ويلعن بألفاظ لم تسمعها أذنى المتربية فى حياتى، لكنه فجأة عاد

يترحم على وقته الثمين الذى أضاعه مع أمثالى! لكن قبل أن يفارقنى تماما اندفع نحوى كالصاروخ حتى كاد أنفه يلامس أنفى وصرخ فى وجهى بكل خبرة سنينه فى الهلس والسفاله..

<- دلع بنات!!!!>

السلم المقلوب

<– هوايتى الوحيدة فى الدنيا أغنى فى الحمّام>

من حسن الحظ أن صوتى ليس سيئا، بل إننى تقدمت إلــى اختبــارات فرقة الموسيقى العربية لمركز الشباب فى حينا ثلاث مرات، وأخيرا نجحت فى المرة الرابعة لكن الفرقة انحلت..

الكلام عن التدريب فى البيت حلم كبير، فهو المستحيل الخامس فى هذه الحياة. بخبرتى فى الدنيا أعتقد أن هوايتى بريئة جدًا لن تصل إلى درجــة زيادة أعداد الكلاب الضالة المهولة أصلا، لن يتسبب فى تقليع الزرع مــن أراضينا الصامدة ولا فى تراجع مكانة أمريكا على رأس الخريطة الدولية، ولا فى اعتزال كبار وصغار المطربين الحقيقيين والمزيفين، ولا فى لخبطة لعبة الشطرنج وصبغة الجيشين باللون الأسود حدادا على فعلتى النكــراء.. أتكلم أنا على مستوى القاعدة الشعبية عن الغناء الساذج فى دورة الميــاه، وليس عن اختراع إبريق شاى يحكى لصاحبه حدونة قبل النوم!

قبل زواجى كنت أنتظر خروج أبى بفارغ الصبر. ليس لأنه لا يطيــق الغناء، بل لأنه لا يطيق أن يطيل أحد فــى دورة الميــاه خاصــة أثنــاء الاستحمام. عقدة مترسبة عنده عليها ألف قفل وجنزير بسبب اختناقه وهــو صغير بالبخار أثناء الاستحمام. أمى كانــت تحتقــر الغنــاء والتليفزيــون والراديو وأى شىء فى هذا المجال، لأن الحاجه أمى تؤمن أن كــل هــذا مصيره المشئوم هو النار وبئس القرار! وبما أنى وحيد فليس هناك شخص آخر أنتظره حتى يتحقق الجلاء. حتى فى المرات النادرة جدًا التى يخلو لى فيها الجو بعد خروج أبى وأمى، يتكفل القدر الظــالم بتحــريم الاســتمتاع بهوايتى.. المشكلة الأزلية أننى أرتعد من الاستحمام وحدى فــى البيــت. ليست عقدة مثل أبى، هو.. هو شعور سخيف مخيف لا أعرف مصــدره.

وطبعا لم أحاول الاستحمام فى دورة مياه المصلحة التى أعمل بها، أو فى المراحيض العامة فى الشوارع. الحقيقة أننى لم أفكر أبدًا فى تقديم عرض ستربتيز مجانى لعابرى السبيل والمتطفلين من أصحاب النوايا المختلفة..

انتظرت زواجى بفارغ الصبر لأستنشق إيسانس حريتى وأرفع علمى على أرضى الجديدة التى أملكها وحدى. لكن جاء سكنى فى شقة ضيقة فى شارع أضيق العمارات فيه متقاربة أكثر من اللازم ليقيم سورا جديدا بينى وبين هوايتى الوحيدة البريئة فى الحياة التى يدينها الجميع. بناء على واقعة اتصال جارى الذى يغار منى بنمرة بوليس النجدة وتسبيك محضر إزعاج محترم فى البوليس عند الشرطى قريبه، أصدرت زوجتى فرمانا عثمانيا قهريا بتحريم هذه الهواية تماما مهما كانت المبررات والأهداف! وأى محاولة ثانية للانقلاب السلمى أو الحربى من جانبى سيكون ثمنها الوحيد فرارها بكل ما تملك وأملك عند أهلها معززة مكرمة، وتركى وحدى معروفا كالكلب النتن بلا أهل.

السيدة حرمنا لا تريد فضائح وسط العمارة.

بعد ميلاد ابننا الوحيد احترمت نفسى بنفسى وامتنعت، ورحت أستحم وأنا مكتوم تماما وإلا سيستيقظ الصبى الصغير، ويكون جزائى السهر عليه طول الليل حتى الصباح، ثم التأخير على مواعيد الشغل فى اليوم التالى، وما يتبع ذلك من خصومات وبهدلة ومسخرة وخصم فى الحوافز والبدلات والمستنقعات إلى آخره..

حساسية شقية فى الصدر.. طأطأة شعيرات مشيبة فى شعر رأسى.. حولانى إلى خروف أبيض قبل الأوان.. قولون معتل الحال لا ينام.. عصبية ونرفزة وشياط لأتفه الأسباب كزجاجة الصودا المبقللة المنسية فى الثلج من أيام آدم وحواء.. تدخين السجائر بشراهة وابتلاع أعقابها أحيانا.. كل هذا نسف أحبالى الصوتية نسفا ذريا. تشخيص طبيب المستشفى

المجانية أعلن أن هذه المنغصات وسائل رفض واحتجاج مسكين تطوع بها جسدى شريكى فى الحياة بدلا من لسانى القصير الذى لم يذهب إلى فصول محو الأمية..

حتى آدم كان مجبرا على اختيار حواء لأنه لم يكن على الأرض أحـــد غيرها!

مع أنى أستحم فى عشر دقائق لا أكثر بصفتى أسرع من تلطشه نزلـــة البرد وهو أعزل خال من الملابس.. مع أنى لا أغنى أغنية بعينها تتعارض لا سمح الله مع ذوق أى فرد من أفراد البيت والعمارة والحـــى والمدينـــة والجمهورية والدول الشقيقة وغير الشقيقة القادمة من أب آخـــر.. فأنـــا لا أغنى أى أغنية على الإطلاق........... هوايتى الوحيدة أثناء الاســـتحمام هى طلوع السلم الموسيقى من الدو إلى الدو لتدريب قوة صوتى حتـــى لا يصدأ. هذه هى كل المشكلة. فكرت أن أبعث تلغراف إلى السيد الأمين العام للأمم المتحدة بصفتى واحدا من أبناء هذه الأمم، لكن هل هو قادر على حل مشاكل العالم الصغيرة حتى يحل مشكلتى الكبيرة؟!!

مع تدهور حالتى الصحية وتصاعد أبخرة كتمتى الداخليـــة وكحكحـــة أنفاسى وزئير البلغم المقيم إقامة فول بورد فى قفصى الصدرى المزنـــوق، لم يبق لى فى المرات القليلة التى أستحم فيها إلا الغناء سرا بصوت صامت حتى لا أزعج أحدا من سكان المقابر والمجرات. أنا الوحيد الذى أعاقـــب نفسى بنفسى بسماع صوتى وحدى متجردا من الونس والتعليقـــات وحتـــى محاضر البوليس. لكننى لم أعد قـــادرا علـــى الطلـــوع.. طلـــوع الســـلم الموسيقى.. فاكتفيت بالغناء بالعكس من أقل درجة عالية أطولهـــا بطلـــوع الروح فى السلم لأهبط بها إلى الدو الأولى حتى انكتم صوتى تماما ولم يعد مسموحا لى إلا بالغناء الأخرس للسلم المقلوب!

أليف جدا

<– حيوان..

– إنت متأكد؟

– طبعا

– هل كل اخواتك بنفس الشكل؟

– العيلة كلها

– اتفقنا.. إنت أدرى بنفسك..>

أعرف جيدا نوايا هذا الشرير. أحفظ آلاعيبه كما أحفظ تعاريج كف يدى. فهذا الحقود يريد أن يثنينى عن دخول "قسم الحيوان" بكلية العلوم.. أقسم أن هذا الموظف مختل رسميا ومعه شهادة معاملة أطفال رُضّع! فهذا الإبليس يجرؤ على سؤالى أنا عن قسم التخصص!! طبعا "قسم الحيوان" العظيم الذى توارثت عائلتنا النبوغ فيه أبا عن جد. فجدى كان ومازال فلتة عصره وأوانه فى قسم الحيوان. أبى كان رئيس قسم الحيوان فى جامعة أخرى وهو أرقى من تولى هذا المنصب بشهادة كل الإنسانات والحيوانات. بالعقل.. لمن سأطلع أنا ومن سأصاحب؟؟ ابن خالتى حيوان. ابن عمى حيوان. فنحن عائلة متماسكة جدًا ومترابطة بكل حبال العالم. لقد تربينا على النظر إلى الحيوانات فى الشوارع والأقفاص والمعامل والغابات وشاشات التليفزيون والآن قنوات الدِش ومواقع الإنترنت، وتفرغنا لتأمل كل ما أبدع الله فى خلقه والتعلم من الحيوانات المتاحة بقدر ما نستطيع. فالحيوان جامعة مفتوحة بمصروفات رمزية لكل من يريد التعامل مع أخيه

الإنسان. عالم الحيوان هو الوحيد الذى يطبِّق مجانية التعليم بجد ولا يتاجر بشعارات فارغة لا يلتزم بها. انظر حولك وتعلم منه الإبداع على أصوله.

والدى تعلم من كلب الجيران قيمة الوفاء والإخلاص عندما أنقذ صاحبته من حريق هائل كاد يقضى عليها. جدى تعلم من قفص العصافير القابع فى الفيلا المجاورة حلاوة الصباح المشرق، فتعامل مع كل مواقف حياته بالابتسام والتفاؤل. ابن خالتى أسّس خريطة حياته بناء على خريطة قطة صديقه، عندما تسببت مداعباته المستمرة لها بصدق فى إعجاب شقيقة صديقه به وصل إلى حب متبادل، وانتهت المسألة بالزواج وتعمير البيت بمختلف أنواع القطط. وجهة نظر زوجة ابن خالتى أن من يمتلك القدرة على حب الحيوان ولا يخجل فى التعبير عن مشاعره، هو أنسب إنسان تطمئن إليه لأنه يفكر فى غيره ولا يعرف القسوة أبدا.. ابن عمى قصير القامة قضى شهورا طويلة أمام قفص الزراف فى حديقة الحيوان يراقبهم مراقبة دقيقة جدا، وأخيرا فهم طبعهم وربّى فى نفسه حاسة الحذر والقدرة على التعامل مع الخطر المفاجىء. وعرف كيف يقنع نفسه أنه طويل من داخله، وأن من يحكم بالمظهر هو التافه القصير الذى لا يقيم له الآخرون وزنا فى الحياة. وبالتدريج حوّل نفسه من طفل يفطن أعدائه أن أسوأ نقاط ضعفه هو غرقه فى شبر مياة عندما يتعرض للإحراج والسخرية، إلى رجل متيقظ هادىء لأنه لم يعد يخاف الخوف، وأصبح يتفنن فى بعثرة كرامة كل من كان يتفنن فى تحطيمه. كورس تأمُّل الزراف فى القفص كان نصيحة جدى له بمنطق أن من تعلم لغة قوم آمن شرهم..

الحمد لله أن بيتنا واسع يبتلع كل أنواع الحيوانات الوديعة، التى أضفنا إليها منذ عامين سلحفاة صغيرة.. مينى سلحفاة.. ستواصل مسيرتها التربوية معنا عندما تطفىء شموع عيد ميلادها المائتين بصحبة أحفادنا

وأحفاد حيواناتنا إن شاء الله. وبما أننا أعضاء دائمون عند أفراد عالم الحيوان الذين يحفظون بصمات أصواتنا وأصابعنا ورائحتنا وينجذبون إلينا كالمغناطيس، لم نكن نحتاج إلى إبراز كارنيه العضوية قبل تدليلنا لأى منهم. فالحب الصادق الحقيقى يحتاج إلى تفريغ وممارسة وبراهين عملية، وليس إلى مستندات ورقية مختومة بسائل حبر زفر يتبخر وينمحى وجوده من أقل حادث تصادم.

بما أننى آخر العنقود فقد ورثت ينابيع العطف والرحمة بالزيادة، حتى أن عائلتى الصغيرة وكل سلالاتها تطلق علىّ لقب "وديع جدا". أما أصدقائى الذين لم يأخذوا من القرد إلا دمه الخفيف فيسموننى "أليف جدا". فخر لا أنكره.. عندهم حق. فقد وصل بى الأمر إلى قضاء كل وقتى فى إطعام كل كلاب الشارع الضالة، التى تطوعت بدورها لدعوة زملائها من كلاب الشوارع المجاورة. نلعب.. نتكلم.. نتناقش.. نأكل.. كل فى طبقه.. حتى نفرفر من كثرة العواطف وهلع الشوق..

عندما انتقلت إلىّ عدوى مرض خطير من "كابتشينو" أحب الكلاب الضالة إلى قلبى، زارنى جدى فى المستشفى التى أقمت فيها طويلا. نادرا ما يترك جدى مزرعته وبهائمه التى تحبه أكثر مما تحب نفسها. دردش معى جدى قليلا وكان كعادته فى منتهى العطف والحنان. وأخيرا استأذن فى الانصراف. انحنى جدى علىّ ليقبلنى فى جبهتى، لكن أحسست بوجهه يتزحلق بعض الشىء ويغير مساره حتى استقر فمه داخل أذنى وهمس لى..

<– خليك وديع.. بس مش وديع جدا. عيش أليف.. بس مش أليف جدًا عشان ماينقلبش الكابتشينو لقهوة سادة!>

ظلمت مين؟!

كان يمشى فى الشارع فى أمانة الله..

بالتأكيد كان يمشى فى خط مستقيم مثل أى بنـــى آدم. فلمـــاذا يســـارع بالهروب مثل الفأر، أو يمشى بشكل حلزونى مثل الدوامة، أو يمـــد قـــدما ويجعل الأخرى تنتظر مثل الدودة؟

كان يمشى فى خط مستقيم. بَرْجَلُه ضيق. أصابعه حذرة. كعب حذائـــه يقابل الأرض فى موعده. لكنها مقابلة عنيفة. قاسية. وكأنه.. كأنه......

بدون أى سبب تعثر الرجل فى لا شىء. لكن سقط على شىء.. علـــى سن مدبب أشبه بنتوء الفك المفترس اخترق جسده دون مقـــدمات. نـــزف الرجل كثيرًا رغم قوته. تجاوز هو عامه الخامس والخمسين، لكن حســـبة الأوراق الرسمية شىء وحسبة حب الدنيا شىء مختلف تماما. الذهاب إلى أى مستشفى استثمارى كبير ليس مشكلة على الإطلاق. فالأموال عنده مثل حبات السكر، لا يستطيع جيش النمل بحاله التهامها، لكنه أيضًا لا يستطيع مقاومة إغراءها. كونسلتو الأطباء أجمع على عمق الجـــرح فـــى جانبـــه الأيمن، على أساس أن علاجه بعد العملية الجراحية أمر ممكن ببساطة.

انفتحت غرفة العمليات وبدأ العمل. أسرة الرجل فى الخارج قلقة. قلق جاف بدون دموع. بينما كان الأطباء منهمكين فى معالجة اختراقات جانبـــه الأيمن، اكتشفوا بالمصادفة البحتة وجود مشاكل أخـــرى بجانـــب الجـــزء المصاب. فقرروا فيما بينهم الانتهاء من مشكلة الجرح أولا، ثم التفرغ فيما بعد للمشاكل الأخرى لأن الجسد لن يحتمل هذا التدخل المزدوج. فهذه قسوة لن يحتملها الرجل.

عدة أيام قضاها الرجل فى غرفة الإنعاش. الزيارات ممنوعة. زوجته وأبناؤه لم يرهقوا الأطباء والممرضات بالمحايلة للدخول إليه. بعد عدة أيام أخرى انتقل إلى غرفة عادية، وتفرغ الأطباء لمتابعة درجات التئام الجرح. ثم انتهزوا فرصة استفاقته قليلا وأجروا له عددا من الإشعات والتحاليل لمعالجة المشكلة الثانية. أيام طويلة مرت والجرح لم يلتئم بعد. لا يوجد سبب منطقى واضح. كشفت التحاليل أن الرجل مصاب بعدد من الأمراض الأخرى، واحد منها فقط كاف للقضاء عليه منذ زمن بعيد. كل هذا وهو لا يعلم عن نفسه أى شىء. يبدو أن الرجل كان مشغولا بجمع المال أكثر من انشغاله بالاستمتاع به.

بالقضاء والقدر تلوث الجرح فازدادت الحالة سوءًا. مرة أخرى عاد الرجل إلى غرفة الإنعاش. اعتاد الأطباء والمرضى عدم إلحاح أهله فى الدخول إليه ولا حتى الجلوس بجانبه فى صمت. اجتمع كونسلتو آخر مستورد من مستشفى أكبر لعدم قدرة المريض على الحركة، واستطاعوا بعد عناء طويل تنظيف الجرح مما أصابه حتى استقر الحال، ليتفرغ الجميع فيما بعد لمعالجة المشاكل الأخرى المتوالية. لقد امتد طرف الخيط ولا يريد أن ينقطع أبدا.

مرة أخرى عاد الرجل إلى غرفة عادية. من باب التفاؤل والتشاؤم قام الأطباء بتغيير الغرفة لعل المريض لا ترتاح نفسه إليها، علما بأنهم يعرفون جيدا أن كل غرف المستشفى فى هذا المستوى نسخة واحدة طبق الأصل. أيام وليالى والأطباء فى انتظار التئام جرح الرجل فى جانبه الأيمن دون رد. كثفوا جرعات الأدوية، غيروها عدة مرات، تنوعوا بين الأقراص والسوائل والحقن والمحاليل، والجرح لم يلتئم بعد. كأنه لا يريد إغلاق هذا الملف أبدا.. كأنه.......

ألم الرجل لا يحتمله بشر.

هذه الحالة لم تمر على مناهج كلية الطب!

حنان.. الممرضة المسئولة عن مرافقة المريض بدلا من أهله المشغولين الغائبين أكثر من اللازم، تعبت من كثرة السهر ومن هول صرخات مريضها التى تفزعها خصوصا أثناء الليل. وطالما أن العدّاد يعِد، وطالما أن الرجل من أصحاب النفوذ القوى، فلن تفكر إدارة المستشفى فى الاستغناء عن خدماته.

بخلع الضرس عادت حنان ذات الوجه البشوش إلى بيتها فى الصباح لتنام ولو ساعة واحدة دون فزع أو صراخ. عندما استيقظت حكت لوالدها الشيخ عمر كل ما تعانيه مع هذا المريض الغريب الذى يرفض جرحه أن يلتئم. لم يكن الشيخ عمر خريج أزهر، لكنه كثير القراءة فى الكتب الدينية، ينتقى الشيوخ الذى يستمع إلى آرائهم بعناية بالغة. حكيم.. معتدل الفكر.. لا ينخدع بوصلات الصراخ المتواصل والذقون المدلدلة أمتارا من بعض المشايخ المزيفين المتشددين المتخصصين فى التأير على الغلابة والبسطاء والجهلاء.. كثيرًا ما كان يؤم عمر المصلين فى الجامع. هو كبير الحارة.. له طلّة مهابة.. عيناه سهمان إسفنجيان لا يجرحان.. تفوح منه طيبة تكفى خزانات إنسانية العالم أجمع.. طلب الأب من ابنته أن تتمهل دقائق فى الذهاب إلى المستشفى لمواصلة عملها. فالشيخ عمر سيدخل ليصلى العصر ويصحبها إلى هناك لأنه يريد أن يرى صاحبه موظف أرشيف المستشفى.

عرف الأب من ابنته رقم غرفة المريض "أبو جرح حى" كما أطلق عليه العاملون فى المستشفى. ساعة ويزيد وهو يقف من بعيد يصبر

وينتظر خروج ابنته من الغرفة لأى سبب.. أخيرًا خرجت حنـــان وحـــل محلها الشيخ عمر.

تطلع إليه المريض الذى ينازع من الألم فى دهشة. اقترب منه الشـــيخ عمر ووجد لنفسه مكانا بجانبه على الفراش وجلس..

<- السلام عليكم..

- وعليكم..

- سمعت إنك مريض وجيت أزورك

- أنا ماعرفكش

- وأنا اعرفك.. أنت صاحب الجرح الحى اللى مش عايز يلئم

- أدفع نصف ثروتى للى يريحنى ويجاوبنى

- وانا عايز أسألك

- إنت تسألنى أنا؟!!

- سؤال واحد..

- عايز إيه؟

- ظلمت مين؟؟!!!!!!!>

احتقن وجه المريض المُعذب بشدة كأنما لدغته كل ثعابين الـــدنيا التـــى تكتلت عليه فى جراب واحد. وكرر الشيخ عمر..

<- ظلمت مين وماسامحكش؟؟>

سكت الرجل طويلا والشيخ عمر فى انتظاره بصبر جميل. كَش المريض عينيه وكأنه راح فى غيبوبة. لا أحد يعرف أين يتجول عقله وقلبه الآن. وأخيرا رفع أبو جرح حى رموشه بجهد جبار كموظف لص جاءه تفتيش مفاجىء. معركة حامية الوطيس بينه وبين لسانه، كل منهما يريد أن يأتمر الآخر بأمره. وأخيرا انتصر لسانه..

<- أخدت ورثها ورميتها فى الشارع. منعت عنها كل فلوس وأى فلوس. بعت كل شىء لصالحى. ماشوفتهاش قبل وفاتها. مش عارف مين اللى اتكفّل بدفنها.

أنا..

أنا.......

ظلمت أمى!

- عشان كدا جرحك مش عايز ينام ولا ينولك النوم.. يا إما والدتك عايزة تدوقك نقطة واحدة من العذاب الذى سقيتهولها، يا إما عايزة تقرص ودنك عشان تروحلها نضيف، لأنها رغم كل شىء لسه بتحبك وعندها أمل فى إصلاحك!>

- وهى هتغفرلى فعلا؟ يعنى جرحى هيلتئم؟

- المهم يلتئم جرحها هى!>

العب غيرها

هوجة عرابى بشحمها ولحمها دخلت القسم بكامل هيئتها..

كم كبير من البشر لم أميز منهم الرجل من السيدة، فالبشر وقت الغضب ينقلبون جميعا إلى وحوش مفترسة ملامحها قبيحة. كل ما استطعت تمييزه شيئا ما مرتفعا على أكتافهم يتركهم وحدهم يسكنون الدور الأرضى، وقد انتقل وحده من باب التعالى للسكن فى الطابق الثانى. اكتشفت أن منظور الرؤية من الوضع جالسا يخلط كل الأشياء والأشخاص فى بعضها. كل الناس تصرخ فى وقت واحد، يهتفون بالأيدى وبالأرجل وبكل شىء. كيف أفهم ما يحدث إذا كانوا يكلموننى ويكلمون بعضهم فى نفس الوقت! كيف أميز إشارات الظالم من المظلوم، إذا كانت كل الأصابع تشير إلى شىء ما لا أفهمه. هذه الكائنات الغريبة تتحدث معى وكأننى كنت معهم منذ ساعات، والمفروض أننى أفهم ما يقولون وكأننى حضرته بنفسى وأنا مش موجود!

بداية الوردية غير مبشرة على الإطلاق....

اضطررت لتغيير منظور الرؤية. انخلعت من وراء مكتبى حتى أهب فيهم جميعا لعلهم يهبطون قليلا. قصدت أن أتمشى بينهم بمنتهى التؤدة، لعل وعسى تقع عيونهم المكفهرة على نجوم الرتبة النائمة فى وداعة على كتفى لعلهم يرتدعون. المشكلة أن ملامح وجهى الصغيرة توقعنى فى مشاكل لا حصر لها لن أتذكرها أو أذكرها الآن حتى لا أتوتر أكثر. أخذت دائرة كاملة بين كل القادمين ضمن هوجة عرابى، ووجدت نفسى عند مقعدى مرة أخرى فى نفس النقطة والنتيجة صفر كبير! أخيرًا اضطررت للصراخ فيهم صرخة واحدة مستخدما صوتى الأجش، فقد عوضنى الله بخامة صوتى لتنوب عن فضائح وجهى وتلملمها إذا لزم الأمر.

تمام.. جاءت النتيجة إيجابية جدًا وانخرس كل اللاجئين إلى قسم الشرطة فى نفس واحد، وكأن هناك من جذب سكين الكهرباء وقطع عنهم جميعا وصلة قلة الأدب بحركة واحدة.

أعجبتنى اللعبة.

ظللت على نفس التون حتى لو لم يكن هناك ضرورة إلى ذلك. تحججت بعينى التى تتفحصهم على مهلها، واختبأت وراءها حتى أستطيع ضبط نفسى والسيطرة على كل مقاليد الحكم فى يدى. فأنا خريج طازه من كلية الشرطة منذ شهور قليلة، وقد أوقعنى حظى النارى فى حى مفترى، المعجزة فيه ألا يقع حادث مفجع أو خناقة دموية كل خمس دقائق.. عندما أدركت أننى بدأت أضبط الموجة على قناة الضابط الخبرة الشجاع، أشرت إلى رجل فى الأربعينات من عمره ليشرح لى الموقف بمنتهى الهدوء والاختصار. وقد قذفت فى وجهه بتحذير عنيف اللهجة مفاده أنه إذا لم يلتزم بهذا الشرط، فسأقطع لسانه فورا وأختار غيره وأحرمه من فرصة التعبير عن مطالب هوجة عرابى.

قصة طويلة عريضة لا أول لها من آخر حكى فيها الرجل بمنتهى التفاصيل المملة، كيف أن ابنه المسكين الذى يعمل سائقا عند جماعة أثرياء، يلقى أسوأ معاملة من زبانية جهنم الممتلئة جيوبهم بالدولارات واليورو وأحيانا الين اليابانى. فهل هذا عدل؟ هل هذه رحمة؟؟ هل وهل وألف هل سمعتها من هذا الخطيب المفوّه الذى خسرته كلية الحقوق بكل تأكيد. سألته إذا كانت هذه هى الواقعة الأولى ضد ابنك المحمول على الأعناق هذا الغارق فى دمه، أجابنى بعدما ألقاه على مقعدين متقابلين أنها ليست المرة الأولى! وقبل أن أندهش أو أبدى استياءى وعدم اقتناعى، أخبرنى الأب الجريح أن أكل العيش مُر وعلى الغلابة أن يتحملوا كل ما لا يتحمله بشر؛ فهذه ضريبة الأشراف. فى وسط هذه القصة الطويلة العريضة

عرفت أن كل هؤلاء ينتمون إلى عائلة السائق الشاب الذى شربت ملابســه من لون الدم، أما هو فيبلغ من العمر حوالى اثنين وعشرين عاما. ألقيــت نظرة مستطلعة على هذا الكائن المكوّم على المقعدين وهــو غــارق فــى إغماءة طويلة، والدم يشلفط وجهه كلوحة رسام ردىء، وتخيلت للحظة أننى لم أجد واسطة ولم ألتحق بكلية الشرطة، وأن حظى الخبيث رمــانى عنــد هؤلاء الأثرياء وعاملونى نفس المعاملة؟!! بينى وبين نفسى.. من داخلى.. تعاطفت معه. والد الشاب المصاب شهيد لقمة العيش أعلننى فــى الربــع الأخير من قصته الطويلة العريضة، أنه يريدنى من كل بــد أن أســتدعى عائلة مصاصى الدم المتوحشين، وأنه مع ذلك سيكون كريما.. شهما.. ابن بلد ولن يجرجرهم أمام المحاكم، رغم أنه يعلم تماما أن إصابة ابنه تستحق علاج أكثر من واحد وعشرين يومًا بناء على تشخيص الست أم عتــريس داية الحِته. يعنى المسألة جنحة مباشرة وسين وجيم وحكاية طويلة عريضة ليس لها أول من آخر، لهذا سيكون هو الملاك الطــاهر الــذى ســيكتفى بتعويض مالى كبير رغم كل شىء، لأن ربنا لا يرضى بالظلم أبدا..

بمنتهى الغطرسة والحكمة ضغطت بطرف إصبعى على زر المكتــب لاستدعاء حضرة الصول عبد العاطى لأرى إذا كان قد حضر أم لا. فعبــد العاطى يعمل هنا فى القسم منذ خمسة وعشرين عامًا ويعرف كــل كبيــر وصغير فى هذا الحى الحدوتة.

دخل حضرة الصول الذى وصل لتوه ورويت لــه الحكايــة بمنتهــى الاختصار، وأمرته بإحضار هؤلاء الذئاب البشرية من تحت الأرض حتى تأخذ العدالة مجراها. وقد راعيت أن أضغط على هذا المقطع الأخير بالذات مستخدما كل قدرات وإغراءات صوتى الأجش، حتــى تطمــئن جمــاهير المواطنين الغفيرة أن عيون الشرطة ساهرة ولا تغفل عنهم أبدا. فنحن منهم وبهم ولهم...

وبدلا من أن يمد الصول عبد العاطى يده إلى يدى ويأخذ العنوان، فوجئت به يمد يده إلى الشاب المسكين الملخوم فى نوبة إغماءه الطويلة بناء على التشخيص الدقيق للست أم عتريس داية الحِته. وضع الصول يده على خد الضحية ولطمه عدة مرات بلا رحمة.. ما هذا؟؟؟! هل جننت يا حضرة الصول!!! فهذا السائق المسكين هو المظلوم وليس الظالم..

الصول عبد العاطى والحق يُقال لم يلتفت إلىّ أصلا وكأننى غير موجود من أساسه. هل الرجل لا يرى النجوم على أكتافى؟ هل يمتلك صوتا أجشا أكثر منى ولا يهابنى؟؟

ازدادت هوجة عرابى هياجا على هياج حتى أن والد الضحية هدد بإبلاغ البوليس إذا لم نأت له بحق ابنه المضروب ودمه السايح... كيف سيبلغ البوليس إذا كنا نحن البوليس؟! لم أفهم لكنى قلت لنفسى إنها صدمة أب عظيم حزين على ابنه العظيم..

الصول عبد العاطى فى واد وكل الدنيا فى واد مختلف تماما! نظر حضرة الصول إلى الأب نظرة طويلة عريضة ذات معنى لم أفهمها، لكن يبدو أن الأب تلقى الإشارة بوضوح لأنه بدأ يتراجع كالأرنب دون سبب واضح. شمّر الصول المخضرم كُمّه.. وبدلا من أن يضع يده على صدر الشاب الغلبان ليحاول إفاقته، إذا به يضعها فى جيب بنطلونه، فينتفض الشاب المغمى عليه كالنحلة المربوطة فى آستك مطّاط!

أنا لا أفهم أى شىء!!!!

ضحك الصول عبد العاطى ضحكة ساخرة فى وجه الأب المذهول.. ثم كركر وهو يمسك بكتفى الشاب المسكين المنتفض زنهار الآن والمغمى عليه سابقا..

<- شربتوها وافتكرتونى هسافر شهر بطوله زى ما بلغت الواد الاهبل اللى انتو حاطينه عليّا ناضورجى..>

فار الأب الحزين وسب ولعن الدنيا باللى فيها واستشهد بعبارات مؤثرة جدًا كادت تدفعنى لمجازاة عبد العاطى أمام الجميع لأنه لا يوجد أحد فوق القانون..

هنا هدد الصول هذا الأب الألعبان أنه سيستكمل تفتيش جيــوب حبيبــه الصغير إذا لم تتكشح هوجة عرابى من القسم فى غمضة عين. فجأة وجدت كل شىء قد انتهى فى لحظة واحدة وكأننى كنت أحلــم وحــدى بكــابوس مدمر.. انجلت كل الهوجة واستبقى عبد العاطى الفتى الجريح بين قبضــته حتى يخرج آخر واحد، ثم ودعه بصفعة على قفاه المألوف لديه وهو يفلته من بين يديه ويقول له..

<- العب غيرها!!!!!!!!!!!!!!!!!!!!!!!!!!!!>

اتصل على ٠٩٠٠

سأعيش وأموت وفزورة واحدة فقط لا أعرف لها حلا..

لماذا لا تصْدُق هيئة الأرصاد فى نشرتها الجوية يومًا واحدا يوحِّد الله؟!!

كلما أجهِّز نفسى للخروج بسويتر شيك، يتحفنى مذيع النشرة بنظارته الذهبية التى يبدو عليها أنها ترى وحدها دون عينيه وبعصاه القصيرة التى تشبه عصا المايسترو بإبلاغى معلومات سرية خطيرة على الملأ، أنه من المتوقع ارتفاع درجة الحرارة غدا على أساس أن الجو سيكون نار الله الموقدة. منظر الرجل يوحى بالثقة وكأنه على موعد مع الغد ويعرف جدول أعماله بالتفصيل. أسمع كلامه وأخلع السويتر الذى دفعت فى تنظيفه ومكوته ما لا يقل عن ثلاثة جنيهات، وأختار قميصا خفيفا حتى لا أفطس تحت الشمس وأتحول إلى ورقة بخت محروقة!

وبمجرد ما أخرج من بيتى وأترك الشارع والحى كله وأقنع نفسى مرة بعد مرة أن كل شيء تمام والعيب منى أنا، حتى أتأكد بعد فوات الأوان أن كل ما سمعته فى الليل من كلام السيد ممثل هيئة الأرصاد مدهون بزبدة وطلع عليه النهار وساح.. يا خسارة السويتر الذى لم ألبسه ودفعت فيه الشيء الفلانى. يا خسارة القميص الخفيف الذى تبهدل وشرب جالونات لا حصر لها ولا عدد من أمطار الإسكندرية المعروفة بقوة شخصيتها وقراراتها القاطعة؛ فإما أن تمطر بذمة وإما تغلق كل خراطيم المياه العلوية بالضبه والمفتاح. وصلت شغلى وأنا غارق فى مياهى وكأننى جئت سابحا على الأسفلت، وطبعا نلت ما لذ وطاب من تريقة زملائى وقفشاتهم اللاذعة

التى تغتالنى فى مقتل. بعد قفشة وعشرة تحولت كما هو متوقع من موظف محترم قيمه وسيما إلى لُقطة من السماء يتسلى عليها كل من تسول له نفسه التخلص من هموم حياته اليومية على حِس العبد لله!

بعد حوالى ثلاث عشرة عطسة متوالية نفَضَت كل الأوراق من حولى، فتحت التليفزيون لأبصق فى وجه مذيع النشرة الجوية أبو نظـــارة ذهبيـــة مثقوبة وعصا مايسترو سمعها ثقيل. لكنى وجدتهم غيّروا خط الإنتاج تماما واستبدلوا المذكر الخِشن بفتاة جميلة تَهِف كالنسمة الرقيقة على الكلمـــات، تغنيها ككراون قادم من العالم الآخر ولا تنطقها مثلنا كالغربـــان المُحبَطـــة الهاربة من العالم السفلى.. هذه الجميلة بعثت لى أنا بالذات برسالة تحـــذير شخصية، تؤكد فيها كخبيرة فى أحوال الجو وحلاوة الجو، أن الطقس غـــدا سيكون باردا جدا.. جدا. أكثر الله من أمثالها! أكيد سمعتنى هذه الفتاة وأنـــا أقدم وصلة عطس جبارة رغم فارق المكان والتوقيت. أكيد صعبت عليهـــا فقررت أن تأخذ بيدى وقدمى وتنبهنى لأخذ معى البالطو الوحيـــد، الـــذى يتباهى به دولابى والشمسية المعتقة التى ورثتها عن أسلاف أسلافى. تخاف هى أن تدهسنى نكبة أخرى وأنا فى عز شبابى. أكثر الله من أمثالها!

وبمجرد ما أخرج من بيتى وأترك الشارع والحى كله، وأقنع نفسى مرة بعد مرة أن كل شىء تمام والعيب منى أنا، حتى أتأكد أن كل ما سمعته فى الليل من كلام الآنسه المبهرة ممثلة هيئة الأرصاد مدهون بزبدة وطلع عليه النهار وساح.. يا خسارة البالطو الذى نسيته من قرفى فى المتـــرو بعـــدما غرقت فى بحور عرقى بلا عوامة! يا خسارة الشمسية التى ألقيتهـــا علـــى الأرض بكل نرفزة؛ فانخلعت يدها وتمزقت قماشتها بعدما استقرت علـــى زجاجة مكسورة على الأرض لتكتمل أركان المأساة العاطفية والاقتصادية! وصلت شغلى وأنا أطفو فوق رائحتى التى لا تسر عدوا ولا حبيبا وكـــأننى

جئت سابحا فى مياه البكابورت، وطبعا نلت كل تحويشة عمر الزملاء فـــى سخريتهم منى حتى أنهم تراهنوا على أقسى النكات التى تصوِّر ســـذاجتى التى لم ترد فى نوادر جحا! بعد قفشة ومائة تحولت كما هو متوقـــع مـــن موظف محترم قيمه وسيما، إلى بقجة من السماء ألقاها أولاد الحلال ليفرغ فيها المكبوتون همومهم ويرفهون عن أنفسهم قليلا..

فى المساء وفى نفس الموعد فتحت التليفزيون لأبصق علـــى المذيعـــة والمذيع والمخرج وكل المسئولين عن هذه الافتراءات، لكنهم فاجأونى هذه المرة بكهل كبير شيبته عنوانها الوقار. مع الأسف أنا متربى. اضـــطررت على مضض ابتلاع بصقتى داخل حلقى فى الطريق العكســـى، فشـــرقت وكدت أروح فيها! وفى عز السعال والبحث عن أى قطرة ماء سمعت جدى الوقور يتعهد بالله العظيم ثلاثة، أن رياحا باردة قادمة لا أدرى مـــن أيـــن ستهبط عند منحنى لا أذكر اسمه. فالعيب دائمًا من الدول الأخـــرى التـــى تصدِّر إلينا كل المخلفات حتى رياحها الباردة. وقد أضاف جدى من خبرات حياته الكثير من الرغى وزبد الكلام، لكننى مع الأسف لم أفهـــم منـــه أى شىء!! بغض النظر عن إحساسى أننى حمار صغير لأن مستوى الرجـــل أعلى من قدراتى العقلية التى لا تشرف أحدا، اكتشفت أخيرًا أننـــى حمـــار كبير لأننى الوحيد الذى أشاهد النشرة الجوية ببراءة وأمل.. فمنذ زمن بعيد أدرك غيرى أن هيئة الأرصاد تستمد أخبارها من قارئة فنجـــان أميـــة، لا تعرف القراءة ولا الكتابة ولا تملك فناجين أصلا، وقد قدم لها أولاد الحلال فى فصول محو الأمية لعل وعسى تفك الخط وترحمنا! المشكلة أن ملابسى ليس بها مرحلة وسط، فإما شتوى ثقيل تهمة كالجبال، وإما صيفى ســـبور متحرر من كل شىء. وأنا.. كموظف قيمه وسيما.. لا أحـــب القـــرارات

المائعة، أو التفكير بمنطق إرضاء كل الأطراف مهما كان لضمان عدم الخسارة. لكن النشرة الجوية سامحها الله شككتنى فى كل شيء!

فزورة مستحكمة لا ينفع فيها لا تفكير منطقى ولا فص واحد من خاتم سليمان. لم أعد أصدق أحدا.. لا فى النشرة الجوية ولا خارجها. استقلت من عملى. فسخت خطوبتى. قاطعت الجيران. وأقمت لنفسى مباراة اعتزال مبكر لم يحضرها غيرى بسبب إصابة فى غضروف عقلى ومشاعرى المفقود الأمل فى علاجها. وبما أننا فى عصر الفوازير ومسابقات الأسئلة السريعة على خطوط التليفون، التى كادت تأكلنا من فرط إلحاحها فى غسيل عقولنا بسلاح الزغللة والطمع فى الأوهام، تفتق ذهنى عن فكرة الاتصال بكل أرقام التليفونات التى يحمل نصفها الأول (٠٩٠٠) القاسم المشترك بين كل الفوازير، ثم أتسلى بتغيير النصف الثانى من الرقم كل مرة على أقل من مهلى.

الفاضى يعمل قاضى

ركّبت على هذه ال (٠٩٠٠) كل النصف الثانى من أرقام المسابقات حتى أعثر على إجابة لتساؤلاتى، والنتيجة فاتورة تليفون متوحشة خربت بيتى. فتحت الدولاب ولبست الملابس الصيفى والشتوى على بعض. خرجت من بيتى اشتريت بالبقية الباقية من فلوسى كل آساتيك المكتبة، ومسحت من الأوراق كل أرقام الفوازير التى تعبت فى تدوينها ثلاثة أشهر كاملة. مسحتها كما مسحتنى..

أمطار، عواصف، خماسين، حر، براكين.. أنا براءة. أجلس فى بيتى وملابسى كلها حولى. كرامتى محفوظة.. قيمه وسيما.. بقدر ما أستطيع!

الكعبله فى الفسافيس مضيعة
للعمر القصير!!!!



أحب المفاجآت!!

أجمل لحظات حياتى وأنا أسمع استيفان افندى ابن روستى افندى وهــو يقول جملته الشهيرة "أحب المفاجآت" فى فيلم "تمر حنــه". فهــذا الرجــل الداهية يلخص مبدأى فى الحياة بالمللى..

تعودت عائلتى ألا تبحث عنى فى الصباح الباكر. فعادة ما أقوم بتغيير مكان نومى كل يومين أو ثلاثة حسب التساهيل لكن داخل خريطة البيــت؛ فتاة سبور مهذبة لطيفة مثلى تدرك جيدا الفارق بين الانطلاق وقلة الأدب!

أصحابى عِشرة عمرى يحفظون تركيبتى ومنحونى اســمى الحركــى "صاروخ"، فلا أحد يعرف أبدًا ماذا سأفعل ولماذا. يعتبــرون حفــل عيــد ميلادى أعظم مسابقة أوليمبياد فى التفانين، والعبقرى الفائز هو من يُتحفنى بمفاجأة ثقيلة، تظل حديث شعب المجتهدين والعاطلين إلى يوم الدين.

صحيح أننى لم أفاجئ عريسى وحبيبى بطبيعتــى وصــارحته بكــل صراحة، لكن الصورة شيء والعفريته شيء مختلف تماما.. فــى البدايــة شجعنى هو لأن الزواج الشرقى فى العادة مرتع للزهق والقرف المقــرف، حذرته أنا أن المسألة ليست تسلية ولا فعلاً مصطنعاً؛ فالمفاجأة الإجبــارى بالغصب أنتن من رائحة الوردة البلاستيكية الممزقة ألف مرة ! فى البداية أغرانى بالفُسَح والسفر والملابس، لكنه لاحظ أن معدل تفاعلى مع المفاجآت يتقهقر بالتدريج..

-> إيه الحكاية؟؟

- الحكاية مش حكاية مفاجأة، حكاية الهدف ورا المفاجأة..

– عروستى؟؟!!

– العزومات دى مجرد يافطة فوسفورية بنعلقها قدام الناس عشان نكتب عليها "أزواج سعداء"، لكن يا حبيبى .. إيه فائدة إننا بنخرج باستمرار لكن ساكتين باستمرار؟!!

– أنا عايز أسعدك!

– وأنا عايزاك تفهمنى!!>

لا أنكر أن زوجى يحاول دائمًا التنقل من موضوع إلى موضوع. لكنه بمرور الوقت ينقلب إلى سيارة عتيقة صوتها مبحوح سرقت كلاكس مغنية أوبرا سوبرانو لا يتناسب مع طبقات صوتها، فتلخبط حالها واعتزلت إلى الأبد! يومًا بعد يوم بدأ حبيبى يمل من كثرة تغيير مكان نومى، مع أنه لو تذكرنى وهو عائد بوردة بلدى واحدة بدلا من كيس البرتقال، سيدفعنى شوقى إليه لزيارته فى أحلامه بعقد تمليك نهائى لا ينتهى ولا ينفض إلى الأبد..

صحيح لماذا لا أحلم بزوجى؟ أم أننى أراه ولا أميز شكله بين بقية الكائنات؟!!

فى عيد زواجنا الثانى لبست قناع ملاك واختبأت له خلف الباب، وكانت النتيجة خضة رهيبة وليلة طين لم يطلع فيها لا قمر ولا شمس ولا أى تنتوفة نجمة من كبشة نجوم قيس وليلى..

لا أفهم لماذا يسير معظم البشر وراء عقرب الساعة كخياله الأمين؟!

فى عيد زواجنا الرابع كان كل هم زوجى البحث عنى وراء الباب، حتى يرحم نفسه من فصولاتى الباردة كما وصفها هو بكل وقار واكتئاب

فى ساعة صفا.. ناديته من الداخل. أجلس أنا فى قلب الصالة، فـــى عــز النور، أضع وجهى الحقيقى كما أنزل.. انتظرته حتـــى جلــس بجــانبى. أمسكت وجهه بين يدى أتأمله لآخر مرة، فأغمض عينيه بسرعة غريبـــة.. ربما من الحذر.. ربما لأنه ملّ رؤية وجهى الذى لا يعرفه. كان عندى أمل فى لحظة صمت. لكن............ عزمت على إهداءه أغلى وأشد مفاجأة فى حياتى وحياته.

<– يا حبيبى.. النهاردة عيد جوازنا.

– وإيه الجديد؟

– إنت مش فاهمنى.

– وإيه الجديد برضه؟

– فاكر أول هدية فاجئتنى بيها عشان ترضينى.. عصمتى اللى بملكهــا فى إيدى. يا حبيبى.. روح وانت طالق بالتلاتة!>

آخر الحدوتة

فتحت أذنى فى الحياة على حواديت آبلة فضيلة فى الإذاعة المصـــرية، وتعودت أن أضبط عليها كل مواعيد حياتى حلقة بحلقة.

هوسى بالحواديت خصصنى فى مادة الأدب الشعبى. كنت أفضل طالبة فى القسم، وأنا الآن أصغر دكتورة فى الكلية كلها. يومًا ما كنت ضيفة فى برنامج بالإذاعة. ركبت التاكسى فى موعد إذاعة برنامج آبله فضيله، مـــن حسن حظى أن السائق كان غاوى حواديت أيضا. انخلعنا عن خـــزعبلات الدنيا، وسرحنا مع عالم الواد البستانى اللى بيعشق بنت السلطان. الشـــاب الفقير يزرع الوردة بروحه، يرويها بحبه، يهديها مع قلبـــه إلـــى حبيبتـــه الوحيدة. وبنت السلطان جميلة فى كل شـــىء إلا داء الكـــذب.. إذا كـــان السلطان نفسه يكذب، فلماذا لا ترث ابنته عنه نفس الصفة؟!

يومها بكيت بالدموع فى التاكسى.. لأول مرة أضـــطر للتخلـــى عـــن الحدوتة لأن معادى أزف والبرنامج على الهواء. نزلت وأخذت مكانى فى ذيل الطابور الطويل جدًا للواقفين أمام المصعد، وإذا بى ألتفت على صوت قديم أعرفه جيدا؛ صوت اتربيت عليه! هى .. هى آبلة فضـــيلة بعينهـــا!! بمنتهى قلة الذوق والطفولية قاطعت كلامها مع الرجل، واســـتحلفتها بكـــل أيمانات المسلمين أن تكمل لى الحدوتة التى كنت أسمعها فى التاكسى الآن حتى لا تقل مزاجى. ابتسمت هى فى وجهى ابتسامة كبيرة جدًا قد الـــدنيا، وقبل أن تنطق بكلمة واحدة جاء الأسانسير اللعين هـــادم اللـــذات ومفـــرق الجماعات، واستأذنتنى لأن عندها تسجيل وودعتنى دون أن أعرف مصير الواد البستانى والبنت بنت السلطان!!!!!!!!!!!!

انتهيت من تسجيل الحلقة وأنا روحى المستقرة فوق طرطوفة أنفى يركبها ألف عفريت. الحقيقة كنت أريد معرفة نهاية هذه الحدوتة بالذات، فقد كانت نفس مشكلتى مع صديقتى. هى أيضًا كانت بالنسبة لى بنت السلطان، كاملة من كله إلا داء الكذب. الحواديت عندى دنيا داخل دنيا، لا أحكيها لكنها تحكينى، لا ألمسها لكنى أشمها..

دخلت حجرة ابنتى الصغيرة لتسقينى عسل قبلتها قبل النوم، فوجدت عندها حماتى تحكى لها حدوتة.. تسحبت على طراطيفى وهويت مكانى على الأرض أسمع وأتخيل وأنا مبهورة، فحماتى تملك صوتا صوفيا وأسلوبا سحريا فى الحكى ولا شهرزاد فى زمانها. وجدتها تحكى لابنتى حكاية الواد البستانى مع البنت بنت السلطان الجميلة فى كل شىء إلا الكذب.. أخيرًا عرفت أن البستانى أوهم الأميرة أنه يحب ابنة عمه، فاغتاظت وذبلت حتى كادت تموت. وأخيرا اعترف لها البستانى بالحقيقة وعلّمها أن الكذب داء القلوب.. يفريها ويهريها.. يهدمها ويكويها.. يميتها ولا يحييها!

على نهاية الحدوتة كانت ابنتى الصغيرة قى سابع نومه. اقتربت منى حماتى ومسحت دموعى التى سالت من عينى بلا صوت، أخذتنى من يدى، حكيت لها عن صديقتى، وسألتها..

<– تفتكرى هى هتقابل الواد البستانى فى يوم من الأيام؟

– يمكن..

– يعنى هتتعلم الدرس ولا الحدوتة هتكون ملتوتة وتموت بكدبها؟؟>

نظرت لى حماتى نظرة طويلة جدًا وســكتت. تركتنـــى فـــى مكـــانى وسكتت. ناديتها فسكتت. جريت وراءها فسكتت. حلفتها بحيـــاة ابنتـــى أن تكمل لى الحدوته! أخيرًا التفتت إلىّ ووضعت يدها على جبهتى وقالت..

<– يا بنتى.. "كله سلف ودين، حتى المشى على الرجلين"!!>

أصفر كناريا

كان الأستاذ جدى غاوى رسم، وتسبب الله يرحمه فى تحويل حياتى إلى باليتة ألوان لا تطيق بعضها! اسمه فى شهادة الميلاد بكر، لكنه أجبر جدتى حبيبتى أن تناديه بيكاسو، ووافقته هى من باب الرضا أو الحـــب أو.. الله أعلم! طبعا إمكاناته الضحلة لم تسمح له بشراء أكـــوام لوحـــات وألـــوان باستمرار، فكان ينفِّس عن نفسه بكراسات رسمى وألوانى الخشب..

جدى بيكاسو كان يفترش الأرض. ينام علـــى بطنـــه. يثنـــى ركبتيـــه ويشبكهما مرجيحة. يسند خده بكف، وبكفه الآخر يلعب فى أقلام أكثر مـــن خمس علب مجتمعة ليرسم أو يلوِّن رسومات مفرغة. ومع هذا.. وبـــرغم كل هذا.. لو كانت المشكلة فى الرسم كنت اعتزلت المعارض حتى لو كنت أنا بيكاسو شخصيا، إنما المأساة أن جدى كان يلوِّن كل رســـوماته بـــاللون الأصفر.. أيام وسنين قضاها المرحوم فى ترويض أصابعه، حتى امتلـــك حاسة تحكم مذهلة فى درجة اللون بالضغط على القلم، ومعها ارتفع ضغط البيت كله وانرسمت فى أعماقى المظلمة عقدة صفراوية مؤذيـــة، بســـببها كرهت ملابسى الصفراء وصفار البيض وصفار الشـــمس. فكـــرت فـــى الانتحار عندما شخبط مرض الأنيميا على وجهى بلطشات صفراء بغيضة. حرّمت على نفسى العصافير والجوافة والرمال وفانلات فريـــق البرازيـــل بمنطق لكم دينكم ولى دين! والحمد لله أننى رجل ولا ألبس ذهبا..

من حسن حظى أن خطيبتى حبيبتى لا تميل إلى الأصفر، لكن مصيبتى ونكبتى أنها هى نفسها اسمها كناريا! واللهِ ليس اسم دلـــع، لكنـــه القـــرار الرسمى المكتوب فى شهادة الميلاد.. ممكن جدًا أتجاوز عن نطقه حتى لا

يقلِّب علىّ أوجاع الماضى، لكنهم يجبروننى على استخدامه أحيانا فى الأوراق الرسمية والمناسبات وخلافه بعدما تزوجت. حايلتنى حبيبتى بكل الطرق لأنطق اسمها وأنا أبدا..

- <إنت عارف همّا ليه سمّونى كناريا؟

- من بختى الأصفر!

- لإنى رقيقة من صغرى، استقبلت الدنيا بألطف واء سمعوها فى حياتهم.

- وانا دلوقتى عليّا الدور عشان اصرخ بأكبر واء تخرق طبل ودانهم..

- ولما كبرت اكتشفوا إنى رقيقة جدًا ورايقة جدًا جداااااا.

- لكن يا حبيبتى انتى بتكرهى اللون الأصفر..

- إلا درجة الأصفر كناريا!>

لا أعرف ماذا جرى لعقلى؟؟! لأول مرة أنادى زوجتى باسمها وأنا أحمد الله على ولادة ابنتى البكريه. الآن فقط أحب كناريا أكثر وأحب نفسى أكثر وأكثر. وقعت معاهدة صلح مع الشمس الصفراء لأنها على اسم ابنتى وحماتى، اشتريت خاطر الجوافة الصفراء وملأت بها البيت حتى لا تعطس الصغيرة ونعطس كلنا وراءها، وقعت فى غرام البيض وصفاره لأن الكالسيوم حجر أساس مستقبلها، اضطررت لتكرار كلمة الأنيميا الصفراء عشر مرات فى يوم واحد وأنا أكاد أقبل يد ابنتى لتأكل.. بالتأكيد أصبحت "مجنون رسمى" وأستحق عضوية السرايا الصفراء عن جدارة بجوار الله يرحمه جدى!

كبرت شمسى وتختار بنفسها الآن فستان حفل عيد ميلادها الخامس. من سوء حظى أصرت صغيرتى على الفستان الحلو الأصــفر أبــو دانتــيلا صفراء، كالعادة تتحاشانى زوجتى وقت النرفزة! وكما توقعت نزلت ثورتى على مفيش وانهزمت بالضربة القاضية من أول جولة أمام دمــوع ابنتــى الوحيدة.. وأخيرا تدخلت أمها بمنتهى الهدوء وأقنعتها بشراء فستان آخــر كحل وسط حقناً للدماء. ابنتى تبكى ودموعها اللولى تعاتبنى فى صــمت.. لأول مرة فى حياتى أشترى.. بيدى أنا .. فستانا لشمس لونه أصفر كناريا رايق جدااا وأمرى إلى الله يا جدى!!!

أعذرونى

<– متأكد إن صديقك ماختلسش الخزنة؟

– ماعرفش..

– متأكد إن زميلك اختلس الخزنة؟؟

– ماعرفش..

– لو قلت الصراحة هتنقذه ومش هيصيبك أى ضرر.

– عندك ضمانات؟؟

–أقسم بشرفى..>

جرس انتهاء اليوم الدراسى أوشك أن يضرب.. كان هذا منذ خمسة وعشرين عاما.. لسبب ما دخل الناظر الفصل وسألنا فى المقرر الذى لا أذكره لا الآن ولا وقتها.. إجابة زميلى لم تعجبه.. وبدلا من معاقبته وحده أقسم الناظر على عقاب الفصل كله دون ذنب! جاءنا عدد ٢ خرزانة متينة جدًا من نوعية لم يوص عليها لقمان أبدا.. رحنا نفرُك فى سرنا وقد انغلقت بوابات فمنا بكل شرائط بلاستر الدنيا! من هو الأبله الذى يجرؤ على الاعتراض؟؟ بدون أن نرتكب أى جريمة وقف السيد الناظر الشهير بعشماوى يلطِّش خدود الهواء بالخرزانة بمنتهى الافتخار واللذة، فماذا سيكون مصيرنا نحن تلاميذ المرحلة الابتدائية المساكين فى مدرسة حكومية مجانية مسكينة أكثر منا ألف مرة؟؟!

يقترب عشماوى من أول تلميذ.. أعز أصدقائى.. لسان الناظر يتدلدل ككلب الصحراء المحروم من المياه ليال طويلة.. صديقى يرتعش كاليويو

المخبول.. عقرب الساعات نعس فى مكانه فى هذا اليوم الحزين الـــذى لا يريد أن يمر على خير أبدا. عشماوى يقتـــرب.... يقتـــرب.... وقبـــل أن تطرقع أول خرزانة جهنمية على كف أعز أصدقائى بالضبط، انطلق جرس انتهاء اليوم الدراسى فجأة. تحنطت يد عشماوى فى نصف الطريق. أحلى صوت مزعج خرم أذنى فى حياتى كلها. أخيـــرًا ابتســـمت الرحمـــة فـــى وجوهنا، أخيرًا تسول المدرس إمضاء صك الغفران من الناظر، لأن القدر العظيم تدخل بجلالة قدره لينقذنا من العبودية. لكن عشماوى مازال يشاور عقله..

-> لكن يا أستاذ..

زغرلى المدرس

- إخرس إنت!

اقترب منى الكلب العطشان يتمسح فى براءتى..

- لكن إيه يا ولد؟!

أنفاس صديقى البائسة تلفح وجهى.

- يا ولد لو قلت الصراحة هتنقذه ومش هيصيبك أى ضرر.

الصمت الرهييب

أقسم بشرفى..

الناظر أقسم بشرفه. ربانى أبى على الصراحة حتى لو كان فيها قطـــع رقبة. وأنا رجل شجاع. لا أخاف. هو يفتخر بـــذلك أمـــام كـــل العائلـــة والجيران.

– لكن حضرتك دا جرس انتهاء الدراسة للمرحلة الإعدادية، لكن جرسنا إحنا هيضرب بعد خمس دقايق عشان مايدوسوناش فى طريقهم زى السنة اللى فاتت..>

على ما أذكر الناظر أقسم بشرفه، لكن يبدو أن هذه السلعة لم تكن متوفرة عنده فى الأسواق.. عدد ٤ خرزانات مهولة نزلت على كفوف كل الفصل المبلول من الخوف، وأنا وحدى نلت بالخصوص كل ما لذ وطاب من خرزانات الناظر أبو من غير شرف، مع صفعات المدرس أبو عين حمراء، مع ركلات تلاميذ الفصل فى كل مكان دون تفرقة أو إنسانية. الوحيد الذى لم يضربنى هو جارى.. أعز أصدقائى.. لكنه خاصمنى.. خاصمنى حتى يومنا هذا..

<- للمرة الألف.. صديقك اختلس الخزنة؟؟

– ماعرفش

– لو قلت الصراحة هتنقذه ومش هيصيبك انت أى ضرر.

– عندك ضمانات؟!!

– أقسم بشرفى..>

– الصمت الرهيييييييييييييييييييييييييييييييييييييييب!!!!!!!!!

التاء مربوطة غلط..

كنا نملك المال الكافى للاشتراك فى النادى، لكن أهلى لم يكلفوا خاطرهم بإشراكى فى أى لعبة تستوعب طاقتى الزائدة. لم يرفضوا طلبى لأنهم لم يسمعوننى أصلا!

تعودت على اللعب مع أى طفل فاضى فى حديقة النادى والسلام، أقضى معه أو معها الوقت المتاح حتى ينتهى أهلى من قعدتهم فى الحديقة البعيدة. أغلب الأحيان كان يقع فى بختى سميرة وشقيقها الأوسط عمر وشقيقها الأكبر كريم، بمرور الوقت أصبح الثلاثة أهلى.. فرض عمر وكريم ميولهما على شقيقتهما، وأنا معها طبعا بصفتى طفلة وحيدة، بالتالى كان مقرر علينا لعبة كرة القدم قبل الأكل وبعده كل يوم. ولأننى مجتهدة فى كل شىء، ولأننى لا أحب الهزيمة، كنت أدخل بعنف على كل كرة لأعوض صغر سنى عن الشقيقين. ولأنه ليس بين الخيرين حساب، ولا بين الأهل حواجز، اعتدت على الاحتكاك بعمر وكريم بالقول والفعل والتلامس مثل احتكاكى بسميرة بالتمام والكمال.

تذكرت هذه الطفولة المغلوطة وأنا أجلس وحيدة فى بيت أهلى، أغلق حجرتى على نفسى، غضبانة منى ومن الدنيا كلها ومن زوجى القاسى.. كيف يطاوعه قلبه أن ينام وحده فى الصالون منذ شهر ويزيد مع أن زواجنا كله لم يمر عليه غير ثمانية أشهر! أنذرته بالزعل، حذرته من العند، هددته بالغضب، ونفذت وعدى وتركت البيت بلا رجعة فى ستين داهية!

رأسى يكاد ينفجر..

هو متأكد جدًا أننى أحبه.. وأنا متأكدة جدًا أنه يحبنى.. أطفأت النور فى الحجرة تضامنا مع إظلام قلبى المجروح من الداخل. أوقفتنى ذاكرتى أمام مناقشاته البائسة اليائسة معى أنا زوجته بلا جدوى.. قبل الزواج كان زوجى يلاحظ أننى أهمل الاهتمام بأنوثتى الخارجية من ماكياج وملابس وأظافر وخلافه. الحقيقة أنه صارحنى بمنتهى الذوق، ولمّا انعكس احمرار وجهى من الخجل على وجهه، عاد يؤكد لى أن حلاوة الروح هى الأبقى، والأنوثة الداخلية هى الجنة التى لم ولن ينطرد منها آدم إلى يوم الدين.. وضع طبيعى أن أخجل منه فى أول أسبوعين زواج، بالنسبة لى هو رجل غريب.. أو نصف غريب.

رأسى ينفجرررررررررررر!!!!!!!!!!

حاول زوجى معى بكل السبل، حاول إقناعى أنه لا يريد تغيير شخصيتى، لكنه فقط يريدنى أن أعبر عن أنوثتى المكتومة لسبب ما لا يعرفه. خجلى الزائد انقلب إلى عنف غير مقصود، وبعدما استنفذ كل حيل الملاطفة والمسايسة فاض به الكيل، وأعلننى صراحة أنه سيبلغ عنى الإنتربول والبلدية لأن بطاقتى مزورة. فى خانة النوع مكتوب أنثى والحقيقة أنه متزوج رجلا كامل الرجولة قلبا وقالبا.. تذكرت كيف كان عمر وكريم طفلين غاية فى العنف، كانا يعاملان أختهما سميرة أسوأ معاملة، لكن للأسف غير مسموح أن تذهب هى إلى النادى بدونهما، وأنا لن ألعب معهما إلا فى وجود سميرة؛ وأصبحنا فى النهاية مثل كل أولاد الكوتشينة الذين اجتمعوا لسبب ما فى دور واحد..

بدون كلمة واحدة عدت إلى بيتى..

<- إنت لسه نايم فى الصالون؟؟

- منتظر الفرج من عند الله

- لو كنت بتحبنى بجد ساعدنى..

- وهو انا بحبك كدا وكدا؟!!

- هستناك فى العربيه عشان تشتريلى كل لبسى وماكياجى على ذوقك.

- على ذوقى أنا؟ والرجولة..؟؟ والأنوثة المكتومة.......؟؟؟!!

- يا حبيبى كل بنت جواها حرف "ت" مربوط ربّــانى بســر وســحر الأنوثة، الله يسامح أهلى اللى ربطوهالى غلط!!>

الشيخة مستكه دوت كوم

قابلتها لأول مرة فى أول درس تعليم كمانجه.. دخلت قاعة الدرس وأنا مضطربة، فالحب أحيانا ما يسبب ارتباكا شديدا أكثر من الإحساس بالكراهية. لكن كيف أكره وكل الموسيقيين الساكنين داخل قلبى مشغولين بالعزف على أوتار حب الحياة، يهربون به من الموت مثلما يهرب أخى الصغير من المذاكرة.

مشهورة أنا عند الغرباء أننى آليطة جدا، ألعن من قارون وهو يتفقد ثروته المهيبة. المقربون يعرفون أن وجهى كذهب القشرة، يخدع الكثيرين من أصحاب الخبرات الضعيفة والقلوب العمياء، أما هى.. صديقة الكمانجه.. فكانت تحمل فى روحها عدسة مكبرة لا تخطىء. كل ما أذكره أننى أنا الفتاة الخجولة جدًا الكِشرة جدا، تركت كل المتدربين فى قاعة تعليم الكمانجه حتى الدكتور نفسه، واتجهت إليها رأسا وكأنى أعرفها من أيام قدماء المصريين. سألتها عن أفضل مكان أشترى منه كمانجه قديمة لزوم التدريبات حسب ميزانيتى المتواضعة، أجابتنى بسرعة بجمل متآكلة لأنها مستعجلة، فعرضت عليها بمنتهى الجرأة التى لم أعهدها فى نفسى أبدًا أن نكمل كلامنا فى الطريق..

تكبرنى هى بأربع سنوات. فى شهور قليلة كنا قد حكينا لبعضنا كل شىء عن كل شىء، أجمل ما فيها اهتمامها الشديد بالتفاصيل الصغيرة. دموعها قريبة وضحكاتنا أقرب.. سألتها يومًا عن تخمينها لسر صحوبيتنا العميقة، فأجابتنى بعد تفكير ونظرة طويلة فى سقف شقتها..

<- يمكن تركيبتنا الإنسانية الحساسة..>

تلجمنى بساطتها تماما كما تذهلنى شياكتها. بالتدريج أدركت أن الله قد استجاب لدعاء والدتى فى توسيع رزقى بصديقة حقيقية، أعطيها ظهرى بمنتهى الأمان ولا أخاف أن تغدر بى ولو عن غير قصد..

تعرف هى أنه لا يوجد بينى وبين التليفون أى عمار، وغزالتى وأحوال نفسيتى ليس لهما علامة ولا ميعاد، أقترب وأبتعد من أى شيء ومن أى شخص حسب المزاج وليس حسب التربية. لظروف قهرية غبت عن صديقة الكمانجه والإنسانية أياما أو شهورا. كلمتنى هى فى التليفون فشعرت بالسماعة تحترق فى يدى.. لأول مرة لا أعرف صاحبتى! لأول مرة أشعر معها بالبرودة!! بدون أى سبب فاجأتنى هى باعتزالها الكمانجه التى تقدمت فيها كثيرا، وفاجأتنى أكثر أنها اتجهت للتركيز فى العبادة المستنيرة أكثر. سألتها عن سر العلاقة بين اعتزال الكمانجه والاستزادة فى العبادة، فأجابتنى بعصبية أن المفروض نوفر وقتنا وحياتنا لأشياء مفيدة. وهل الموسيقى تضييع وقت؟!! استغربت جدًا أسلوبها المتجهم. قلبى ولسانى تعطلا دفعة واحدة! عقلى اعتذر لى عن إمكانية القيام بمهمته الطبيعية فى التفكير!! حاولت إضحاكها حتى أعرفها من صوت ضحكتها فلم تستجب، عرّفتها بنفسى فلم تعرفنى، ذكرتها بنفسها فلم تعرفها..

تركتها بضعة أشهر وراهنت نفسى أنها ستعود إلى بساطتها واعتدالها بالتدريج. لا أدرى لماذا يخاف الإنسان من نفسه الجميلة أحيانا؟!! طلبت رقمها فأجابتنى بصوت استشعرت فيه رتوش صورتها القديمة من بعيد، أعلنتها بصراحة أنها وحشتنى، فبدونها عرفت لسعة الوحدة.. بعد سنة كاملة سألتنى عن كيفية عمل بريد إلكترونى، سألتها عن الكمانجه فلم تجب، أحسست بعذاب شوقها فى صمتها.. كنت أعرف أنها تضيف المستكه على

كل أكلة لأنها تحبها جدا، فطلبت منها أن تترك لـــى مهمـــة عمـــل بريـــد إليكترونى لها.

<- إياكى تحطيلى عنوان مسخرة..

- إيه رأيك فى.. فى.. "الشيخة مستكه دوت كوم" ؟؟؟

- (لم تنطق)

- أما كلمة السر اللى اخترتها بقى فهى....

- عرفتها .. كمانجه!>

القصيدة ناقصة!

<- لا أعرف من أين أبدًا الكلام؟!!>

جملة يلصقها الناس كطابع البريد الحكومى على المواقف المربكة مع شخص يهمهم. ويا سلام لو كان الحبيب.. يقفز الارتباك فوق حواجز الدنيا ليلعب الأولى بقدم واحدة فوق مربعات القلوب بمنتهى الدلع والشقاوة..

إلا أنا..

أنا الوحيدة التى فتح الله عليها وعرفت بداية الكلام، لكنى.. حاليا.. وفى هذه اللحظة الحرجة.. أغوص برأسى فى مأزق أسود لا أعرف له حلا أو مادة مُظهرة.. معادلة الكون اختلت عندى! صحيح أننى أعيش حالة مادية سيئة، لكننى أدمنت حياة الكوارث وانتهينا.. صحيح أن الناس تخطب ودى طول النهار بمنتهى الأدب وأحيانا بمنتهى الذل، حتى أعثر لهم على تليفون وعنوان مغارة على بابا بصفتى عاملة سويتش محترمة، لكننى.. دائمًا أسمع.. وأسمع.. وأسمع.. لا أحد يهتم بكلامى.. لا أحد يسألنى عن اسمى.. لا أحد يريد عنوانى.. طابع بريد مبلل لا يصد ولا يرد!

بينى وبين رقم اثنين ثأر صعايدة يطلع بالدم.. لماذا أنا فى هذه الدنيا نمرة اثنين؟ هل اهتم أحد بالاطمئنان على صحتى وأنا أموت من السعال والعطس؟؟ هل شكرنى أى إنسان بصدق من كل قلبه على مساعدتى له بصدق من كل قلبى؟؟؟! أى كلمة فارغة ينهون بها المكالمة بعدما تنتهى صلاحيتى ليلحقوا الأهم، فالأناية الصغيرة لا أحد يلتفت إليها بعد العبور أبدا!

قررت.. أن.. أتشجع.. أتكلم.. أكون نمرة واحد! فإذا كانت نفسهم مسدودة لسماع صوتى، فليقرأوا كلماتى فى أشعارى.

عاملة سويتش وشاعرة.. شاعرة وعاملة سويتش.. ما الغرابة فى ذلك؟!! فصدرى محشور بكلام أكثر من ألف دليل تليفون محلى ودولى.

الله يلعن الكتمة وسنينها! ديوان كامل أنجزته فى زمن قياسى.. لكن المصيبة الآن فى القصيدة الأخيرة! ترفض أن تكتمل أبدا.. أبدا.. أبدا! حلفتها بالمتنبى ورامى وبيرم.. يوم.. شهر.. سبعة.. وهى أبدا! خرساء محلك سر.. ناقصة.. ليس لها عمر!

هل كُتب علىّ السكات إلى الأبد؟

وحدى.. وفى عز اختناقى.. ذهبت إلى المسرح.. بدأ العرض السخيف وانزلقت أنا داخل آخر مقعد فى الصف وفى الصالة كلها. فى الظلام ألقيت رأسى إلى الخلف. أدندن.. أبربش.. أصابعى تعبث فى جيبى تحاول إمساك الهواء. بين الفصلين وجدت من ينقر على كتفى.. نقرات أحفظها عن ظهر قلب.. هى.. إنها هى.. آبلة أمينة مدرسة العربى.. صاحبة أجمل وأصفى عيون زرقاء رأيتها فى حياتى..

كعادتها نظرت إلىّ طويلا ولصقت قبلة تذكارية خالدة على خدى، واختفت بلا كلمة واحدة..

انتهت المسرحية.. واكتملت القصيدة الناقصة.. أهديت الديوان لآبلة أمينة بعدما قرأت لها الفاتحة!

الكونت دى مونت شفيقه

طول عمرى يغدق والدى ووالدتى على أخى أضعاف مصروفى النونو. دائمًا كل همه على بطنه. كالعادة نصف السندوتشات مصيرها المؤسف فى الزبالة. ماذا أفعل أنا بهذه الفتافيت المالية؟

مجموعى فى الجمال متوسط ويزيد. مهذبة ولطيفة. نظيفة ومتفوقة. وما ذنبى إذا كان اسمى شفيقه على اسم جدتى لوالدتى؟؟ يهربوننى من الزائرين كبضاعة ممنوعة فى الجمرك. كبرت قليلا وحاولت تقديم نفسى، فنبذونى كورقة يتيمة ممزقة. ذهبت جدتى شفيقة بشرف بعد مولدى بعام، وجئت أنا شفيقه محملة بالعار حتى الآن..

المنظرة بقيادة سيارة الوالد حتى جامعته التى تبعد عن البيت عشر دقائق كانت دائمًا من نصيب أخى الأكبر مدمن الرسوب. وأربع ساعات من أنجح عروض الشحططة اليومية فى المواصلات العامة هى كل نصيب شفيقه المكافحة بامتياز. أحيانا تتعاطف معى نظرات والدتى خصوصا أيام الامتحانات، لكنها تنسى الدنيا وما فيها مع امتحانات شقيقى وتعلن حظر التجوال والحياة.. تكة مفتاح النور ممنوعة لأنها تزعجه. دورة المياه مغلقة منذ الثامنة صباحا، لأن شقيقى بطل العالم فى النوم وقلة الأدب يمكن.. يا رب.. إذ ربما.. إن شاء الله.. يفكر فى دخول دورة المياة بعد ساعتين من الآن!

تليفزيون البيت الوحيد متوقف عن الحياة. حرائق جهنم نزلت دشا على رأسى لأن زميلى الفنى المتخصص فى إصلاح التليفزيونات تجرأ وسأل عن رئيسته الأستاذة شفيقه قبل الدخول.. أزاحنى شقيقى من الطريق

واستقبله بحفاوة وكأنه يخصه! نظرة حائرة من زميلى لحقتها إشارة خفية منى لبدء العمل فورا. اليوم مباراة مصر فى نهائى كأس العالم لكرة اليد. صرخات الناس مع كل لعبة حلوة تفلق رأسى قطبين.

كان حلم حياتى أكون لاعبة كرة يد. كان كل المطلوب توصيل الصغيرة للنادى فى موعد التدريب. لكن تعارض مواعيد التدريب مع توصيل شقيقى الأكبر للسينما فى آخر بلاد المسلمين وفى نفس الموعد بالذات تكفل بفتفتة كل آمالى قبل مولدها..

أخيرا تم المراد وانصلح حال التليفزيون.. ويا دوبك سألحق الشوط الثانى، عزم أخى على زميلى الفنى بالفرجة، فتركتهما بلا كلمة واحدة وجلست أشاهد بقايا المباراة على جنب. زلزلنى استدعاء من والدى ووالدتى بالانسحاب الفورى، لأنه عيب جدًا الجلوس مع غريب وسط كل العائلة!

<- طيب والمباراة..؟؟؟؟؟؟؟؟

- إيه التفاهة دى؟ بعدين!

- طيب.. فى الحالة دى ينطفى التليفزيون قدام الجميع عشان يبقى عدل.

- نعم؟؟؟؟ ونحرم أخوكى من الفرجة ونقل مزاجه!!!>

كانت لحظة فارقة فى حياتى. المشكلة الحقيقية أننى شفيقه مش شفيق.. البنت فى عائلتنا مواطن ترسو درجة عاشرة بدرجة كومبارس. من يومها صمتت شفيقه .. من يومها قررت الانتقام..

بعد عشر سنوات استيقظ الجميع فجأة ليجدوننى فى إنجلترا أحضّر الدكتوراه. بعد أربع سنوات أخرى تلقوا فجأة دعوة لحضور فرحى فى أفخم فنادق القاهرة. منتهى السخرية والغضب على وجه الثلاثة كالعادة. إشارة واحدة من زوجى الثرى جدًا الشاب جدا.. فتقدم رجال حرسه الخاص وقادوهم إلى غرفة منعزلة ضعيفة الإضاءة شبه مظلمة وحدهم تماما. ذهول مخجل وتوجس رهيب..

<- إيه كل الغيبة دى؟؟

- أهلا

- إيه العز دا كله؟؟؟؟؟؟؟؟

- ربنا إسمه العدل..

- بقالنا ساعة محبوسين هنا وأخوكى عايز يروح الحمّام.

- ممنوع!

- ممكن البيه ينور النور نتملى منِّك؟

- تكة المفتاح بتزعجنى!!

- إحنا جاهزين عشان تقدمينا لجوزك المهم ومعازيمه عشان نتشرف بيكى قدام الناس يا دكتورة شفيقه؟

- بعدين!!!>

اللّه يسامحك يا خليل

ما فائدة لاعب موهوب مركون على الخط محروم من الذكريات؟؟! كل يوم أسأل نفسى هذا السؤال كالبندول السفيه..

كل هذا قبل أن يأتى خليل إلى المكتب ويملأ علىّ حياتى.. خليل مصور شاب معرفة مدير الجريدة. ملابسه مدفونة تحت ثلاث كاميرات باهظة جدًا عهدة عليه. خليل قصير نصفه الأسفل مستدير مثل حبة البسلة العملاقة. ابتسامته واسعة جدًا تستوعب القاهرة بعشوائياتها الميئوس من نظافتها ولو بالسحر الأسود.. كل صباح يطل علينا الزميل خليل بوجهه البشوش، ويقدم لنا كينونته حسب تعبيره..

<- أنا خليل. خليل عبد السلام. خليل عبد السلام خليل. أبو چوليا.. عمرها دلوقتى كذا يوم وكذا ساعة. أنا وصلت. أنا ماشى. هموت والعب مع چوليا!>

واستعوضنا الله فى خليل عبد السلام خليل أبو چوليا، واعتبرناه نيجاتيف صورة قفز بالخطأ على ظهر الأرض! وفى يوم العيد الوطنى لبلد الجريدة العربية بالقاهرة مرض المصور الرئيسى، والآن إما التصرف وإما التشرد!

نظرات محتاسة. تهتهات منكوبة. ثم قرار انتحارى بالاستعانة بخليل. موعدنا فى حفل السفارة ليلا وركِّز على سعادة السفير والمطرب الكبير يا خليل.. طبعا لا داعى لوصف كارثة خليل تشرنوبل! العبقرى بكاميراته الثلاث ثبّت المطرب الكبير أكثر من نصف ساعة، ليأخذ له صورة يتيمة وفشل فشلا ساحقا بجدارة، وأخيرا تدخل رئيس القسم شخصيا، وتولى

تصوير المطرب الذى سمعناه يسب ويلعن التصوير وسنسفيل الكاميرا وأبو خاش الحفلة و..و........و...........!!!!!

إعلان رسمى بعدم صلاحية خليل عبد السلام خليل للاستخدام الآدمى. مسموح له فقط التعامل مع حوائط المناطق الأثرية المجمدة. أمرى إلى الله.. اتفقت مع ابن عبد السلام على مقابلتى عند آذان الظهر أمام منزل زينب خاتون الأثرى.. نصف ساعة وأنا أخرج وأدخل كالحبيب المخبول، أفتش عن أبو چوليا المفقود! الحارس نفسه زهق. وراح يمسح أنفه المكفهر الذى لم يطله منديل نظيف من أيام حرب الهكسوس بعنف متنمر..

اللهم بحق هذا الآذان لا تفضحنا بسبب خليل أمام هيئة الآثار قادر يا كريم!

بعد ساعة ونصف جلجلت وصلة صرخات فظيعة، مُحمّلة بتحبيشة منتقاة من أبشع ألفاظ السباب المتنوع من القاموس المحلى الأصلى على الباب.. تحول الحارس ومنديله إلى نسخة دراكيولا المجسمة بالمصرى، وفقد التحكم فى كل الخيرات اللزجة المنزلقة على جانب شفتيه! وخليل افندى.. أبو چوليا.. يقف أمامه بابتسامة مغرية جدًا تغار منها مونااليزة بيكاسو المندهشة..

<- عملت إيه فى الراجل يا خليل؟ الحارس بينتف شعر إيديه زى بقرة هايجة بتفر من السلخانة..

- واللهِ أبدا.. أعلنته عن كينونتى فتجاهلنى، وفضل عليّا الشبشب اللى راح يدوّر عليه عشان يتوضا. فأمرته بالدخول فورا لمدام زينب هانم يبلغها إن خليل عايز يقابلها....

- مدام زينب هانم مين يا خليل؟!!

- مدام زينب هانم خاتون اللى هتعمل معاها الحوار وهاخدلها لها بورتريهات جبارة!!!!>

ثلاث سنوات ومازلت أدفع بالتقسيط ثمن الكاميرات التى دشدشها الحارس.

شىء ما داخلى منعنى من الحقد على خليل. فرغم كل شىء ملأ أبو چوليا حياتى الفارغة ببعض الذكريات والسلام. حتى بعدما عاد إلى مهنته الأصلية مندوب مبيعات لعب أطفال، أتذكره مع كل ضحكة وأقول فى نفسى..

<- الله يسامحك يا خليل!>

اللهم اجعله خير

حتى الضحك أخاف منه.. حاجه تعِل!! نغزة عديمة الـذوق اخترقـت قلبى بشنيور، يحمل على طرفه ميكروبا لزجا لا يموت ولا بالطبل البلدى. ميكروب وراثى اسمه "الخوف من المجهول".. لكن لماذا يكرهنى المجهول حتى أخافه وأرتعش منه بهذا الشكل؟! عمرى ما وجـدت إجابـة.. كلمـا ازدادت وحدتى، كلبش الخوف فى قلبى.

كل هذه الهجمات الشرسة وغيرها شوشرت على ضحكتى الوحيدة التى طلعت منى على غفلة وأنا أشاهد فيلم "إبن حميدو" لعبد الفتاح القصـرى. القصرى هو الوحيد الذى يستطيع إضحاكى برغم وحلة أمطـار الشـتاء، برغم هموم تلزيق الرطوبة فى الصيف. التليفزيون هو تسليتى الوحيدة فى هذه الدنيا، أقتل به الوقت بدلا من الانتحار بيدى على الطريقـة اليابانيـة. استبعدت من قنوات التليفزيون كل شىء.. عزلت نشرات الأخبار الكئيبـة، هجرت كل الخناقات الرياضية، قطّعت كل قنوات الموضه، اختبئـت مـن مسلسلات السذاجة والنكد الأزلى، خاصمت أضـواء السـينما الأجنبيـة، طردت الأفلام المصرية الجديدة شر طردة، غربلت كل الأفلام المصـرية القديمة، واخترت لنفسى حبسا انفراديا يهوِّن علىّ سجن وحدتى.. فضـلت عبد الفتاح القصرى على أصحاب الوسامة والطول والعـرض واكتفيـت بعروضه فقط. هو الوحيد الذى أرتاح لمشاهدته، هو الوحيد الذى أطمـئن لوجوده وأنام على صوته، هو الوحيد الذى أسمح له بالفرجة علـىّ وأنـا أتفرج عليه! معه وحده وله وحده تحدث المعجزة وأسمع نفسى أضـحك!! أضحك لكن دون العثور على دواء للخوف من الضحك. حتـى الضـحك أخاف منه؟؟! دى حاجة تعِل!!

"اللهم اجعله خير".. تعبير دارج مسجل على ختم قلب جـدتى وأمـى ورثته أنا عنهما، شربته وشربت منه قدرته العظيمة علـى قطـع أوتـار الانسجام وإجهاض أى لحظة حلوة من جذورها بعملية قيصـرية قبـل أن تولد..

حان الآن موعد فيلم القصرى. هششششششششششششش.. ماذا جـرى للتليفزيون؟؟ يادى المصيبة.. دا عطلان.. أنا قلت "اللهم اجله خير"!! اللمبة حمراء والشاشة سوداء.. لا صورة ولا صوت.. لا صوت ولا صـورة.. خلعت الفيشة ووضعتها ما يقرب من خمسمائة وعشرين مـرة ونصـف. حايلت التليفزيون. طبطبت عليه. حكيت له حدوتة. اعترفت له بمأساتى فى الحياة. أغريته بكل أنوثتى المفترضة. لطشته بالقلم جامد جدا... ولا حيـاة لمن تنادى!

أمرى إلى الله.. اتصلت بصيانة التوكيل، وفعلا جاء الرجل فى ميعـاده على غير العادة. واللهِ رخيص.. أخذ عشرين جنيها فقط ثمن تغيير دائـرة كهربائية. ابتسمت.. ضحكت على غير العادة من غير فيلم القصرى.. اللهم اجعله خير.. قلبى دليلى على حدوث مفاجأة غير مضحكة بالمرة! لقد طلب الرجل الشريف خمسين جنيها بدل مواصلات، وثلاثين جنيها بدل حبـات عرق نزفها فى عز الشتاء، وسبعين جنيها بدل إجهاد تفكيـر فـى سـبب العطل، وثمانين جنيها بدل تعاطفه مع أمثالى وإصلاحه الجهاز فورا بـدلا من تعطيله يومين بالميت، ومائة وتسعة وتسعين جنيها بدل ضميره الذى لا ينام لإصلاح الدائرة الكهربائية المضروبة ومشقته البالغة فى تركه البـاقى سليما فى حاله دون أن يفرقعه!!!

حسبت الحسبة.. اكتشفت أن شراء تليفزيون جديد أرخص وأكرم بكثير. وحشتنى أفلام القصرى حبيبى، وحشتنى جدا.. كـان يضـحكنى ضـحكة واحدة، لكنها ضحكة أحتاجها. أخاف منها وأحتاجها، لأنه لا يوجد غيرها.

اتصلت بصديقتى الوحيدة لأسألها عن الماركات والأسعار والمحـلات والنقل والمواصلات وخلافه. فى الحقيقة أجابتنى إجابة مفحمة، ومن الآخر اكتشفت أنها هى الأخرى لا تعرف أى شىء..

<– ماتقلقيش.. نصيبك مستنيكى. بس انتى فتحى عينيكى كويس!>

قدماى اشتكت من كثرة اللف وقادتنى وحدها لأدخل إلى محل لا أعرف اسمه. لم تجذبنى ماركات التليفزيونات المعروضـة، بـل سـحرنى هـذا الكرسى الخالى الذى ينادينى بكل شوق لأرتمى فى أحضـانه. جلسـت.. وجلست.. ثم جلست.. وأغمضت عيناى.. هششششششششش.. ماذا جرى لعينى؟ إنها لا تعمل. البياض أحمر والدنيا سواد. لا صـورة ولا ديـاولو. فركت عينى وفعصتها ما يقرب من خمسمائة وعشـرين مـرة ونصـف. سايستها، بللت رموشها، رجوتها بصوت عال، تأسفت لها على جهلى فـى الحياة، استحلفتها بكل أنوثتى المكبوتة، خبطتها خبطة جامـدة جـدا... ولا حياة لمن تنادى!

انتظرت لحظة طويلة وحاولت بأظافرى سحب الرمش الغريب الـذى طرف عينى بكل هذه القسوة. أحسست بمنديل ورقى يلامس أصابعى كنجدة ناعمة جاءتنى من الفراغ. غريبة! المنديل رائحته حلوة مختلطـة برائحـة أجمل قادمة من أرض المجهول. هل سيحرمنى القدر من نعمة البصر، من نعمة الضحكة الوحيدة التى أضحكها مع عبد الفتاح القصرى؟!

اللهم اجعله خير..

أحسست برائحة المجهول تقترب منى، أصابع حنونة تستلف المنديل من أصابعى، وتمسح بين رموشى بكل خبرة ورقة، وكأنهـا تملـك خريطـة لمجاهل الصحراء الواقعة داخل عينى.. امتدت الأصابع على مهلها بالراحة جدا، وسحبت الرمش الغريب المنبوذ المغروس فى اللنى على جنب عينى. وقت طويل وأنا أكافح فى الخروج من بحور الدموع، حتى نجحت أخيـر وبدأت فى فتح عيناى بصعوبة. سمعته يقول لى..

<– ماتفتحيهاش مرة واحدة.. على مهلك عشان ما يخطفكيش الضوء.>

على مهلى فتحت عيناى.. أحاول أن أراه.. أجاهد لكـى أراه.. رأيتـه واقفا بجوار التليفزيون الذى دوخنى منذ الصباح. عيناه.. عيناه فيهما نفس طيبة عبد الفتاح القصرى! ابتسم فابتسمت، ضحك كثيـرًا فضـحكت أنـا ضحكة واحدة.. وكمان ضحكة واحدة.. وكمان ضحكة واحدة.. أول مـرة أضحك بلا خوف. أول مرة لا أخاف من الضحك. أول مرة لا يخاف منى الضحك..

"اللهم اجعله خير"!

النوم سلطان

<– أهلا وسهلا..

– أهلا..

– وسهلا..

– وسهلا

– شرّفت

– الله يشرّف مقدارك

– شرّفت حضرتك متأخر يا سعادة الباشا؟

– متأخر؟!!

– يا سعادة الباشا؟

– أنا ماتأخرتش

– لأ دا انت اتأخرت أكثر من اللازم

– اتأخرت؟؟!! أنا..؟؟؟!!!!!!

– آيوه انت..>

فتح مديرى حقيبته.. أوراقه السرية من عائلة محافظة لا تنكشف على غريب أبدا. أدار الأرقام السرية ناحيته، لفها، ضبطها، وفتح الحقيبة. رنة قفل الأسرار الجليل لها شنه ورنه، لا يعرفها من لا يعرف قيمة أوراق الحقيبة. أخرج مديرى أوراقه ورقة.. ورقة حتى آخر ورقة. رصهم جميعا أمامه مثلما رصنى أمامه من قبل. لا أتحرك.. لا أتنفس.. لا أرمش. ساوى

الرجل أطرافهم بمقياس المليمتر، قلبهم على ظهرهم كالحشرة المستكينة. نظر إلىّ نظرة طويلة جدا، تأمرنى أن أتكلم، وفى الوقت نفسه تحذرنى أن أسكت. أنا لا أفهم أى شىء! كل ما أعرفه أننى أعرف مديرى الجبار منذ سنوات طويلة. الناس كلها ترتعد من ذكر اسمه، وأنا أرتعش من عدم ذكر اسمه. لو مر علىّ يوم دون أن أراه، أحس أن شيئا ما ينقصنى فى هذا اليوم، لا أكل، لا أشرب، ولا أكون أنا نفسى. هذا البعبع الذى يفرفر أمامه جميع موظفى الشركة كما الفرخة الدايخة، أحترمه أنا من كل قلبى، وقبل ذلك أحبه من كل روحى. الرجل الحقيقى مثلى يشعر بالرجل الحقيقى مثله. البعبع عملة نادرة مثله مثل المرحوم أبويا. تتصور أنه يهملك، يحتقرك، لا يراك من فرط ضآلتك، مع أنه يوفر طاقة عينيه ليرسم لك المستقبل، يراك من كل زاوية بنور قلبه الموصل رأسا من نور الجنة الذى لا ينقطع تياره مطلقا قبل وبعد دفع الفاتورة.

هو.. رجل شديد بمعنى الكلمة، قلبه حديد بمعنى الكلمة. لا أحد يفهمه مثلى، فأنا أقرب إليه من خياله. حارسه الخاص الذى لا يفارقه مهما حدث. يضعون على قميصى فى الشركة بادچ "حارس أمن"، لكننى من داخلى أشعر أننى مظلوم، أشعر أننى أستحق أكثر من ذلك. لابد أن لى مهمة أخرى فى هذه الحياة، أهم من الوقوف متصلبا كزهرة الصبار بالطول خارج حدود الصحراء على باب غرفة مديرى المرعب. ما هذه المهمة الجليلة التى تنتظرنى؟ لا أعرف.. بجد لا أعرف.. لكنى أعتقد أنه هو الذى يعرف. كثيرًا ما سألنى عن أحلامى ولم أرد. يسأل هو فى صمت، وأجيبه أنا فى صمت.

أعتبر نفسى أهدأ حارس أمن تقابله فى حياتك، بلا شكوى، بلا مسدس، بلا خطر، بلا عمل، بلا أى شىء.. لكنه يحتاجنى.. أعرف أنه يحتاجنى فى كل وقت. مديرى الوحيد وأعرفه مثل كف يدى. مكلف أنا بمرافقته

أحيانا، ومرافقة أبنائه الصغار كلما أمر هو بذلك. رجل مثلى يعرف حدوده الطبقية جيدا مستحيل يعتبر صغاره مثل أخواتى الصغار، لكنـــى أخـــاف عليهم فعلا من كل قلبى كأخ أكبر غير شقيق. فأحكام القلب لا تعــرف إلا الديموقراطية المثالية بجد!

فتح مديرى حقيبته.. أخرج كل أوراق عمله من الجيــوب الســحرية، وطلب منى ولاعة فأعطيته كبريتى. غطّس علبة الكبريت كلها فى كــوب الماء أمامه، ثم أخرج عود ثقاب غارقا فى مياهه. ظــل مــديرى يــروح ويجىء به على جانب علبة الكبريت التى ابتلعت مياة كوب المياة من كــل جانب، والغريب أن عود الثقاب اشتعل فعلا! بل وصنع منه حلقة نار كبيرة لا أعرف مصدرها، وإذا بمديرى الرهيب يمسك بكل أوراق عمله الســرية الجليلة ويرميها فى النار كلها دفعة واحدة!!

مستحيل أن يكون الجنون المجنون تجرأ وأصاب هذا الرجــل البعبــع، فهو العقل ذاته يمشى على قدمين.. لابد أن عنده حكمة فــى ذلــك.. إنــه الحكمة نفسها.. نظرت فى عينيه ورأيتها تعترف لى فى صمت أنه تعب.. تعب من العمل أكثر من اللازم ولم يعد يحتمل التعب!

لا أملك أنا حق الاعتراض.. ولا الموافقة.. وقفــت مــذهولا مبلــولا مشتعلا من داخلى كرماد الأوراق التى انتهت حياتها فى لمح البصــر. لا أملك أنا حق مغادرة المكان إلا بإذنه. تقدم مديرى الرهيب نحوى، سحبنى من ياقة البدلة الرسمى، وزرعنى أمامه على كرسى صغير يقابل كرســيه تمامًا، بلا حواجز، بلا متاريس.. لا تفصل بيننا إلا منضدة صغيرة جــدا، أعرف أنا أنه يحب هذه المنضدة الصغيرة من كل قلبه. مــديرى الرهيــب يفترسنى بعينيه وجها لوجه. فجأة وجدته يخرج كل ما فى جيوبه. محفظة.. مفاتيح.. نقود.. منديل.. بقايا لب.. كل ما يملكه وضعه أمامى على هــذه المنضدة.. واحدة.. واحدة.. أنا لا أفهم أى شىء! وهو لا يريدنى أن أفهــم

أى شىء!! لم يسمح لى أن أسأل ولو فى سرى. مالى أنا ومال ممتلكاته الخاصة؟؟!!؟؟!! فأنا لست من عائلته الكريمة ولا يجوز لى ميراثه! حاولت أن أغادر الغرفة وأفلت من قبضة المنضدة، فكاد البعبع يقتلنى! حاولت أن أمد يدى لألحق المحفظة قبل أن تقع على طرف المنضدة، فضرب الرجل يدى وكاد يخلعها!! حاولت أن أستخدم المنديل لأجفف عرقى، فنتشه منى بلا رحمة!!! إنه يأتمننى على جيوبه وممتلكاته ونفسه بشرط، أن أبقى أمامه على حياة عينه!! تفسير غريب لكنه الوحيد.. لكن لماذا أنا؟ هل لأنى أحبه، أم لأنه يحبنى؟ فأنا مجرد حارس أمن كما الساعة المخدوشة العاطلة عن العمل، لا أقدم ولا أؤخر ولا أدق ولا أصلح لأى حائط..

<– شرّفت حضرتك يا سعادة الباشا؟

– لأ دا انت اتأخرت أكتر من اللازم

– اتأخرت؟؟!! أنا..؟؟؟!!!!!!

– آيوه انت..>

– أقسم لك سيادتك إنى ماتأخرتش أبدا>

استيقظت من نومى مفزوعا مصفرا محمرا كالطاووس المنزوع الألوان.. أين الساعة؟ أين أنا؟ لقد تأخرت عن موعد ابنه الصغير، ومستحيل أن يذهب ابنه إلى الدرس بدونى. بدلا من الذهاب إلى بيت البعبع، احترمت نفسى بنفسى من نفسى وذهبت بكل خجلى وعرقى إلى الشركة ويداى مشغولتان.. يد أضعها على قلبى الذى غادر مكانه من الخضة بلا رجعة، ويد أمسك بها ورقة استقالة تحمينى من غضب مديرى الرهيب الذى لم يعترف لأحد بتعبه من العمل بعد..

طرقت الباب.. خيل إلىّ أننى أسمع كلمة "ادخل".. هل أصدق أذنى وأكذبه هو؟؟!! دخلت بدون تأكد لأول مرة وآخر مرة. أشعر أننى أمشى على يدى وليس قدمى. وصلت عنده.. كان يجلس أمام منضدة صغيرة جدًا أعرف أنه يحبها جدا.. لم يرفع هو رأسه، ولم تتجرأ عيناى لتنظر فى عينيه.. بكل استسلام وصمت وكسرة عين وضعت أمامه ورقة الاستقالة. قرأ الورقة.. مرة ومرة.. ومرات....... رفع عينيه من فوق خشب المنضدة وأوراقه المكدسة فوقها، أمسكها وكوّرها بين يديه ثم هرسها وألقاها كلها فى سلة المهملات! لأول مرة أراه يكلمنى بعينيه ولا يسألنى، ينتظرنى ولا أنتظره..

<– أهلاً وسهلاً.. شرّفت حضرتك؟؟!!

– ....

– لولا انك اتأخرت وماوصلتوش كان زمان إبنى الصغير راح ضحية الحريقة اللى مسكت فى بيت صاحبه بسبب ماس كهربائى..

خرجت من عند مديرى الجبار. أول مرة أرى دموعه المنحوتة من صخر الجبال تزور وجهه. كل المكاتب ليس لها سيرة إلا استقالته المفاجئة من كل هيلمانه العظيم.. فتحت ورقة استقالتى التى اعترفت فيها بتأخرى عن ابنه، لأننى نمت كثيرًا أكثر من اللازم. أول مرة فى حياتى أصحو متأخرا عن موعدى، بس أنا معذور.. فقد كنت أريد معرفة آخر الحلم.. جرت عيناى على نهاية ورقة اسقالتى التى أشّر عليها مديرى الرهيب آخر تأشيرة فى حياته.. لم يقبل الاستقالة ولم يرفضها.. بل كتب فى آخر الورقة..

<– نقبل عذره لأول وآخر مرة فى حياته.. معذور.. النوم سلطان"!!!>

ست الحسن

كان ياما كان.. فى سالف العصر والأوان.. كانت تعيش بنت جميلة ملكة بين الرجال.. كانوا يسمونها ست الحسن والجمال..

متأسفين خالص للراوى الشعبى المجهول صاحب هذه الكلمات الجميلة، لأنه طبقا لحكايتى أنا ستتهد كل أوصاف الجمال فوق رأس ست الحسن والجمال بعون الله. المسألة أكبر بكثير من غيرة بنت تحكى عن بنت أجمل منها، حتى لو كان ست الحسن هذا اسم الشهرة فقط وبطلة الحدوتة تشبه أخونا عبد العال!

متأسفين خالص لعبد العال على جرح مشاعره، ولكل من يعرف الحدوتة بوجهها الحقيقى لأن الحقيقة علقم، ولكل من لا يعرفها لأن السرحان فى الأوهام أضل وأمَرْ بمراحل!

كان ياما كان.. فى بيت الجيران.. كانت تعيش بنت جميلة، مضطرين نسميها بنت الجيران.. فى البداية اعتقدت أن الجمهور يطلق عليها لقب ست الحسن والجمال، وفى النهاية اكتشفت أن اللقب منحة ذاتية ألصقته ابنة الجيران بنفسها بالإكراه، مع أنه لا يقدم ولا يؤخر تماما مثل منحة عيد العمال! لم نكن يومًا أصحابا.. ست الحسن وأنا.. تكبرنى هى بشوية سنين.. هذه الحقيقة طبقا لأوراق شهادات الميلاد، لكنها حقيقة منزوعة الأهمية والدسم عندها، فقد كانت تعتبر نفسها أصغر من شقيقتى الصغرى التى تبلغ من العمر سبعة عشر عاما. بالأمس احتفلت ست الحسن بعيد ميلادها المجهول فى طابور الأعداء، لكن لو علمنا أننى الآن أبلغ من العمر ثلاثين عاما، فهذا يعنى أن ست الحسن التى عادت إلى بيت العيلة

مطلقة منذ ثلاث سنوات تبلغ من العمر الآن كذا وثلاثين عاما.. قبل زواج ست الحسن حاولت صداقتها لأن الباب فى الباب. بعـد طلاقهـا جربـت التعاطف معها لأن الشباك فى الشباك! لكن النتيجة دائمًا تظهر فى كونترول الإنسانية واحدة لا تتغير. لا يوجد عمار بينى وبين ست الحسن، أو بينهـا وبينى لزوم الأدب واحترام فارق السن. لو كانت هذه هى النتيجة، فواللهِ لا أعرف لذلك سببا على الإطلاق.

كلما سألت والدتى عن السر تسكت وتبتسم.. تبتعد ولا تجيب.. لو كانت حرارة الاتصال بيننا مقطوعة لأى سبب من الأسباب، فلماذا أشغل بـالى بست الحسن وسنين ست الحسن؟! كنت على وشك أن أنطح بـاب الشـقة برأسى وأنا أسأل نفسى هذا التساؤل، أحاول الهروب من عينيها التى ألمح شرارتهما من العين السحرية لباب شقتهم. لـو كانـت سـت الحسـن لا تستلطفنى، فلماذا تراقبنى فى كل حركاتى، ولماذا أشغل أنا نفسى بها إلـى هذا الحد؟! فى عيد ميلادها ذهبت مع عائلتى كلهـا بربطـة المعلـم لأداء الواجب، هنأتها على العام الجديد مع تحاشى ذكر أرقام السـنين أو سـيرة الطلاق تماما.. ثم هنأتها على العدسات اللاصقة الزرقـاء الجديـدة التـى تضعها جديد.. امتعضت جدًا ست الحسن ولوت شفتيها المجهولتين، ظنـت هى مع خالص الأسف أننى أستذكى عليها بفعل مكر تاء التأنيث! فقد اتضح أن ست الحسن عادت بهما بعد طلاقها منذ سنوات، وأنا ولا كأنى موجودة ولم أقف يومًا فى دورى فى طابور المعجبات بها الأقل حـلاوة وجاذبيـة وسكس!

اخترت أكبر بكرة بلاستر ووضعتها على فمى بقية حفلتهـا المملـة.. الوحيدة التى لاحظت أننى ابتلعت لسانى رغما عنى كانت خالتى الكبيرة.. انتظرتنى خالتى حتى اليوم التالى لأنها باتت عندنا. وانتهزت أنـا فرصـة

ذهاب الكل إلى مدارسه وعمله ونوم أمى، وأخذت إجازة عارضة بـــدون إذن وتربعت بجانب خالتى وأنا صامتة. حاولت هى بكل جهدها فك طلاسم فزورة ست الحسن بصعوبة بالغة، وراحت تجرجر معى كلام.. بعد تـــردد وخجل حكيت لها حكايتى وأنا أعانى معاناة المصاب بإمساك مزمن!! حتى الكلام عن ست الحسن متكعبل داخلى، فى ألف سلسلة ضيقة الحلقات جـــدًا مفاتيحها ضائعة.. ضحكت خالتى الكبيرة على هذا التشبيه الكبير، وخيرتنى إما بالبحث عن المفاتيح، وإما باستخدام الزيت لزفلطة السلاسل من داخلى، وإما باستخدام طفاشة اللصوص حتى لا أسرق نفسى من نفسى!

بدون سبب وجدتنى أبدًا الكلام عن ست الحسن بصيغة كان ياما كان.. وكأننى وضعتها فى خانة الأساطير دون أن أدرى. توسلت إلـــى خـــالتى الكبيرة أن تساعدنى وتحررنى من انشغالى المميت بهـــا، فأنـــا لا أطيـــق الاستعمار وتدخلاته المؤسفة من يومى. سكتت خالتى طويلا، وتكلمت أنـــا كثيرا. صحيح كلام ملخبط مخلبط مرتبك الإيقاع، لكنه كلام محبوس فـــى القمقم.. عاصفة ذكريات من التفاصيل الرفيعة جدًا تجتاحنى من داخلـــى، حتى سمعت نفسى أصف حتى نظرات عينيها واتجاهات رموشها!

انتظرتنى خالتى الكبيرة.. صبرت علىّ حتى أعثـــر علـــى مفـــاتيحى بنفسى.. لم تقاطعنى ولا حتى بسؤال..

<- هو انا ليه شاغلة نفسى بست الحسن لدرجة الهوس؟!

- إنتى خايفة..

- عليها؟؟

- منها..

- أنا خايفة منها؟؟؟!!!

- من جبال الحسد الأسود المدفوقة جواها..

- حسد؟! ست الحسن تحسدنى أنا؟!

- بتحسد الناس بصفة عامة وبتحسدك انتى بصفة خاصة.

- لكن دى ست الحسن! وظيفة كويسة.. تجربة جواز.. حلاوة معقولة.. علاقات كتير.. عيلة قوية وأنوثة مُعبرة..

- بتحسدك عشان بتخاف منك.

- منى أنا؟!؟؟!!!

- أعذريها.. ست الحسن بتكره نفسها!>

إلى هنا عجز خيالى الواسع عن فهم كلمات خالتى الكبيرة. بالأمانة اعتقدت أنها ترفع من روحى المعنوية، حتى أتجاوز مرض إدمان ست الحسن. لكن خالتى التى ربتنى قرأت شكوكى فى عينى. وحكت لى خالتى الكبيرة.............

<كان ياما كان.. أيام زمان.. تزوج شقيقى ست جميلة بدر، من حلاوتها الزائدة كنا نسميها ست الحسن.. لكن الغريب أن دخولها بيت العيلة وعيشتها معنا فتح علينا كوارث العالم كله! فى البداية اعتقدنا أنها مصادفة، ثم أقنعت أمى نفسها أن العروسة احتمال تكون قدمها وحش على البيت. حتى أنا أصابنى مرض غريب أرقدنى شهرين وأكثر، وإلى الآن لم يعرف أحد سبب مرضى المجهول! وفى يوم زارنا شيخ الجامع القريب من بيتنا فى بيت العيلة، وحكى له والدى عن سيل الكوارث الذى يصيب كل

أفراد العيلة. وضع شيخ الجامع رأسه بين يديه، وبدا شاردا مهموما علـــى غير العادة وهو المتحدث اللبق جدا. تغير وجهه واصفر حتى اعتقد والدى أنه يموت.. ترك والدى الشيخ حتى يأخذ وقته مع نفسه، تركه حتى رفــع رأسه من نفسه وقال..

- كل أفراد العيلة نجمهم خفيف.. فيه روح حسّـــادة رشـــقت جـــواكم بتستكثر الدنيا عليكم وعايزة تعيش بدلكو كلكو!!!!>

بخلاف الإكثار من قراءة القرآن والصلاة وخلافه نصح شيخ الجـــامع والدى نصيحة غريبة.. نصحه الشيخ بطلاء البيت وزحزحة كل شيء من مكانه مهما كان ثقيلا، مهما كان راسخا فى مكانه كجبل الجيوشى. أوصى الشيخ والدى بالاستعانة بنقاش خبرة حسن السير والسمعة مهما تكلف مـــن أموال، بشرط ألا يحاول أحد المبيت خارج البيت طـــوال فتـــرة الطـــلاء الجديد!

وقد كان..

أكثر من شهر والنقاش الكبير يزحزح مع صبيه كل قطعة فـــى عفـــش البيت ونحن فيه، كانت العيشة وسط الطلاء صعبة بمعنـــى الكلمـــة، لكـــن الكوارث التى مازالت تنهال على البيت أصعب وأصعب. ولأننى مريضـــة تركوا غرفتى لتكون الأخيرة، واضطر النقاش أن يعمل مع صـــبيه وأنـــا تقريبا نائمة فى عالم آخر، إلا من بعض اللحظات القليلة التى أستفيق فيهـــا من مرضى المجهول.. أستفيق من نفسى بدون سبب، وأنام علـــى نفســـى بدون سبب! فتحت عيناى فى لحظة مخطوفة من الزمن، فرأيـــت النقـــاش الكبير يحاول مع صبيه تحريك الأجزخانة الصـــغيرة المتمســـمرة بجـــوار الشباك من أيام جدى ولا يستخدمها أحد. بصعوبة بالغـــة اقتلـــع النقـــاش

المسامير الصدآة للأجزخانة العتيقة المهجورة. وأخيرا انتزعها من جذورها محملة بجير الحائط كضرس العقل الملتهب! فى اللحظة نفسها دخلت البدر زوجة أخى الجميلة بدون استئذان.. بدون سبب، لم أصدق عينى وأنا ألمح حركة شيء ما على الحائط محل الأجزخانة المقلوعة، لكن روحى المنهكة لا تستطيع تمييزه.

جسد صبى النقاش يرتجف بعنف، فدفعه النقاش الكبير الخبـــرة بيديـــه المرتعشين ليتقدم نحو الأجزاخانة. حاول الصبى بكل طاقته إبداء الشجاعة أمام معلمه، لكن فجأة عاد النقاش الخبرة يحوشه ويمنعه بعنف عن التقدم..

<– بلاش انت.. دى ست الحسن!!!>

إلى هنا توقفت خالتى الكبيرة عن الحكاية وكأنها تخاف أن تستكملها أو تتذكرها..

<– إيه سبب خوف النقاش؟ ومين هى ست الحســـن؟؟ وإيـــه علاقـــة حكايتى بالست اللى زى البدر مرات أخوكى دى؟!!

– ست الحسن ليها وشين.. وش جميل مزيف كانت مرات أخويا حَطاه، ووش تانى حقيقى عبارة عن خيّة مليانة بالتعابين والعقارب وحشرات غريبة، عمرى ما سمعت عنها وماشوفتهاش فى حياتى إلا فى خيّـــة ست الحسن المخيفة ورا الأجزاخانة!! كانت كامنة لحد ما جت لهـــا مرات أخويا بروحها الحسّادة، وقومتها من نومتها لأنها لقـــت اللـــى تحتمى بيه وتعينها على أذيتنا.. دى خيّة حسّادة جبانة مـــابتتغيرش.. عايشة عشان تاكل غيرها، ولو مالقتش تاكل بعض بعضها وتســـيب بعضها لأنها خايفة غيرها هو اللى يسبق وياكلها! ربنا يكفينـــا شـــر ست الحسن..>

بالهنا والشفا

كانت هى تملك كل شىء.. تقريبا كل شىء.. وجه جميل مغلق، عائلـــة ثرية بالوراثة، مركز مرموق بالواسطة، مجموعة مهـــن إضـــافية بتوابـــع الواسطة، دائرة إليكترونية مغناطيسية من العلاقات العامة المحلية والدولية. من يدرى.. لعل أصابعها امتدت إلى مساعدة أوباما الشهير بـــأبو ســـمرة رئيسا لإمبراطورية أمريكا العظمى!

هكذا أقنعتنى أنها تملك كل شىء.. تقريبا كل شىء.. كانت تريد هى أن تسقينى كأس الدونية إلى آخره حتى ألحس الزجاج، وكنت أنا أقتنـــع مـــرة وأشرب مرة، لكنى كنت أرفض تماما لحس الزجـــاج لأصـــاب بالدونيـــة التامة. هواياتى لعبة التنس ومراقبة مراكب النيل، لكننى أبدًا لست من هواة الانتحار.. خاصة الانتحار المبكر! سائل الدونية يمكن أن ينصرف بعضـــه عن طريق التسريب الآدمى الطبيعى، وفى النهاية لن يدوم مفعولـــه إلـــى الأبد. لكن ما أدراك ما جرح الزجاج المنكسر، عندما ترشق شظاياه فـــى تناتيف الروح!

أمر غريب.. لماذا تبتسم هى؟! طبعا كل من لا يملك صبرا سيعتقد أنه سؤال نموذج للغباء المستحكم! فهى تملك كل شىء.. تقريبا كـــل شـــىء.. سيطرة تامة على زميلها فى العمل، كان الاثنان يجلسان فى غرفة واحـــدة بمكتبين تديرها هى، برغم أنها الأصغر سنا، فإنها الأقوى تـــأثيرا. تقريبـــا تحوّل زميلنا الأكبر فى العمل – كما يعرف الجميع – إلى سلسلة خواتم فى أصغر أصابعها، هذا لو كانت تملك خمسة أصابع مثلنا، ولـــم يفضـــلها الله بعشرة أصابع فى كل يد مثلا..

غريب أمرها.. لماذا تبتسم هى ابتسامة واحـدة لا تتغيـر؟! الإنسـان الطبيعى تتغير ملامح ابتسامته من كلمة إلى أخرى، من موقف إلى آخـر، من مقلب إلى الثانى.. أما أن تظل هى هكذا على وجه واحد بشكل واحـد، فهذه مسألة تستحق البحث السرى مع نفسى دون أن أخبـر أحـدا. كانـت تجلس هى فى الكافيتريا الصغيرة فى قلب الشركة، على كرسـى ظهـره نصف مجوّف. عملت نفسى أبحث عن سلسلة مفاتيحى التى وقعت منـى، وأنا لا أملك لا سلسلة ولا مفاتيح أصلا! اقتربت منها.. من كرسيها.. مـن ظهرها.. من شعرها.. فلم تكلف خاطرها أن تنزاح قليلا حتى أبحث عنـد قدميها، وأنا مندلقة على الأرض مثل رقم ثمانية الذى مل من الوقفة ويتمنى أن يجلس القرفصاء ولو قليلا.. ظللت أبحث بجانب حـذائها عـن شـىء وهمى، حتى كاد الغريب يتصور أننى أرتمى عند قدميها أتحايـل عليهـا لأمسح لها الحذاء اللميع جدًا زيادة عن اللزوم، وهى تترفع أن تمنحنى هذا الشرف الغالى، ولا تكلف نفسها أن تلتفت لى ولأمثالى من محبى الالتصاق بأحذية العظماء! نصف ساعة وأنا ألف وأدور وأتلطع وأتمطع على الأرض كالنبله المطرودة من آستكها، لأبحث عـن سـر ابتسـامتها البلاسـتيكية الملتصقة على خديها لا تتغير أبدًا بدون فائدة! عملت نفسى أسـتند علـى ظهر كرسيها وأنا أنهض من عبوديتى الأزلية الأبديـة. هـدانى تفكيـرى الجهبذ لأفتش عن زرار الزمبلك الملصوق بالسلوتيب فى ظهـر فسـتانها الغالى بالشىء الفلانى، فلم أجد زرارا ولا سلوتيب ولا آثار زمبلك جـاهز أو تركيب..

هذه الآنسة – نعم مازالت آنسة مثلى – تتحرك كالآلة، تتقلقل من مكانها كالدمية، تتنفس بالمنفاخ، تنقل قدميها بالحساب مثل بدّال العجلة القديمة ذات الثلاث عجلات وإلا ستنقلب المركب بمن عليها.

فى يوم من الأيام صممت أن أريّح بالى وأتأكد أنها تملك خمسة أصابع فى كل يد مثل أبناء الشعب العامل.. انتهزت فرصة أنها لم تلاحظنى كالمعتاد، ولم تتخايل بظلى منذ وقت طويل، ولا تعلم هى أننى أراقبها كظلها. مددت يدى اليمنى ذات الأصابع الخمسة لأسلِّم عليها زى الناس وسط الناس الذين يملأون استراحة الشركة، لكنها صعقتنى بتيار نافِض كبش كبشا من كل فولتات السد العالى وسد أسوان مع بعضهما البعض! لقد تأملتنى قليلا ونظرت إلىّ من فوق لتحت بمنتهى الاحتقار، ومرت فى الطريق على يدى اليمنى الممدودة ذات الأصابع الخمس، تفحصتنى بنظرة بلاستيكية، بابتسامة بلاستيكية، بوجه بلاستيكى، وصمتت الدنيا كلها فى انتظار النهاية الرهيبة لهذه المسرحية المأساوية، القصيرة جدًا على الناس، الطويلة جدًا على قلبى وعلى كل سماحتى وإنسانيتى الطيبة التى لا مكان لها فى هذا العالم.. أخيرًا تعطفت الآنسة ومدت طرطوفة إصبع واحد من أصابعها التى لم تسعفنى كرامتى لأعدهم، ولطشت يدى لطشة الملكة لحثالة الشعب، ثم أدارت وجهها البلاستيكى واستكملت بقية كلامها مع زملائها الكبار من صفوة المجتمع مثلها، الذين يملكون كل شىء.. تقريبا كل شىء..

انكبست أنا فى روحى سنة وزيادة.. بدأت ألحس أول قطعة زجاج وأحسها وهى تتحشرج داخلى. أسمع صوت الدم ينفلق من قلب شرخ روحى، يبل قدمى فلا أستطيع تحريكها حتى لا أتزحلق، لكنه للأسف لا يبلل عيناى. لم أجرؤ على البكاء سنة وزيادة.. امتنعت عن البكاء، حزنت، حزنت جدا، نشفت من داخلى.. لا بكاء ولا ضحك ولا تنفس، لا لأى شىء وكل شىء.. تقريبا كل شىء..

مؤذى جدًا المدير بتاعى. رجل طيب نعم، لكنه مؤذى.. كائن رزيـــل.. جداً.. لا أدرى حتى اليوم ما الذى خبطه فى عقله الكويس لينقلنى للعمـــل لمدة أسبوع فى حجرة الآنسة وزميلها تابع الآنسة الذى أعرفه طشاش. لو كان مديرى المؤذى لا يلاحظ ما يحدث فهذه مصيبة، أما لو كان يلاحـــظ ويعرف ونقلنى بالعند فى أبدانى عند الآنسة وتابعها فهذه مصيبة أكبـــر.... أين ستذهب كل شظايا الزجاج المفلوقة فعـــلا، أو الـــذى ســـتنفلق بفعـــل الاحتكاك والتحطم الإجبارى المباشر لمدة أسبوع كامل. أسبوع نخصم منه يومين إجازة لتتركز المشكلة فى خمسة أيام كارثة. ما هذه الحسبة العبيطة؟ إنها حسابات الأيام، لكن المشكلة أن حسابات الجروح مختلفة تماما..

<– يخرب بيت المدير لبيت سنين المدير لبيت آذية المدير المؤذى!!!>

انتقلت إلى معتقل الآنسة وأمرى إلى الله. كل ما فعلته لأفش غلِّى أننى اصطحبت معى كاسيت صغيرا وسماعة قوية لأغنى طوال الأيام الخمســـة أغنية عبد الحليم حافظ المبهجة جدًا "فى يوم.. فى شهر.. فى سنة.. تهدى الجراح وتنام.. وعمر جرحى أنا.. أطول من الأيام.. وداع يا كل شــــىء.. تقريبا كل شىء.."

بكل تحفظ ذهبت إلى العمل فى أول أيام جهل الجاهلية. مشـــيت علـــى مهلى تماما بحذر تماما، كمن تجرب الكعب العالى لأول مرة وهـــى تقـــف على فدان جلّه! جلست وانحبست وتكورت على الكرسى فى سجن انفرادى لا أول له من آخر كامتداد الصحراء الغربية. فعلا أشعر أننى أجلس فـــى الصحراء، خاصة أن زميلى الأكبر تابع الآنسة الذى أسمع كثيرًا عن طيبته لم يصل بعد. الآنسة فقط هى التى تتمخطر جالسة أمامى، وطبعا حرصت ألا أحرج يدى اليمنى مرة أخرى وأمدها بالسلام مهما حدث، حتى لا يبوش لوح الزجاج كله مرة واحدة داخلى وأموت أنا تحته. رميت تحيـــة صـــباح

بخوف بالغ، وتكورت على الكرسى الصحراوى الواسع جدا، وضعت همى فى الأوراق أمامى التى لا أفهم منها أى شىء، ولا أريد أن أفهم، ولا أريد أن أسأل.

انكفيت على رزم الأوراق أمامى. حاولت تجاهل نظرات الآنسة الاحتقارية الرهيبة ولعناتها التى صبتها بمعرفتها وسلطتها على الأيام الوضيعة التى ألقت بأمثالى من رايش المواطنين القذرين على سجادة حياتها الحمراء الوردية اللولبية اللميعة! دفست ذقنى فى الأوراق ورائحة الدونية الحمضانة تفوح منى دون أن أقصد! فى عز الرائحة وصل زميلى الأكبر تابع الآنسة. دخل الرجل ووجهه يهادى الدنيا بخرطوم بشاشة ممتلىء عن آخره، اختراع عجيب لم أعهده من قبل فى هذه الدنيا الحقودة إلا فيما ندر. انتطرت الآنسة فى مطرحها كملكة متواضعة مع الحثالة، ورحبت ترحيبات كثيرة عظيمة بزميلها المطيع وتابعها البشوش. فى حوالى ست ساعات حكت له كل شىء.. تقريبا كل شىء..

ست ساعات من عذاب الغنم والآنسة تتكلم عن أمجادها بدون انقطاع! والغريب أن زميلنا وتابع الآنسة ينبوع البشاشة لم يتوتر أبدا، لم ينزعج أبدا، لم يعترض أبدا، ولم يغادر مقعده أبدا.. لكن والحق يقال يا دوب لحق الرجل الصبور جداااااا وفضفض بكلمتين اثنتين شبه بعضهما بالضبط ليصبحا كلمة واحدة..

<– برضه؟!!>

إنه يعترض على تدخين الآنسة للسجائر لأنها مضرة بالصحة. ياسلاااااااااااااام!!! كل همه السجائر ولا يهمه أن وجود الآنسة ذاته مضر بصحة الآخرين فى الدنيا التى ترتديها فى حذائها على مقاسها بالضبط..

ساعات من عذاب ثيران السواقى والآنسة تحكى عن إنجازاتها الأوليمبية الرهيبة فى مهنتها الأخرى، التى لا علاقة لنا بها أصلا. وفى الدقيقة الحادية والثلاثين بعد الساعات الست نطق زميلنا خزانة البشاشة أخيرًا ووجه لجنابى سؤالا بشوشا..

<- مبسوطة معانا؟

- إن شاء الله

- يعنى مبسوطة؟؟

- كل شىء بأمره

- نشكر ربنا على كرمه

- ونعمة بالله..

- بقول ايه.. إنتى بتحبى المطبخ؟

- نعم؟؟؟!!!

- المطبخ؟؟؟>

لعنت الآنسة سنسفيل اللحظة التى وزها الشيطان لتأخذ نفسها وتشرب وتتوقف عن الكلام، فقد كانت هى اللحظة التى تكلم فيها تابعها وتنازل بالفضفضة مع واحدة من أمثالى.

<- المطبخ هوايتى وبحب كمان الفرجة على الباليه المائى.>

نظرة استنكار نارية موجهة من عين الآنسة سممتنى فى مقتل، الحمد لله أنها استخسرت استخدام عينها الثانية وإلا كنت رحت فى خبر كان..

<- وانت هواياتك إيه؟؟

- نعم؟؟؟

- هواياتك؟؟؟!

- هههههههه!!!!!!!!!!!!!!!>

ساعة ونصف من حديثه المتواصل وقد انفتحت بوابة مغارة البشاشـــة عن آخرها حتى أغرقتنى معها، وكأن سؤالى كان كلمة السر الشهيرة "افتح يا سمسم". ساعات من عذاب الجوعى فى الاستماع إلى زميلى الأكبر الذى انفجر كالحنفية المجففة التى تمرر المياة ولا تتذوقها أبدا! ساعات وساعات والآنسة تزغر لى بكل أدب مصطنع، تطعننى بيديها الاثنتين بكل ســماجة وتواطؤ. قال زميلى الأقدم وتابعها الأكبر كل شىء عن نفسه.. كل شىء.. تقريبا كل شىء.. وأنا لم أفهم منه أى شىء.. كان زميلى يكلم نفســه دون استكمال جملة مفيدة واحدة توحد الله. هو الذى يتكلم وحده، وهو الذى يفهم وحده.

وقت الغذاء أدارت زميلة لنا أغنية حلوة من المحمول، ورحت أدنــدن مع جملة واحدة منها دون قصد.. وكما غنيت وحدى سكت وحــدى.. دون سبب. سكت تماما!

<- إنتى بتغنى ليه؟

- لو كان صوتى ضايقك يا آنسة..........

- بتغنى ليه؟؟

- وماغنيش ليه؟

- يعنى انتى سعيدة؟!

- نعم؟؟!!

- إزاى تكونى سعيدة وانتى.. وأنا.... أنا...................>

فجأة فتحت باب دورة المياة ، فوجدت الآنسة تقف عاطلة وهى تدخن سجائرها بسرعة غريبة مريبة، تسرق أنفاسها قبل أن يراها أحد! دخلت وقضيت حاجتى الطبيعية زى كل الناس، وعدت أمام المرايا لأجدها تسرق أنفاس السيجارة الثانية، بينما تنتظر بقية علبتها المسكينة فى يدها اليسرى، وقد لاحظت لأول مرة أنها تملك خمسة أصابع مثلنا..

<- تدخين السجاير هنا أرحم ما اسمعلى نصيحة من جدى المرزوع ع المكتب اللى جنبى..>

عزومة على فرح زميلتنا صاحبة أغنية المحمول تسببت أن تجمعنى مع الآنسة وتابع الآنسة فى جلسة واحدة على منضدة واحدة مع بعض مريديها. الكل مجتمع داير ما يدور. من عيوب المنضدة المستديرة أنها تشبه جهاز كشف الكذب، لا أحد يجرؤ على استكرادها أبدًا فى أى شىء.. تقريبا كل شىء..

انطفأ النور كله إلا من دائرة مشعة تحيط بالعروسين وهما يرقصان وقد نسيا العالم كله من حولهما بحلاوته وبلاويه! استدارت يدى اليمنى ذات الخمسة أصابع لتنقر على المنضدة، فأخذت رأسى معها ناحية الآنسة. أول مرة أرى الآنسة عن قرب فى الظلام.. بدون هالات العظمة.. وحدها بدون مجاملات المريدين، معزولة بدون مظلة تابع الآنسة. رأيتها وقد استعارت عيون كل الكائنات الموجودة من بنى آدمين وحيوانات ونباتات لتأكل العروسين بعيونها حتى كادت تغتالهما فى ليلة زفافهما. إنهما تغار منهما.. لماذا تغار إذا كانت تملك كل شىء.. تقريبا كل شىء..

لكن من يغير لا يملك! أو لا يقنع بما يملك!! أمر غريب.. الناس كلها لا ترى فى الظلام، وأنا وحدى رأيتها على حقيقتها فى عز الكحل. هى تتفرج عليهما وأنا أتفرج عليها. ما هذا؟؟؟؟ الآنسة.. إنها أصغر من رأس الدبوس! أخف من رماد سجائرها!! أضعف من الغريب فى بلاد الغربة!!! أشرس من المحروم الساكن مع مرفهين بالزيادة!!!! أفقر من رجل غنى ممنوع عليه الضحك!!!!! أنشف من ساق بقايا وردة تحتضر!!!!!! أقل من حقيقة خيال الظل!!!!!!!

الآنسة المشردة من داخلها بلا مأوى لا تملك أى شىء.. تقريبا ولا شىء..

وقت البوفيه استخسرت هى أن تتسخ قدماها وسط الرعاع، وانتظرتنى حتى ملأت طبقى بقطعتين لحم بالعدد ولا شىء آخر.. شدّت الآنسة ابتسامتها البلاستيكية على وجهها، وتعطفت وتكرمت ومالت بوجهها البلاستيكى نحوى خمس درجات بالعدد..

<– ممكن أكل أكلك وتحضرى لنفسك طبقا آخر؟!!>

بدون أى تردد زحت طبقى ناحيتها وهى فى منتهى السعادة لأنها هزمتنى وحرمتنى من رزقى، وأنا فى منتهى السعادة لأننى هزمت ضعفى وحرّمت على نفسى طعنة الهزيمة الدائمة بلا قومه. الآن فقط أدركت أن الآنسة ستظل جائعة وعطشانة إلى آخر يوم فى حياتها.. أول مرة أنظر إليها نظرة كلها شفقة على الديناصور الذى شفط دهونه وعظامه فانسخط نملة تافهة..

< إتفضلى يا آنسة.. بالهنا والشفا!!>

ترن... برن

كنا ندرس فى فصل دراسى واحد. أقول فصل دراسى من باب المجاملة والعزاء لنفسى.. إنه الترم الأول من مرحلة دبلومة الدراسات العليا التى تطوعت لدراستها دون سبب وجيه واحد..

أقول تطوعت من باب الأدب الزائد والحساب فى تقييم الأمور. فالتطوع كما هو معروف فى العالم كله هو أداء مهمة ما بدون أجر. أما فى مصر حبيبتى أم الدنيا فالتطوع يعنى فتح كل أبواب جهنم من الأسوار الأمامية حتى باب المطبخ على رأس الطالب المسكين. إننى أتطوع للدراسة وأدفع.. أحاول الاستزادة من المعرفة وأدفع.. أتمنى رفع مستوى أفكارى وأدفع..

أقول أدفع هكذا بكل بساطة من باب قلة الحيلة وعدم مواجهة الحقيقة الكاملة حتى لا أنتحر قفزا من بلكونة الدور الأول. الحقيقة أننى أدفع دم قلبى فى كل ثانية وفى كل حرف. مصروفات مولّعة! تقفز أضعافا مضاعفة فجأة بدون أى مقدمات، ومن لا يعجبه يحوّل نفسه إلى أقرب جدى زرايبى وينطح رأسه التافهة فى أقرب حائط والسلام عليكم. التصوير فى المكتبات والاضطلاع على الكتب والارتفاع الجنونى لقيمة الاشتراك الشهرى هو قمة العبودية. كل ذنبى أننى أريد دخول مكتبة علمية والاستفادة منها دون أن أضر أحدا! أعتقد أن تذكرة المولان روج فى فرنسا التى يشتكى الزائرون من ولعة أسعارها أرخص بكثير من مجموع مرات العذاب الذى أعانى منه بتهمة العلم!! وعلى طالب الدراسات العليا.. قليل الأدب.. عديم الطموح.. الذى يريد دك كاهل الآخرين بالعلم وقرفه.. أن يتقبل ورقة التصوير المقرفة للمادة العلمية التى قلب الدنيا عليها، وهى

فى الحقيقة أقل من مستوى ورقة لحمه لم يكلف أحد خاطره أن يئيفها ولو بالزور. ورقة لحمه مكوّرة تحمل كل ما تشتهيه الأنفس من كلمات طـــائرة وخطوط سوداء وبقع متعددة المصادر والأغراض، كل هذه الخيرات بثمن مضاعف سبع مرات وأكثر من مكتبة الشارع العادية جـــدًا التـــى تســـرق جيوبنا هى الأخرى عينى عينك!

كل ذنبى أننى طالب دراسات عليا قليل الأدب، محشور بين صـــفوف طويلة من الجديان الزرايبى الذين يسمونهم طلبة علم والعياذ بالله.. قلبـــت الدنيا حتى أجد وريقات هذا الكتاب الأجرب لأستخدمه مرجعا وأمرى إلـــى الله، وبعد كل ذلك ينسفون كل جيوبى الظاهرة والسحرية من أجل تصوير كنوز العلم على ورق أحقر من ورق اللحمة. فهل أنا أصور صكوكا ملكية أم أسرارا حربية من أرشيف المخابرات المركزية المكتبية بكل عطورهـــا الفواحة؟!

أقول عطورها الفواحة من باب السخرية السوداء والكحلى والبنى وكل الألوان القاتمة التى خلقها الله بدرجاتها الميتة. ورقة التصوير المهلهلة فى يدى تكثيف مجسّم لبخِّة مبيد حشرى جامد جدًا قبضوا على أثيره العفن فى الهواء، وركزوه فى هذه الورقة ليمنحها أحقر رائحة ممكن أن يتخيلها أحقر خنزيز حقير فى حياته.

من الهَبَل الصريح أن نفكر فى دخول جنة الدراسات العليا فى مصـــر حبيبتى، خاصة إذا كنت خارج السلك الأكاديمى وتتمـــرمط طبيعـــى فـــى وظيفة أخرى. واللهِ لا تتعب نفسك فى حسبة المعضلة مطلقا! فلا المرتـــب يكفى أى شىء، ولا المواعيد تناسب أى شىء، ولا الزوغـــان ينفـــع، ولا

معظم الإخوة الدكاترة يحضرون فى مواعيدهم أو يحضرون أصلا، ولا أحد فى شغلك يتركك فى حالك أبدا!

أهبل جدًا من يفكر فى تحطيم أسطورة مذلة الدراسات العليا عندنا، والدارس.. قليل الأدب.. طالب العلم الفاسد.. السافل.. يوزع يديه وقدميه ورأسيه بين عدة وظائف؛ والنتيجة استحالة انتظام أى شىء كالمعتاد.

كنا ندرس فى فصل دراسى واحد.. هو زميلى من أيام كلية التربية. ومثلما كان يقضى أوقات الجامعة بين الكافيتريات والذى منه، جاء الآن ليعيد أمجاده بكل نجاح ساحق ويتطلع ويتنطّع على الدكاترة عندما يحضرون إن شاء الله.. الحقيقة أن زميلى القديم المتنطِّع دمه خفيف بطبيعته وابن نكتة صحيح. ملامحه بريئة كالأرنب الحزين.. وسيم ممشوق برأس كبيرة مغرية كزهرة عباد الشمس صاحبة المزاج العالى. أهم شىء أنه لا يفقه أى شىء فى أى شىء. جحش ابن جحش فى العلم بمعنى الكلمة!

أقول "لا يفقه" من باب العزاء النفسى لنفسى على خيبتى القوية وأنا زميله منذ سنوات وأحفظه جيدا. لا أدرى كيف حصل على وظيفة مهمة فى مدرسة خاصة، بينما أنا ملقى كورقة البسكوت المكرمشة فى مدرسة حكومية مكعبلة عِرّة، مقلب زبالة فضلات الفراخ أنظف منها بمراحل!! بالطول.. بالعرض.. انتهينا من دراسة دبلوم الدراسات العليا، وحصل هو على تقدير امتياز مثلى لا أعرف كيف؟!! ولأننى مازلت أهبل بكل عَبَلى صاغ سليم، تقدمت بأوراق تحضير الماچستير إلى الموظفة المسئولة التى تعبت فى الوصول إليها بعد طابور طويل جدا.. غبى جدا.. زرايبى جدا.. وبعد عبور مانش الهواء والتراب واليأس والندامة، وجدت زميلى المتنطِّع

أبو امتياز مغشوش يجلس بجانب الموظفة المتضخمة يشربان خمسينة شاى مع بعض.. زميلى كتّر خيره وصاها علىّ فاستجابت هى ولطعتنى أربع ساعات فقط بفضل الله، بما يوازى ثمانية أكواب شاى وكم هائل من مزّة الشاى، وكله على حساب زميلى العزيز القديم الجديد أبو ضحكه جنان.

لا أفهم كيف استغرق هو فى تحضير رسالة الماچستير عامًا ونصف العام فقط لا غير بالكتابة بالطبع بالمناقشة بكله كله؟!! وأنا.. أنا مازلت أعافر مع رسالتى كالحمار الصغير الذى غرز فى الطين لأول مرة بدون ولى أمره ولا يعرف كيف يتصرف وحده؟؟؟!!

لم يعد أمامى إلا عام واحد لأستكمل رسالتى المعصلجة بجدارة، لأن مدة السنوات الخمس المقررة لدراسة العبيد القهرية ستنتهى بعد عام واحد لا غير. يعنى لازم أستذوق وأستعين بكتالوج خارجى لأعرف كيف أخلِّص الحمار الذى كبر الآن من هذه الغَرْزة الطينية الحويطه جدًا أكثر من اللازم..

ولأننى أصبحت أعلق لافتة "أهبل رسمى" على جبينى وصدرى وكل المناطق المسموحة وغير المسموحة، مازلت أنا الأهبل مصابا بالدهشة عندما دعانى زميلى المتنطِّع إلى مناقشة رسالة الدكتوراه التى انتهى منها فى عام واحد وأربعة أشهر بالتمام والكمال؛ يا بخته!! حتى الآن لا أفهم لماذا مازلت أندهش من أى شىء؟!! لماذا مازلت أفتح فمى وأسأل؟ لماذا أفكر فى كل الأمور من حولى أصلا؟؟ فالأهبل الصريح طالب العلم قليل الربابة ممنوع عليه المرض بداء التفكير نهائيا. وإذا تجرأ وفعلها عقابه الوحيد أن يظل أهبل صريح كأحقر عار على المجتمع طول حياته.

أقول "أهبل" من باب ضيق أفقى فى الشتائم لأننى بطبيعتى لسانى نظيف مغسول بالرابسو. لكن على أى الأحوال المعنى فى بطن الشاعر والمؤلف والقارىء والناشر، وكل الساخرين من هَبَلى الأصيل الذى ورثته أنـــا ولا فخر عن كل عائلتى الكريمة البلهاء!

كنا ندرس فى فصل دراسى واحد.. أنا الآن مفحــوت رأســيا وأفقيــا ودائريا فى الاستعداد لمناقشة رسالة الماچستير اللئيمة بعد شهرين، أمد الله فى أعمارنا جميعا إن شاء الله.. وزميلى حبيبى أبو ضحكة جنــان يجهــز أوراقه للتعيين فى وظيفة مدرس بالجامعة ابتهاجا بموضوع رسالته التافهة جدًا المنقولة رأسا نقل مسطرة من ثلاثة كتب بالعدد.. كلمة كلمة وحــرف حرف وفصلة فصلة ونقطة نقطة، بالأخطاء الإملائية.. بالكوارث النحويــة المتينة؛ الله يرحم أبو سيباويه المسكين! زميلى القديم الجديد المتنطِّــع أبــو ضحكة جنان يسابق الزمن بقدميه ويديه وكل شعرة فى رأسه ليستكمل رسم دائرة النصب المتكاملة.

ترررن.. بررن..

جرس التليفون يدق بشاكوش رزيل بجوار أم رأسى وأنا أريد أن أرتاح يوم الجمعة من نِفسى. فمازالت أنفاسى متبهدلة وموزعــة الأشــلاء فــى صحراء مصر الشاسعة بعد مناقشــة رســالتى التــى عصــرنى الإخــوة المناقشون فيها عصرا أسوأ من عصير العنب. أربع ساعات كاملة بــدون سبب ولا خطيئة قديمة جنيتها، خاصة رئيس اللجنة الذى انبرى فى مهاجمة شخصى وليس موضوعى وهرانى تريقة على ملابسى وقصة شعرى ولون حذائى مع أنهم على الموضه، ليثبت للحاضرين القليلين جدًا أنــه راجــل فكهى روِش ويا حرام متواضع جدا.. كان كل همه أن يخرق عيناى بلمبات

إنذار صارخة بكل الألوان المتوحشة المستفزة، يهددنى أنا طالــب العلــم المسكين الوحيد الأعزل قليل الربابة والعقل والعلم لو بس أفكر فى الــرد عليه أو حتى أرمش لأثور لكرامتى رحمها الله رحمة واســعة.. وإلا فلــن أنال الشرف السامى البريطانى وأقف على أول درجات سلم خَدم الجنة من حملة درجة الماچستير الملعونة.

والله أعلم.. لم يجد الجهبوذ رئيس اللجنة وقتا أو نِفسا ليقــرأ رســالتى التى تعبت فيها سنوات من أساسه.. فقد أفاض وأسهب وأرغى وأزبد فــى شرح نقاط مهمة جداااا مع تفنيدها بمنتهى الاستنكار، وأنا لم أعتــرض لا شفاهيا ولا تحريريا على النقاط من باب المآوحة. فقط أنا مازلت مندهشــا من النقاط العويصة التى لم يرد لها ذكــر فــى صــفحات الرســالة مــن أساسه!!!!!!!!!

شهر بحاله وأنا أحاول التخلص من هذه الذكرى المهينة، حتــى النــوم أخرج لى لسانه الطويل وشتمنى "يا أهبل!"، ثم فارقنى بغير رجعة.

ترررررررررن.. بررررررررررررن..

محروق التليفون على أبو العلم على أبو مصلحة التليفونات كلها فى يوم واحد!

ترررررررررررررررررن...... بررررررررن..........

الرحمة من عندك يا رب!!!!!!

-> نعم يا سيدى.. نعم؟؟ لأ.. مش هتنيل احضر حفل تعيين زميلى أبو ضحكة جنان فى الجامعة، هدومى المبعكشة ماتليقش بــاللفيف الأكــاديمى النقاوة!!

– تعيين إيه وحفلة إيه؟!! إنت ماعرفتش؟!!>

لحظات أو شهور أو سنين وأنا مازلت صامتا ملووحا فى مكـــانى.. لا أعرف ماذا حدث؟! لا أعرف ماذا أقول؟؟!! كان المتحدث يــدعونى إلـــى مناسبة فجائية أخرى تماما فاقت كل توقعاتى المنهدشـــة ومـــدارك هَبَلـــى اللانهائية!

أقول اللانهائية من باب الذهول والصدمة.. حكى لى المتحـــدث عـــن زميلى القديم الجديد أبو ضحكه جنان الدكتور المتنطِّع المستعجل جدًا فـــى كل شىء.. من أسبوع واحد كان الدكتور ينتظر الأسانســـير فـــى المـــول التجارى الضخم.. بدون أى مناسبة أمسك الدكتور الضحوك رأسه يشـــكو من صداع خفيف، تحول فجأة إلى إغماءة خفيفة. أقول إغماءة خفيفة قبـــل أن أعرف أنها طالت ستة أيام ولم يفق منها.. لم يفق منها أبـــدا.. كانـــت الإغماءة مستعجلة هى الأخرى ألا تتركه فى حضن الدنيا أكثر من ذلـــك، فأخذته على جناحها وضمته بمنتهى القوة حتى فارقنا صـــاحبنا الـــدكتور المزيف فجأة بغير رجعة.. رحل صاحبى ولم يكبش معه أوراق رســـالتيه وجلدة الكتب التى اقتبسها اقتباسا صريحا.. لم يصطحب معه أوراق التعيين التى انتهى منها فى زمن قياسى لتؤنسه فى وحدته. لقد انتهى حفل مستقبله الباهر قبل أن يبدأ.. استعجلت كلمة النهاية عنده لتظهر فى أول شريط فيلم حياته. أضيئت الأنوار وخرج البطل المزيف اللبق الضحوك من الشاشـــة إلى الأبد قبل أن يستمتع بتصفيق الجمهور الكبير!!!

تركيبة عَجَب

كانت ساعة نحس تلك التى توظفت فيها سكرتيرا فـــى مركـــز تعلـــيم اللغات! فزبائن البشر يهبطون فوق رأسى من كل صنف ولـــون، الـــبعض يتفاهم بالعربية والبعض بالإنجليزية. لكن هناك صنف من نجاسة البشر لا تنفع معهم لغة ولا يجوز معهم تفاهم مطلقا. قبل هذه المهنة كنت أؤمـــن أن الضرب هو لغة التفاهم الوحيدة الصالحة للحيوانات المفترســـة والطيـــور الجارحة، وبعد حرب السكرتارية اكتشفت أن كائنات المستنقعات يستحقون الضرب بالكراسى والعصا والبراطيش والشباشب والصرم القديمة وكل ما لذ طاب من الأسلحة الحادة والتلمة على السواء.

كل الزبائن كوم والمدعو حاتم كوم تاااااااااااانى!!!!!!! كتلة من النكـــد الأزلى، منقوع شكاوى سكان العالم الأول والثانى والثالث إلى آخره، مدخنة متنقلة للسجائر الفرط والعلب الورقية والمعدنية والسبارس. حاتم.. عنقـــاء قصيرة القامة وقعت بالخطأ فى عصرنا، لتفتح فمهـــا وتخيفنـــا بكلماتهـــا العجيبة وأسنانها الهالكة.

حرام عليك يا حاتم!!!

درس اللغة الإنجليزية يبدأ فى الخامسة عصرا، وحاتم ينتهى من عمله فى العمارة جارتنا فى الثالثة عصرا، فما ذنبى أنا أتحمله ساعتين كـــاملتين مرتين فى الأسبوع لمدة ثلاثة أشهر يا عالم؟!! هذ النعمة التى لم تعجبنـــى من جهلى كانت قبل فشل حاتم فى اجتيـــاز المســـتوى الأول مـــن اللغـــة الإنجليزية، ليعيد الكورس كله لسوء بختى أنا فى ثلاثة أشهر أخرى، مـــع قراره الالتحاق بدورة كمبيوتر إضافية فى المركز مع أن حـــاتم لا يملـــك

جهاز كمبيوتر فى بيته الذى لا يذهب إليه أصلا. كل هذا أيضًا قبل أن يقرر حاتم الحصول على دورة لغة فرنسية لملء أوقات فراغ حياته الفارغة. يعنى حياتى كلها أصبحت حاتم × حاتم × حاتم!!!

فليسقط الاستعمار..

فليسقط حاتم............

تركيبة عجب لم أرها فى حياتى ولا فى مسلسلات سريلانكا الفقيرة. الغريبة أن حواديت حاتم التى يصر بكل عنف أن يشنِّف آذانى بها لا تنتهى أبدا. والأغرب أن حياته فارغة أصلا مخلية من الأحداث، كلها تفاصيل تافهة لا تستحق الذكر. لا تهم إلا صاحبها! واللهِ ولا حتى صاحبها حاتم!!!!

ذاكرته حديدية ابن الذين.. هل يُعقل أن يبدأ حكايته عن معركته مع مديره التى وقعت فى الساعة الثانية عشر ظهرا منذ نيته لحلاقة ذقنه فى اليوم السابق فى الرابعة فجرا يا بشر؟! صداع.. سكر.. ضغط.. شبه ذبحة.. أصبت بكل الأمراض الدنيا بسبب حواديت حاتم وسنين حاتم وتفاصيل حاتم. أصبحت أصرخ وحدى بدون سبب ولا مقدمات، والمدعو حاتم طلقة كلام لا تنتهى أبدا. طلقة لا تصيب فلا تريح ولا تستريح. طلقه فاسده عديمة الذوق لا يصحو ضميرها حتى تعتزل قبل أن تبدأ. حاتم عرض مستمر من العذاب الأزلى وأنا كالخرتيت المربوط وراء مكتبى محكوم علىّ مؤبد وأنا مظلوم واللهِ..

مسجون فى معتقل حاتم × حاتم × حاتم!!!

لم أتصور أن ينضم إلى قائمة أمراضى داء السعار ويتمكن منى إلى هذا الحد؟! من قندلة حظى وحظ أهلى أن مدرس اللغة الإنجليزية طلب

إجازة لمدة أسبوع، بما يعنى زيارة جرعة عذاب التعذيب بحاتم بالساعات دون رحمة ولا انقطاع ولا فاصل ولا هدنة. حاتم انتهز الفرصة الذهبية وهبش أرنبة أذنى ليحكى لى عن مغامراته مع دكتور الأسنان، وكيف أن حكاية آلامه مع أسنانه بدأت وهو فى الثانية من عمره، وهو الآن يبلغ الأربعين عامًا ويزيد كام سنة.. يعنى مطلوب منى أسمع حكايات ثمانية وثلاثين عامًا تزيد كام سنة بالتفصيل المملللللللللللل. المؤكد أن دكتور الأسنان محظوظ ابن محظوظة بدعاء أمه، لأنه سيفتح فم حاتم الممتلىء عن آخره بهبو الكلام الفارغ وسيكف هذا الكائن النكدى عن الكلام ولو لثانية واحدة رحمة بأهل الأرض الذين لا يستحقون الرحمة.

لقمة العيش هى السبب الوحيد الذى يمنعنى من الشخط فى حاتم إلى الآن. بالتأكيد أنا لست أيوب، ولا أنا استنساخ مذكر من الست ناعسة، ولا أمُت إلى أصحاب البال الطويل بأدنى صلة لا بالقرابة ولا بالانتساب ولا بالعضوية الشرفية. المعضلة المربكة التى تحوشنى عن التمرد والثورة والانتقام، أن حاتم ابن أخت خالة عمة صاحب المعهد ولى نعمتى... قرابتهم بعيدة جدًا وليس لها أى خمسين لزمه أساسا لكن التوصية على المدعو حاتم جامده تمام. صاحب العمل يعرف طبائع حاتم القذرة، وهو نفسه يشد فى شعره بمجرد ذكر سيرته التى تعبىء الجو بميكروب مهلك بحكاويه وتفاصيله وشكاويه من الدنيا وما فيها وما عليها، وإحساسه الرهيب بالاضطهاد من أهل الأرض وعطارد والمريخ وبلوتو الكوكب وبلوتو كلب ميكى فى مجلة ميكى! سر أسرار الهرم الأكبر أن والد حاتم هو الشريك الخفى فى هذا المعهد بالنصيب الأكبر، ولم يجد رئيسى غير إلقاء حاتم على رأسى أنا ليريح رأسه هو من مذكرات شكاوى حاتم من المؤامرات التى تحيكها ضده كل الكائنات الحية وغير الحية من أيام

الديناصورات الأليفه مرورا بالعصور الوسطى المظلمة الضنك وصولا إلى عصر العولمه المفترى.

فمى مغلق بترباس وقفل وشنكل.. مكتوم أنا.. مكبوت.. منفجـــر بـــلا صوت.. كم مرة فكرت فى قتل حاتم وهو يحكى لى عن زياراته المتكررة لدكتور الأسنان. والكارثة أنه بدأ يحكى حكاياته عن أسنانه المصنوعة من اللولى الأسود منذ أسبوعين تقريبا.. أربعة عشر يومًا وهو يحكى لى وجها لوجه وفى التليفون الأرضى وعلى المحمـــول عـــن أول سِـــنّه يـــا دوب! معلوماتى أن دكتور الأسنان وجد مهازل عظيمة فى كل أســـنان حـــاتم أو حفرياته المتدلية من فمه، وأن الأخ الطبيب انبهر وانـــدهش وانصـــعق أن حاتم محتفظ بمعجزات أسنانه المثقوبة طوال حياته ولم يفكر فى الذهاب إلى الدكتور ولا حتى السباك ولا مرة واحدة.. أعتقد والله أعلم أن طقم الأسنان حسب التشريح الآدمى المعتاد يضم عددا كبيرا بجد من الأسنان والأنيـــاب والضروس؟! فماذا لو نوى حاتم أن يحكى لى عن سِنه سِنه ونـــاب نـــاب وضرس ضرس؟؟!! ماذا لو اتضح أن حاتم يملك طقمين أسنان مثلا مثلما يملك مخين ويدين وقدمين وذيلين ولسانين؟! ماذا لو امتـــدت آلامـــه إلـــى التهاب الأعصاب والحشو وتوابع سقوط الحشو، لأن حاتم يرفض رفضـــا قاطعا مبدأ الخلع. إنه لا يريد الاستغناء عن ممتلكاته نهائيا، لأنه يـــرى أن الدنيا ظالماه ومضطهداه بما يكفى، ومش معقول تسلبه كمان أعز ما يملـــك دائمًا حتى أسنانه السوداء!!!!

يا خبر اسود..............................

بكل براءة وعشم اتصلت بى خطيبتى فى التليفون تريـــدنى أن أذهـــب معها إلى دكتور الأسنان، فلم أدر بنفسى إلا وأنا أفتح كل طقم أسنانى عـــن

آخره لأصرخ وأصرخ وأصرخخخخخخخخخخخ بلا نهاية. وبكـــل انهيـــار وبجاحة فسخت خطوبتى منها مع أنها الحب الوحيد فى حياتى. بكل حـــب وهدوء زارتنى خطيبتى فى المعهد تستفسر منى استفسارا سلميا عن ســـبب أو أسباب بركانى الثائر، فلم أدر بنفسى إلا وأنا أنتش سكينة الجوابات مـــن جرابها وأقتلها وأقتلها وأقتلها، مع أنها هى السبب الوحيد لأعيش حياتى!

مازال رئيسى السابق فى المعهد يزورنى فى الســـجن بانتظـــام منـــذ عشرين عاما. وفى كل زيارة يحكى لى أن حاتم الذى ورثنى بالحياة ويعمل من وقتها سكرتيرا للمعهد بدلا منى، مازال يحكى حكايتى كـــل يـــوم بـــلا انقطاع ولا ملل لكل زبون قديم وجديد بالتفصيل المملللللللللل. وحتى الآن يتعجب حاتم من السبب المجهول الذى وزّنى على قتل خطيبتى الوحيـــدة، وكل جريمتها أنها كانت تريدنى الذهاب معها إلى طبيب الأسنان؟! فهل هذه جريمة شنيعة تستحق المرحومة العقاب عليها؟؟؟!!!

تووووت.. تووووت

عشر ساعات ونحن محبوسين فى زنزانة مفتوحة من كل ناحية، لكنها زنزانة أكثر إحكاما من سجن الباستيل الباريسى فى عز شبابه! شبابيك القطار من أسوان إلى القاهرة تلفحنا بالهواء الساخن حتى تحولت أفواهنا المشدودة إلى ماكيت فم تنين يجرب إطلاق نار جهنم فى سنة أولى شراسة.. كوتشينه ولعبنا، شطرنج وفردنا، دومينو وهندسنا، صلّح وضربنا، أغانى واتسلطنا، كهربا واتكهربنا..

بالاختصار قلبنا الدنيا فى القطار قبل ما صوتنا يندبح. ساعات قليلة ويركبنا هَم الدراسة. فنحن ولا فخر طلبة ليسانس حقوق نجهز أنفسنا لنكون أكبر المدافعين عن حقوقنا فى الاستمتاع بحلاوة الدنيا البخيلة. المفروض يخترعوا لنا دنيا مقاس ترليون إكس لارج تستوعب أحلامنا الشيك.

أتحدث هنا نيابة عن زملائى كلهم.. وعن زميلى أيوب بالذات. اسمه كله عبر ومواعظ جامدة جداااا. عاقل بجنون حتى تخيلت أن فمه الحكيم يخبىء داخله فرقة موسيقية مكونة من كوكتيل خلاصة ضروس عقل ورثها عن جده الوحيد سقراط. الحقيقة أنه ليس زميلى فقط، لكنى أحب هذا المحظوظ من أول يوم فى سنة أولى. ثلاث سنوات ونصف وأنا أتكلم وأحاول وألمِّح وأشاور، وسى أيوب افندى ولا هو هنا! كيف سيصبح محاميا وقد انطس فى نظره إلى هذا الحد ولا يرى كل أدلة حبى التى يعرفها كل زملائنا من أيام إنسان الغابة.. استعنت بكل خطط عتاة السياسين الدواهى فى الرحلة لنفتح أى موضوع، فكرت فى ارتكاب جريمة قتل على طريقة أجاثا كريستى ليتطوع أيوب ويدافع عنى، لكن خفت أن يدافع عن الضحية ويتركنى أنا أشرب المقلب حتى النهاية.. أيوب فارس نبيل ويعملها!

يبدو أن الله فرض الصبر على أيوب وعلى من يحبونه..

طبعا عندما قلت كلنا نلعب فى رحلة نصف السنة لم أكن أقصد جناب اللورد أيوب معنا. فهو لا يلعب إلا فى صفحات الكتاب الضخم الذى لم ينته منه من أول زنزانة القطر الطويل. صديقتى الخبيثة سرّبت لى معلومة تؤكد أن أيوب يختلس أحيانا نظرات اهتمام بى من تحت لتحت.. أبدًا لم أصدق.. أخبرتنى وهى الخبيرة فى دنيا الرجال أن الغضبان مستحيل أن يرى ما بين يديه! تكورت مكانى أتأمله وهو منهمك فى حفظ موسوعة الكون أمامه. نسيت نفسى.. لم أنتبه لرجل عجوز يحاول المرور من ورائى وأنا ولا هنا.. استيقظت على صراخ وبهدلة رجالى فى أذنى وعلى من يقفش فى ذراعى بعنف، انتفض زملائى للتدخل بالقوة على طريقة كلية الحقوق الثورية المستغنية. ثم.. قام أيوب.. بمنتهى الهدوء وبيد حديدية خلّص ذراعى من يد الرجل.. بمنتهى الرفق أزاحنى جانبا.. فى البداية تأسف له أسف الدنيا.. ثم..... نزل على رأسه بدرس بليغ فى الأخلاق الضائعة وكيفية معاملة الرجال الجنتلمنز للسيدات الرقيقات، حتى تحوّل الرجل فى يديه إلى مومياء هاربة من تجنيد متحف الحفريات..

الله أكبر!! لقد نطق اللورد أيوب..

أول مرة الفارس النبيل يلمس يدى..

فجأة لمحنا دخانا ينبعث من كابينة السائق أمامنا. الماس سرح فى الأسلاك! توقف قلبى عن النبض.

توووووت.. توووووووووووووووووووت..

توقف القطار عن الجرى. كل البشر هرولت إلى الخارج، إلا نحن.. اللورد والمتيمة باللورد.. نظرة طويلة جدًا طالما حلمت بها. أخيرًا اعترف لى أيوب بصبر أيوب أنه يحبنى. أخيرًا اعترفت له أنه يغيظنى. صعدت

المضــــيفة وهنأتنـــا علــــى قـــوة أعصــــابنا. حــــادث بســــيط وانتهــــى. تووووووووووووت.. تووووووووووووووووووت..

وانطلق القطار بأسلاكه المحترقة..

يسقط سجن الباستيل..

تحيا الثورة!

ثانية واحدة بس..

بونبونى.. أقرب صديقاتى إلى قلبى. قبلى كانوا ينادونهـا بونـو، لـم يعجبنى هذا الاسم البيئة وطورته إلى بونبونى.

اسمها الأصلى نبوية على اسم إحدى قريباتها التى لا أذكرها. أول يوم رأيتها فيه هو أول يوم تسلمت فيه العمل كإخصائية اجتماعية. طبعا كنـت فرحانة بروحى ومعتقدة أننى تلفريك الشعوب الضالة للطيران ناحية حيـاة أفضل، وبعد سنة حكومية واحدة أصبح كل همى البحث لمشط قدمى عـن مللى مترا واحدا فى هذه الدنيا الخداعه أملا فى حياة أشـم فيهـا رائحـة الآدمية إن شاء الله..

استلمت العمل بعدها بعشر سنوات. بونبونى.. شـابة رقيقـة جميلـة. حجرات قلبها بالكامل مفروشة لغيرها. قطعة مغناطيس متخصصـة فـى جذب الغريب والقريب من أول نظرة. أول معرفتنا نظرة جذابـة نـاحيتى بدون كلمة واحدة. فجأة مالت ناحيتى كفراشه منسجمة فى رقصتها وتركت على مكتبى ورقة مبرومة رفيعة بخط أحمر فرحان تقول **<لحظة اختيـار فى الطريق>**.. والغريب أننى قابلت الرجل الذى أحبنى بعـدها بشـهرين، وارتبطت به بعد خمس سنوات، بعد رجوعه من السفر بتكاليف الشقة يـا دوب..

من يومها لم أفترق عن صديقتى. نضحك ونأكل فى نفس واحد. وللعلم بونبونى كائن مرتب جدا، يستحيل تبدأ فى موضوع إلا وتنهيه كما ينبغـى. أكثر من مرة سمعت ورأيت والدتها تعاملها بكل احترام. يعنـى بونبـونى حلاوته طارحة على عوده بالإكراه..

عام وتزوجت بونبونى فى مدينة أخرى. على بختها كان كائنا مسالما لكنه خامل بروطه لا يساعدها فى شىء أبدا.. يحبها شفاهيا وليس تحريريا بما يكفى. اسمه زكى.. فى لحظة التجلى تناديه زوربا أو زوكبا، وفى لحظات التنبلة ينقلب إلى زكيبة! مراعاة لمشاعره لم تعلنه هى باسمه الاحتياطى، واكتفت باستخدامه سيم بيننا لتأخذ حريتها.

شخص ما تجرأ وقرقش وقرمش حالة الحيوية فى بونبونايتى؟؟؟؟؟؟؟؟؟؟؟؟؟؟!!!!!!!!!!!!

لم تعد تخبرنى عن نصيبى وبختى.. بصيرتها زغللت. تحولت إلى بونبوناية مسروق منها ورقة البخت. ابنها وابنتها ملأت بهما كل علبة الحلويات لكنها لم تعد فتاة السوليفان التى أعرفها! الآن يستحيل أن أفهم منها ذرة موضوع على بعضه، أربع جمل على الأكثر وتتقاطع معها انهيارات جبلية قادمة من كهوف شياطينها الصغار، وزكى زكيبة زوربا زوكبا نافض يده عن هَدَدْ كل الجبال من حوله.

سيناريو واحد ممل بليد لروتين حياتها المتكرر كل لحظة بنجاح ساحق..

أربع جمل مقدمة لأى موضوع/ غارات مرعبة وغازات سامة/ تنتفض هى وتقاطعنى آليا "ثانية واحدة بس!"/ محاولات مستميتة لفرض حظر التجول أو إعلان الهدنة الوهمية/ البحث عن سماعة التليفون الملقاة فى أى مكان/ الصراخ فى أذنى بأول أربع جمل فى موضوع آخر تماما غير المرحوم السابق/ بهدلة مجلجلة من والدتها المحترمة التى تسكن معها من نوعية "دى قلة أدب ومسخره؟؟؟!!".

بكل طاقتى جاهدت لأخبر بونبونى عن فرحى الذى تحدد فجأة غدا، طبعا فرحت هى جدا. عرفت الميعاد، لكنها قاطعتنى ب"ثانية واحدة بس"

قبل أن تعرف مكان الفرح! فشلت كل محاولات اتصالى بها بعدما تكعبـــل ابنها فى التليفون وشد السلك، واكتمل الوباء بانقطاع أنفاس المحمول الذى ألقته ابنتها بكل جسارة من الشباك لتتسلى بمنظر من سيقع التليفون علـــى نافوخه المسكين!

لم أتخيل أبدًا أن أعز صديقاتى لن تحضر أجمل يوم فى حياتى..

لم أتخيل أبدًا أن فرحى سيكون سادة بدون بونبونى.................

حريقة كل يوم

الله يحرق التشاؤم على أبو التشاؤم على أبو اللى عايز يتشاءم..

واضح طبعا أنها جملة وردية عالية جدًا ماركة "الحياة حلــوة"! جملــة كنت أصبِّر بها روحى فى كل يوم.. فى كل لحظة.. تبعث لــى ذاكرتــى اللطيفة صفارة إنذار تذكرنى أننى أسكن بجوار وحدة المطافى شخصيا!!

حياتى كلها عبارة عن سرينة مطافى رايحة وسرينة مطــافى جايــة.. غالبًا والله أعلم عندى شعور جبار أن عساكر المطافى يعسكرون عندى فى حلل المطبخ! ضحكاتهم يا عالم ترن فى أذنى أقرب مــن طبلــة أذنــى، حواديتهم المرعبة عن اللى اتحرق واللى اتشوى واللى ولــع تمــر كلهــا كشريط نارى ملهلب على قلبى. فالحيط فى الحيط وهذا من حسن حظــى وحظ الحيط.. طبعا يا ريت كل إنسان عاقل يوفر سؤاله عن سبب إجبارى على السكن هنا وسط الجحيم بعينه. الحقيقة.. منتهى الحقيقة.. أنــه ســبب تافه جدًا لا يصدقه كلب لولو ورور! والله المسألة لا تستلزم الــنكش فــى أسرار قدس الأقداس المتعلقة فى رقبة وكســة ١٩٦٧!! وحــق العشــرة والجيرة وهيبة شركة المطافى التى تشاركنى بيتى ونــومتى وحيــاتى وإن شاء الله وفاتى، أن هذه المعضلة المهببة لا علاقة لها أبدًا ونهــائى وبتاتــا بقنابل عصر الانفتاح الساداتى المنفجرة والتى مازالت تطرقع علــى القفــا حتى الساعة وإلى يوم الساعة..

البُمبه الكبيرة إنى مواطن شؤم ومشئوم ومتشاءم وحظة نحس دكر من يومه.. من حوالى سنة دخت عشرين ألف دوخه لأجد شقة إيجــار جديــد بجانب المدرسة الشؤم، التى انتقلت إليها بفرمان ديكتاتورى غيلانى حيوانى

من الباشمهندس ناظر المدرسة السابقة لأسباب غير تعليمية بالمرة وغيـــر تربوية مطلقاا!.. كل ما هنالك إن دمى كان ثقيلا جدًا على قلب الباشمهندس الناظر، وأسوأ منه ثقل دم ضميرى المستيقظ يا حـــول الله الطـــابق علـــى مراوح قلبه. فقرر الباشمهندس نقلى فى مدرسة عفشة بجانب الترعة.. أى ترعة والسلام عشان يخف دمى وأعوم على وش المية!

منذ حوالى عام وصلت بحالى ومحتالى وعبلى وحقيبة تشاؤمى إلى هذا المكان المشئوم بعد منتصف الليل الشؤم بقليل. حلفنى السمســـار صـــاحب الذمة الخرابة أن أستأجر هذه الشقة بدون معاينة وعلى ضمانته، ولا داعى أن أقلق نهائيا من الظلام لأن عمود النور الوحيد فى الشارع منطفىء، وأن مصابيح الشقة المذكورة مسحوبة لزوم التوفير. البركة فى الشمعة البيضاء التى تنفع فى اليوم الأسود.. وكما قال السمسار "حيطان الـــدنيا كلهـــا زى بعضها!" لاحظت وأنا أخطى عتبة العمارة مغمِّى كما البقـــرة المســـطولة يافطة سوداء بكتابة سوداء على المبنى المجاور. فتحة غريبة مرتفعة تشبة الجاراچ، ملتصقة بضلع العمارة التى سأسكن دورها الأول فى عز الكُحـــل الأزرق المستفحل. سنة بحالها وأنا منقوع فى ترعة التشاؤم، وأنـــا أصـــلا متشاءم بحكم الطبيعة والبيئة والنشأة والظروف والحروف والعيشة واللـــى عايشنها وكله كله...

أعتقد أن أى عبقرى سيتصور أننى أتشاءم من كثرة ما تطرشنى سرينة المطافى التى أصبحت أحفظ صوتها أكثر من صوت نفسى، هذا لو تبقـــى لى بواقى صوت.. البُمبه الكبيرة أننى أسمع صوت سرينة المطـــافى مـــن حوالى سنة كل يوم الساعة واحدة بعد منتصف الليـــل! ســـنة بحالهـــا وأن أتساءل عن سر حريقة كل يوم، التى تقوم فى نفس اليوم وفى نفس الثانيـــة بنفس الهمة والشعليلة؟؟!! كل يوم يسدوا نفسى عن الحياة أكثر مـــا هـــى

مسدودة يا ولداه. كل يوم يفزعوا روحى البريئة اليتيمة المتشائمة على صوت سرينة المطافى الشوم، ويهبلونى من عز نومى لأفط وأنط من السرير كالنحلة الملسوعة من قرصة زميلتها الغدارة..

كل يوم أصبّر نفسى واقول يا واد يا مدرس.. ربنا يكفينا شر حرقة القلوب، مش يجوز مكتوب على جبينى أتذوق جهنم كل ليلة حتى أكون مستعدا عندما أذهب إلى الجنة إن شاء الله وأعرف طعمها؛ ودا طبعا فى المشمش إن شاء الله!!

وأخيرا.. جاء يوم البُمبه الكبرى!!!!!!!!!!!!!!!!!!!!!!!!!!!!!!

فى يوم من الأيام المشئومة خاصمنى النوم كما خاصمنى كل شىء فى الدنيا. وقفت أتهوّى فى البلكونة فى عز طوبه حوالى الساعة ٢ بعد منتصف الليل. المنظر كحل والشارع كحل والبلكونه كحل والعيشة على بعضها كحل الكحل.. ولا جنس قطه لقيطة تحيى كبسة الشارع فى هذا الظلام البهيم! كنت على وشك الدخول بعدما نقحت علىّ أطراف أصابعى التى نحتتها أحضان البلاط الساقع فى عز شهر طوبة. لولا.. لولا أننى سمعت صوت سيارة المطافى تعود أدراجها داخل جحرها غير المشتعل من حسن حظها. لأول مرة سأتفرج على عساكر المطافى بوجوههم المهببة وملابسهم المهببة وكل عيشتهم المهببة.. البُمبه أننى لمحت واحد عسكرى مطافى نمنم أصغر من عسكرى الشطرنج ينزل مع السائق وملابسهما ليست مهببة ولا يحزنون، إنها وجوه يصبغها البشر والإشراق والتفاؤل المجنون! العسكرى النمنم المدسوس على الحكومة يحمل لفة ورق مشتعلة فى يده نارها قادمة من داخلها.. بصفتى مدرسا متشاءما قد الدنيا سألت واستفسرت لأول مرة فى حياتى من السمسار المنحرف وذمته الوصاية،

وعرفت منه أكبر بُمبه فى حياتى.. من عادة عساكر المطــافى الشــطرنج تناوب الخروج كل ليلة بعد منتصف الليل فى ميعاد دقيق جــدًا لا يتغيــر لإحضار العشاء الساخن المشتعل لهم ولزملائهم وحتما ولابد من كــل بــد فرقعات سرينة المطافى الدائرة بلا انقطاع لتحرق قلب الليل لزوم خضــة الشعب وتوسيع الطريق.. فتحت فمى وعيناى وكل المنافذ احتفــالا بــأننى بطل أكبر بُمبه فى الدنيا، هبد السمسار الكوميدى على كتفى والدمعة هتفر من عينه وأمسكنى من بوز ذقنى ورشق فى أذنى الخلاصة بقطارة حكمــة السنين..

<– نار الجوع وحشة يا افندى.. الجوع كافر!>

حاسب يا عبعزيز

عيب جدًا أن أحكى الحكاية من طرف واحد.. ظلم.. ظلم.. ظلم.. فعلا منتهى الديكتاتورية. وحياة ربنا عيب! لكن لو تركته يحكــى، لــو منحتــه تأشيرة فتح فمه لانتهت الحكاية قبل أن تبدأ. هكذا وزعت الحيــاة الأدوار علينا، أنا أتكلم وأتكلم.. وهو يقود ويقود. يقود السيارة.. يقــود الموقــف.. يقود القطيع.. يقود أى شىء وأى إنسان والسلام. أشهد بالحق أن الله مــنح عبعزيز ملكة القيادة والموعظة. كل الفلاسفة يلعبون فى الكتب، وعبعزيــز وحده يلعب فى عجلة القيادة.. يعنى الدركسيون يعنى. مع الأسف عبعزيز لا يهضم اللغة العربية الفصيحة، ويقول إن النبى عربى، والناس الجد لابد أن تفهم كلام الناس.

أين أهرب من هذا الفليسوف المزيِّت؟! كــل يــوم علــى الله يتحفنــى عبعزيز بدرس فى الحياة أسخم من زميله. والمصيبة أنه قائد متطوع يعمل بكل إخلاص لصالح شعبه. حيرنى عبعزيز وبدّل كيانى. ســنوات طويلــة وهو يقود أتوبيس الشركة قبل أن أنضم إلى قطيعها. وعندما ختمونى بختم النسر مثل الباقين حتى لا أميز نفسى عن غيرى وركبت أتوبيس الشــركة أول يوم لى فى الشغل، تعثرت وتكعبلت وتلبدت وتوترت من داخلى، لكنى حاولت ألا تقفز زعابيب روحى على وجهى، فتهزمنى فى أول يوم حيــاة وسط القطيع.

الأتوبيس كله مشغول إلا أول كرسى خلف السائق مباشرة. المفــروض العكس! فزورة غريبة وأنا أكره ما علىّ فى حياتى كمائن الفوازير. اختيار وحيد لكنه قرار بالإجبار. أجلسنى القدر فى هذا المقعد الوحيد، ومن يومها عرفت أننى بفضل الله أصبحت ملطشة القطيع ومن قبلهم قائــد القطيــع.

بالأمانة عبعزيز لا يتكلم كثيرا.. بالأمانة لا يتكلم أصلا.. إنه ألعن من صراحة القطار وأبخل من مياه الصحراء. يسكت يسكت ثم يفرقع كلمة واحدة تقلب الدنيا على قفاها من الضحك، من البكاء، من اللطشة. الله أعلم.. كل زملاء القطيع فى السيارة فى واد، ونصيبى أنا مع عبعزيز فى واد آخر تمامًا. المسافة بين بيتى وبين آخر واحد يغادر الأتوبيس حوالى نصف ساعة. ثلاثون دقيقة بالعمر كله. شقاوة شيطانى تركبنى بعدما أجدى نفسى وحدى معه. أتكلم.. أبعبع.. أغنى.. أنقر على جلدة الكرسى المقطوع. أبوح بخوفى بلا خجل، أخذ رأى عبعزيز فى أمور مكتبية انقلبت إلى استشارات عائلية فى الطريق. أغلب الظن أن عبعزيز لا يكلف خاطره بالرد على أشكالى من القطيع. أهلك نفسى وأنا أفكر فى كلام عبعزيز والنتيجة دائمًا لا شىء. كل المدرسين يضربون التلاميذ بالمسطرة أو بالخشبة أو بالشومه أو بالحذاء حسب الحالة، هذا لو أخطأوا فى حسبة واحد زائد واحد ولم تطلع معهم اثنين. كنت حكيت لعبعزيز هذه الحكاية المضحكة من وجهة نظرى عشرين مرة لكنه لم يضحك، وفجأة أفزعنى بالرد على أشكالى فى المرة الأربعين وقال..

<- مش شرط واحد زائد واحد يبقوا اتنين!>

نسبة تركيز عبعزيز عالية جدا. كان يقود الأتوبيس والشارع والحكايات والكلام والصمت وكل شىء وأى شىء. كان يستوعب ما أحكيه، رغم أننى أنا نفسى لا أستوعبه. لم يغضب مرة واحدة من تنبيهاتى المستمرة له طوال الثلاثين دقيقة فى سكة الرجوع..

<- حاسب يا عبعزيز.. إياك وسيارات النقل. كله إلا سيارات النقل. لا تصطدم بها فهى بلا إحساس. لا تسير وراءها فرائحتها مقلب زبالة. لا

تسير أمامها فهى غدارة كزوجة الأب التقليدية. لا تقابلهـــا وجهـــا لوجـــه فملامحها قبيحة مثل المرابى الغشاش. إياك تسير بجوارها فهى كمشـــرط الجراح الفاشل تجرح ولا تداوى. إياك تذكر سيرتها فهى كالشهم المنكوب الذى يغرق مع صديقه بدلا من إنقاذه!>

إسطوانة مشروخة أبغبغ بها كل يوم لمدة ثلاثين دقيقة متواصل، تتقاطع مع حكاياتى التى تشبه بعضها تقريبا وعبعزيز لا يرد.. لكنه فعلا يتحاشى سيارات النقل بكل قوته حتى أطمئن. مرة واحدة فقط غيرت الاســطوانة. هى مرة واحدة لم تتكرر.

<- حاسب يا عبعزيز. ماتغضبش من التاكسى اللى وقف قدامنا فجــأة زى اللوح. صحيح كنا هنموت لكن معلش. الركاب اللى وقفلهم تبعنا. أختى وخطيبها محملين شنط وخلافه لزوم الجهاز، يا رب يوفقها. خطيبها راجل ابن أصل.

<- دا ندل مأصّل!!!! ركب قبلها وسابها وراه بتعافر وحدها محتاســة بين الشنط والباب وكمان بيستعجلها الواطى

- يمكن يا عبعزيز من الزحمة وقصده خير.>

سكت عبعزيز ولم ينطق بقية الطريق. لم يعلق.. فتركته على راحته.

سنوات طويلة وأنا أتركه على راحته. لا أتكلم إلا مع محـــامى أختـــى الذى يتولى قضية طلاقها الدائرة فى المحاكم بعد أسبوع واحد من زواجها. حتى المحامى بصق على زوجها بكل ذمة..

<- إنتى اخترتى ندل مأصّل!!>

الله يرحمك يا عبعزيز. صدمته سيارة نقل بعد نزولى مباشرة فى آخر يوم عمل له قبل خروجه على المعاش. عبعزيز لم يمت، لكنه منذ هذا اليوم اعتزل قيادة السيارات. اعتزل قيادة كل شىء.

فجاة رأيته يجلس بين القطيع فى جلسة الحكم النهائى لقضية طلاق أختى. وبعد الحكم بجلاء الندل المأصّل نادانى عبعزيز، وفتح فى الكلام على الآخر لأول مرة ولآخر مرة..

<- سمعت صوتك فى ودانى بيحذرنى "حاسب يا عبعزيز"، لكنى تجاهلته وركبت دماغى وقربت من العربية النقل بكل قوة وتحدى غبى. كنت عايز اثبت لنفسى إنى صح على طول الخط. يا ريتنى كنت سمعت كلامك وانتى بتحذرينى "حاسب يا عبعزيز"!>

حصان حلاوة

جراب الخير فى قلبى عمران بكل خير

أراقبها أنا من بعيد لبعيد. تسكت هى وتغمض عينيها. لا أعرف عن خجل أم أنها لا تريد أن ترى أحدا غيرى فى خيالها. لا أعرف..

هى عاملة مصنع بسيطة وأنا سكرتير مدير أرشيف. تعلمت من الأرشيف أن الصبر جميل، والمعلومة التى لا تنفع اليوم ربما تفيد فى المستقبل. أنا لست موظفا فى الأرشيف منذ زمن بعيد، لكن مدير الأرشيف أصبح هو ودوسيهاته طحالب ملتصقة. لم يعد يهتم أن يتعفن التراب على ملابسه، لم تعد ملابسه تهتم أن تأكل الأيام من قوتها وحياتها، لم تعد حياته تهتم أن يشاركها فحيح الإضاءة الضعيفة كل رصيدها الضبابى فى الدنيا. مديرى نموذج مجسم لإنسان يتنفس ولا يعيش. فى عينه اليمنى أرى لهفة المحروم على الحياة، وفى عينه اليسرى أسمع صراخ ترحيبه الدائم بالموت. هو أرشيف متحرك لكل حقائق الدنيا وأحداثها التافهة وتواريخها الزائلة.

سألته يومًا كيف ألفت نظر عاملة المصنع؟! البنت آيه من آيات الجمال، لكنه جمال أرشيفى يعلوه فقر التراب! تعرف هى أنها حلوة ومطلوبة، تنظر إلى واحد وتتساير مع الثانى، ومعى أنا تسكت وتغمض عينيها. لا أعرف عن حياء زائد، أم أنها لا تريد أن تكوينى برموشها الحادة. لا أعرف..

طلب منى مدير الأرشيف منحه مهلة ليجيبنى على سؤالى المهم. إنه رجل طحلب بطيء التفكير. لم يعد عبدا للصبر بل أصبح سيده. شهر وراء شهر وأنا أسأله كيف ألفت نظر عاملة المصنع البسيطة؟ لقد فعلت كل ما

بوسعى على قد معلوماتى. عرفت مواعيد عملها. انتظرتها فى الصباح الباكر ورصرصة السقعة مع أن ورديتها تبدأ قبل مواعيدى بساعتين. فى الليل المتأخر انتظرتها مع كرابيج الريح مع أن ورديتها تنتهى بعد مواعيدى بثلاث ساعات. عاملة المصنع تطبق أكثر من وردية لظروف الحياة. تعرف هى أنها حلوة وعليها العين، لا تنسى هى رغم حيلها المهدود أن تضع بواقى أحمر وتلاطيش أخضر على وجهها. ربما تدارى به التراب، ربما تضع حاجزا لونيا بينها وبين سطح الحياة. شهر وراء شهر وأنا أسأل مدير الأرشيف ليدلنى على طريقه، وأخيرا أخبرنى أن عاملة المصنع من طنطا. المفروض أن أتصرف أنا وأستجمع كل لباقتى لأناغش قلبها. أخبرنى مديرى أنها جاءت إلى القاهرة منذ سنتين، ورائحة مولد السيد البدوى مازالت تتلحف بها وتزكمها من ساسها إلى رأسها. سألت عن ميعاد المولد وفى اليوم المحدد تعديت حدود طبيعتى وتجرأت واعترضت طريقها بالذوق، ورميت بين ذراعيها برفق حصان حلاوه. دخت السبع دوخات حتى وجدته، فكل شىء الآن أصبح بالبطارية أو الكهرباء. حتى الحصان يصهل بالكهرباء.. آخر زمن!

تصورت فى اليوم التالى أن الحصان عمل عمايل، وأنها سترمح رهوان تجاهى لترتمى فى أحضان الجوكى الحلاوة. شيلاه يا سيد! انتظرتها فى الصباح تونسنى فى مصمصة السقعة كالعادة. لأول مرة تفتح فمها ولا تسكت.. لأول مرة تفتح عينيها ولا تخجل.. ويا ريتها لم تتكلم، ويا ريتها لم ترانى. قذفت فى وجهى بكلمة واحدة لم أفهمها بشكل واضح، تقريبا كلمة قبيحه.. قبيحة جدا.. أكلتنى بعينيها ورمت حصان الحلاوة فى حضن الجوكى المهزوم واختفت.. اختفت من الطريق لكنها لم تختف من قلبى لحظة واحدة. لأول مرة لا أعود إلى مدير الأرشيف، لأول مرة لا

أفكر فى الزمن الماضى، لقد كرهت فعل كان وأخوات كان الأشقاء وغير الأشقاء. لم يعد هناك وقت لحِكَم الفقر وزهد التراب، من الآن قررت تحويل كل الحروف الأبجدية إلى حرف السين.. سين المستقبل.. سأعمل.. سأغتنى.. سأنتقم..

خمس سنوات مرت على أنفاسى واخترقت أوصالى بالطول والعرض فى بلاد الخليج كذرات رمال الصحراء الباردة. كبر رأسمالى كثيرا، وكبرت سنوات عمرى أكثر. عدت إلى المصنع لأجد مديرى ترقى وأصبح رئيس قسم الأرشيف، لم يعد يشتكى رئيس الطحالب من طبقات التراب الملتصقة على جلده بالتقادم. لم يعد التراب المسجون فوق جسده يشتكى من السجن الانفرادى الأبدى. إدمان عشق غريب نشأ بين السجين والسجان. سألت عليها.. عشرة جنيهات فكت لسان الفراش ليحكى لى قرار حياتها، وكيف أن الجميلة تزوجت من نصاب أكثر ترابا، وطلقها بعدما دخل السجن وترك على كتفها اليمين جناية الطمع فى الجميلة من كل خلق الله، وعلى كتفها الشمال عفريته صغيرة ورثت شقاوة أبوها وحلاوة أمها وتراب الأرشيف.

اقتربت من وراءها دون أن تراني. لم تشعر أننى موجود. لم يوقظها إلا صوت مدير المصنع يرحب بى أول مرة أزور فيها المصنع بصفتى المالك الجديد. التفتت هى مثل غيرها ومررت أنا بجانبها مثلها مثل غيرها.

فى اليوم التالى وجدتها تنتظرنى فى الصباح الباكر وحيدة وسط خشخشة السقعة. ألقيت إليها بمفتاح سيارتى الكبيرة لتمسح التراب من فوقها، وظللت أنا ممسكا بحصانى الذهبى المتدلى من ميداليتى الذهب. نظرت لى طويلا وفتحت عينيها المكسورة نصف فتحة. حاولت أن تتكلم.. سكت أنا.. أغمضت عينى وأنا أعرف السبب..

<- على فكرة أنا ندمانة ع اللى عملته واستاهل ضرب البُلغـــة.. كـــل سنه أروح مولد السيد واشترى حصان حلاوة.

- تشترى......

- حصان حلاوة

- تشترى فى كل مولد.........

- أشترى حصان حلاوه

- حصان............................

- حصان حلاوة

- يا حلاوة.. يا حلاوة!>

روميون وجولييته

عمرى لم أؤمن بالحب من أول نظرة إلا عندما قابلته.. معظم البنات تتمنى أن يطير بها فارسها المنتظر على حصان أو حمار أبيض وحاجات كدا من أحلام أسميها أنا فى شرع عقلى سرابا مضحكا. ثم إن كل كائنات الدنيا محرومة من الهواء إلا أنا.. يسمون مهنتى مضيفه جوية، وأنا أتعامل مع نفسى بصفتى رائدة فضاء مزدحم، يسعدنى حظى بمقابلة كائنات على كل لون. معاملة الجمهور مهنة محطمة للأعصاب. ركاب كثيرون يخلطون بين المضيفه المتجولة وبين إيرما لادوس صاحبة عامود النور فى شوارع باريس على اعتبار أن النوعين ينتظران زبائن والسلام! وركاب يتعاملون مع المضيفة بوصفها خادمة فلبينية شيك لا تحمل الجنسية الفلبينية من باب شقاوة المضيفات، يطلبون المشاريب دون أن يكلفوا أنفسهم بالنظر إلى ابتسامتى المصطنعة المحفورة على جلدى كالوشم المودرن بحكم العادة. مع أنى أعتقد أننى متميزة.. أتحدث ثلاث لغات منطوقة، وأجيد لغات خفية حية وميتة من النظرات واللفتات والهمسات واللمسات والصمت الرهيبى!

كل هذا يندرج تحت زمان كان ياما كان .. كل هذا حتى قابلته! شاب أشقر يجلس على كرسى الطائرة بمفرده بعدما تغيب جاره المجهول. الشاب سنيور إيطالى، أزرق العينين، يطلب ما يطلب بمنتهى الذوق، يتكلم عربى مكسّر من كثرة رحلاته إلى مصر، يعمل فى الآثار حتى أصبح هو نفسه فرعونا بلا تاج.. عندما يتكعبل أحد على السلم ويسأله الدكتور ماذا حدث، غالبًا ما يقسم له بالعظيم ثلاثة أنه لا يذكر غير أنه تكوم على الأرض بدون مناسبة. هكذا أنا.. تكومت على أرضية قلبى داخل بعضى بدون مناسبة! ثلاث مرات أسأله عن طلباته، وثلاث مرات يجيبنى بكلمات أنيقة تدل على أصل عائلته. يتكلم هو ويندلق على وجهى مية نار مخلوطة بسكر سايب مستورد من نهر الجنة، تذيب وشم الضحكة المصطنعة الكريهة التى تشققت على وجهى كالحفريات المنقرضة.. فى المرة الرابعة امتنع الطليانى

الأشقرانى عن الرد، سألته فأجابنى بنظرات ملتهبة لا تحتاج إلى أى قاموس مكتوب أو مسموع..

نسيت الضيافة.. رميت الطائرة.. احتضنت الهواء.. وانجذبت كالمسحورة إلى مقعد جاره الغائب المجهول..

<- غريبة إنك تحبنى قبل ما تعرف حتى اسمى

- انتى عندى أجمل ملكة اكتشفتها فى حياتى

- على الأقل أعرف اسمك

- روميو شكسبير

- قصدى الحقيقى

- هو دا الحقيقى.. اسمى مُركّب من قطعتين.. روميو شكسبير>

سبعة أيام مروا علينا كنسمة صيف فى شوارع القاهرة الرومانسية على غير العادة. أسبوع نار لم يره أشهر عشاق السماء والأرض ولا أشهر أبطال الفالانتين داى الجبابرة. من يومها وصحباتى تطلقن على قصتى اسم "روميون وجولييته". من يومها ونحن نتراسل، نتواعد كل عام مرتين أو ثلاثة، ومع ذلك كل يوم أبحث عنه بين وجوه كل الركاب.. أناجى الله فى سرى..

<- اللهم ارزق كل العشاق بنار الشوق، اللهم ارحم كل العشاق من نار الشوق.>

الآن فقط فهمت معنى اليافطه المعلقة فوق رأس مديرى التى رأيتها لأول مرة وأنا أتسلم العمل..

"إياك وغرام الغرباء، فهم دائمًا راحلون!"

شارلى حبيبى

وعدته ألا أخيِّب أمله مهما حدث

وعدته وعد شرف

فى يوم من الأيام كنت أبكى.. أبكى بحرقة.. عمى الذى كنت أبيت عنده فى ليلة سيئة بعدما طردنى والدى مع أمى، مرمط بكرامتنا الأرض وتركها أرض.. أرض! كنت صغيرا فى سنة خامسة ابتدائى. لم أعرف سر الخناقه بالضبط، ولم أكتشف الأمر حتى الآن. طراطيش كلام متفرق شرخ أذنى.. "مصروف البيت.. العيشة السودة.. قال الله وقال الرسول..".

عمى الكبير الوحيد استضافنا عنده فى هذه الليلة مكرها.. فالطارد هو أخوه والمطرود هى ابنة عمه وابن ابنة عمه.. كالعادة فى الصيف يحلى السهر، لكن والدتى المقهورة المطرودة من بيتها ووطنها دخلت لتتخمد بدرى على حد تعبيرها، وربما لتفضفض قليلا مع مرات عمى الطيبة بعكس عمى الرخم! سهرت وحدى أمام التليفزيون أتابع أى شىء والسلام، حتى كافأنى الله ببداية فيلم جميل لشارلى شابلن.

شارلى حبيبى.. صديقى.. أنتيمى.. مثلى الأعلى فى البراءة الكفاح والصبر.. كان اسم المكافأة السماوية فيلم "الديكتاتور العظيم". كنت بدأت أتذوق طعم الديكتاتورية المر على لسانى بعد نظرات القرف التى استقبلنى بها ابن عمى الرخم إبن الرخم، الذى سأشاركه حجرته غصب عنه دون أن يدعونى هو لاحتلاله.

لكنى حتى الآن لا أعرف ما هى العظمة؟

ما معنى أن تكون عظيما؟؟

بكيت كثيرًا طويلا فى هذا اليوم حتى استكفيت وشبعت تماما. سهران وحدى أشاهد الفيلم وأحاول ملاحقة الديكتاتور شارلى على قد عمرى

الصغير.. لكنى فى هذا اليوم اكتشفت أن عمرى انسرق منى قبل الآوان. نططنى الذل عدة سنوات وكبرت أكبر من اللازم فى لمح البصر بقفزة زانة واحدة. لحظة قهر مُرّه لوثت فمى عندما دخل عمى فجأة من الباب.. وبدون كلمة واحدة أغلق التليفزيون واغتال أحلامى مثل والدى الله يسامحه.. عمى القاتل الرخم قتل شارلى السمح بطلقة واحدة صامتة، وسحبنى من قفا القميص الذى لم أستبدله من يومين، ورمانى على فراش ابن عمى المتحفز كأنثى النمر الجريحة..

يومها أدركت مهانة الطرد من فراشى.. من بيتى.. من أمانى.. من تليفزيونى.. من أحلامى.. من خيالى.. من شارلى.. الابن المنبوذ الذى يفرط فيه أبوه وأمه ليس من حقه الاعتراض على شىء. ينجر من قفاه إلى أى مصير ولا ينطق كالنمله التائهة عن سربها الوحيد.

فى هذا الوقت.. فى الثمانينيات.. لم يكن هناك تليفون محمول ولا بتاع. كنت هموت ليتصل بى بابا ويعبّر ابنه الوحيد. يا ريت أمى تخرج من غرفة الفضفضة ولو دقيقة واحدة فقط.. لحظة واحدة فقط.. نفسى أكمِّل الفيلم.. وياسلام لو أكمله فى بيتنا.

شارلى حبيبى.. أعدك ألا يقتلك أحد مرة أخرى أبدا!

وعدنى أبى بعدما استردنا بالعافية وكافة محايلات الرخامة ألا يحوجنى مرة أخرى لديكتاتور أبدا. وعدت أبى بعدما عدت ألا أخيِّب أمله مهما حدث. كبرت ودرست الفن، علمنى شارلى حبيبى معنى العظمة وديكتاتورية العظمة.. أحسست بعظمته فى أفلامه. حلمت أن أكون فنانا عظيما مثله، أو على الأقل مثل ظله. درست الفن العظيم على أصوله، بدأت مشوارى بكل أمل وحب وموهبة ومتعة، لكنى وجدته مشوارا غير عظيم على الإطلاق!! الفن الهابط يخنق كل شىء. حلال أن نسميه "هابط"، حرام أن نسميه "فن"! سنين طويلة وأنا أكتب سيناريوهات حلوة، لكن

حلاوتها ناقصة لا تعجب أحدا إلا نفسى واثنين من أساتذتى العباقرة المنزوين فى دفتر الإهمال داخل خانة خيل الحكومة..

النكتة السخيفة فى الموضوع أننى أكتب سيناريوهات كوميدية، تضحك بعد تفكير وعذاب، ضحكة تبقى فى القلوب ولا يلقيها التاريخ من أقرب شباك بدروم العمارة. من منتج.. إلى موزع.. إلى نجم.. إلى ممثل.. الكل معجب جدًا بالورق، والكل لا يريد أن ينفذه!! إنها بحق أسخف نكتة سمعتها فى حياتى!!!!

اتلهيت فى عدة وظائف أى كلام لأكسب قوت يومى. استخدمت كل المواقف التى قابلتها فى حياتى وحولتها إلى مشاهد قصيرة. كنت أركِّز مع الناس، أراقبهم، أتفاعل معهم، أتصور نفسى مكانهم، أكتب لكل مشهد عدة نهايات مختلفة. أذاكر الناس والحياة على أمل أن يؤمن أحد بموهبتى وأضع قدمى على أول السلم مثل أبطال أفلام عبد الحليم حافظ وفريد الأطرش ومحمد فوزى. لكن يبدو أن أفلام زمان بالأبيض والأسود، استنفذت كل اللون الأبيض ومسحته تماما، وأورثتنى اللون الأسود وحده يلوِّن أحلامى وينقشها بنقاط سوداء وخطوط مدهونة بالأسود..

ليست المشكلة أن أفلامى صعبة تحتاج إلى قاموس، ولا أنها أثرية يلزمها ترجمان، ولا أنها مكسور عينها مسروقة تتسول التراضى مع المسروقين والمسئولين. المشكلة الكبرى أن سيناريوهاتى حلوة.. حلوة أكثر من اللازم!!

أخطو الآن فوق عامى الأربعين.. مازلت أبحث عمن يفهمنى ويقدِّر موهبتى. هل يا ترى أنا الذى زرت الدنيا متأخرا ولم ألحق أيام الفنانين العظام، أم أننى كبرت مبكرا وحلمت أكثر من اللازم أن أكون فنانا عظيما مثل شارلى..

شارلى حبيبى..

<أرسل إليك أول وآخر خطاب أكتبه فى حياتى. لا أعرف أين سيصلك، لكنى متأكد أنه سيصلك. أنا لست جبانا! وعدت أبى ألا أخيِّب أمله مهما حدث، يبدو أننى فضفضت بالوعود أكثر مما أحتمل. إنها ظروف عصر بأكمله لا أتحملها وحدى.. وعدتك يا شارلى أن أعرف معنى العظمة فى الفن وأمارسها.. عرفتها نعم لكنى لم أستطع ممارستها. اكتشفت الآن أننى حلمت بأكثر مما تحتمل أحلامى.

أسف جدًا يا شارلى.. لم أستطع مقابلتك شخصيا لاختلاف الزمان والمكان والفنانين والناس.. أنت لم تنتظرنى وهذا حقك، لهذا قررت الذهاب إليك حيث تكون.. سأزورك لأول مرة ومعى كل أعمالى.. القصيرة والطويلة.. الناقصة والمكتملة.. الحلوة والحلوة جدا.. أرجو أن أجد عندك محلا خاليا فى جنتك، أو على الأقل فى السماء بجانبك.. لا أعرف كيف يساع قلبك كل الحالمين المحرومين المقهورين من الفنانين أمثالى؟!!

على أى حال أنا متأكد أننى إذا لم أجد مكانا فى حجرتك الواسعة، فستعوضنى يا شارلى بحجز بيت صغير تمليك باسمى فى قلبك الكبير.

التقليديون سيسمون تناولى جرعات السم انتحارا، والفنانون الحقيقيون سيسمونه خلودا. أما العظماء فسيعتبرونه بداية مشوار عظيم للقاء فنان عظيم اسمه شارلى حبيبى!>

شَعرة كاروهات

حرمان الطفل من ممارسة الرياضة وهو صغير إعلان رسمى عن مولد شعب يفتقد الروح الرياضية.. شعب لا يتلذذ بحلاوة الانتصار.. شعب لا يتعلم من الهزيمة.. شعب لا يعرف كيف يقع ولا كيف يقوم بعد الوقوع ويتعافى. لا يوجد طفل لا يقع، لكن ليس طفل يستطيع ثنى ركبتيه ليبدأ من جديد.

وضعت قلمى جانبا بعدما شكرته على جريانه بين أصابعى دون عصيان. سنوات طويلة وأنا أمارس الترجمة من اللغة الإنجليزية إلى العربية فى أشهر مجلة رياضية فى مصر. أترجم كل الموضوعات.. كل الرياضات.. كل الفروع القريبة والبعيدة.. لغتى الإنجليزية لم تساعدنى على إتقان عملى فقط، لكن تخرجى من كلية التربية الرياضية وممارستى لكل الألعاب التى أترجم رأى الآخرين عنها جعلنى أنقل صورة الملعب وروح اللعبة، أرسك بكلماتى صورة الفكر عند كل كاتب.

تعجبت جدًا عندما قرأت له مرة تحليلا لمباراة قمة كرة القدم بين نادى الاتحاد السكندرى ونادى الزمالك بالإسكندرية، وقد هلهل بقلمه دفاع الاتحاد على أدائه مباراة سيئة للغاية، مع أن أى عيل صغير لعب كرة شراب وبالطوب فى الحوارى سيدرك بلا أى ذكاء أن خط الوسط التائه كان نقطة الضعف الواضحة وليس خط الدفاع! لكنى مازلت مترجما شابا ومشروع صحافى رياضى فى خيالى أنا وحدى. ربما هو سكرتير التحرير ويعرف أكثر....... فارق الخبرة لصالحه، لكن فارق الدراسة والعقل المستنير والحيادية لصالحى أنا. لا أعرف! لقد تلخبطت جدا.. تلخبطت جدًا جدا.. لم ينقذنى من هذه الورطة إلا سوء الأحوال الجوية لذاكرتى التى تمطر كل المعلومات خارجها لتتبخر فى ثوان معدودة.

قبّلت قلمى الجميل عرفانا منى بجميله على حياتى. مقال عواقب حرمان الطفل من ممارسة الرياضة هو أول مقال أكتبــه فــى حيــاتى وأوقعــه بإمضائى. لأول مرة أعبِّر عن أفكارى أنا ولــيس أفكــار غيــرى، عــن شخصيتى أنا وليس استعارة شرعية لشخصية غيرى. ما أجمل الحرية! ما أمتع الإحساس بالملكية!! تعودت على استخدام ورق الدشت فى الترجمــة وتقديمه إلى خبير الرياضة المحترم سكرتير التحرير الذى هلهل دفاع نادى الاتحاد بدون وجه حق.. كما أعتقد.. مرة من نفسى أتخلى عن مهمة قلــب المقال الإنجليزى من الشمال إلى اليمين، ليتحول إلى كلمات عربيــة مــن اليمين إلى الشمال. أما اليوم.. اليوم فقط.. بعد مرور عشر سنوات علــى تدريبى بالمجلة قررت أن أحتفل بعيد ميلادى الثالث والثلاثــين بطريقتــى الخاصة. فالميلاد الحقيقى يتحقق عند ترك بصمة على خد الحياة، وأنا حتى الآن لم أولد بعد ولم أقل واء!

كتبت مقالى بكل عناية. لأول مرة أستغنى عن خــدمات ورق الدشــت المرصص فوق بعضه كأيام حياتى. لأول مرة أكتب فى أچندتى الحمــراء الصغيرة أفكارى أنا، أحلامى أنا، رؤيتى أنا. ماذا يمنعنى أن أعبــر عــن نفسى حتى الآن؟!! صحيح أن سكرتير التحرير خريج كلية الزراعة مازال يرى أن أسوأ مشكلة فى مباراة الاتحاد هى دفاعه المهلهل، وأنا مازلت عند موقفى مع استهتار خط النص، لكن ربما هو أدرى....... احترام الخبــرة واجب مقدس، فالكبار أصحاب المناصب لا يخطئون.. أبدا..

اصطحبت معى سنوات عمرى الثلاثة والثلاثين ووضعتهم تاجا علــى رأس أول مقال أكتبه فى حياتى داخل أچندتى الحمراء. أعز تذكار عنــدى من حبيبتى الأهلوية جدًا جدا جدا.. سبقتنى أقدامى إلــى مكتــب ســكرتير التحرير الخبرة، وبدون كلمة واحدة وضعت أمامه أول مولود لى من بنات أفكارى بكل حرص وعناية ولهفة.

اندهشت جدًا جدا جدًا عندما وجدت سكرتير التحرير يقلِّب الأچندة الحمراء بين أصابعه المرتعشة، وهو يطلق أقذر لفظ سمعته فى حياتى!! وبعدها أطلق فاصلا طويلا واطى المقام من كل بذاءات العالم بسرعة مائة كلمة قذرة فى الثانية!!! أول مرة أكتشف أن سكرتير التحرير زملكاوى متحيز متعصب متكبر متجبر إلى هذه الدرجة المتعفنة؟؟؟؟؟؟؟؟؟!!!!!!!!! إنه لا يحقد على أمجاد النادى الأهلى فقط، إنه مصاب بأرتيكريا من كل ما هو أحمر يذكره بغريمه اللدود الكابس على أنفاسه من زمان وحتى الآن!! ساعتها فقط أدركت أن سكرتير التحرير الأبيض خريج الزراعة بتقدير مقبول أهون عليه يأخذ عزرائيل بالحضن ولا يطيق مجرد ذكر النادى الأهلى يا حرام.. معروف أن خطيبتى أهلوية جدًا جدا جدا، ومعلن أننى أهلاوى جدًا جدا جدًا حتى سابع جدا! أتاريه بيشطّب مقالاتى المترجمة بقلمه الأزرق الردىء وهو فى الإنجليزية أجهل من دابة وأسوأ من ستارز الحذاء الرياضى الدائب. بعبع أحمر يصيبيه بالجنون لا يفارقه يا حرام! والكارثة القومية أن نصف مقالات الخبير الرياضى الزراعى هى تحليل ساذج للمباريات على طريقة "شدوا حيلكو يا رجالة!!"، والنصف الثانى دروس مجانية مكتوبة بانتظام كل أسبوع لجمهور المتعصبين المشتعلين من تلقاء أنفسهم على طريقة "هم فاكرين نفسهم إيه؟؟؟!!! دا إحنا إحنا اللى وقفنا وماتحتحنا!!"... وكالعادة يختم سكرتير التحرير الأبيض مقاله بجملة واحدة ملصوقة على آخر سطر بسلوتيب أبيض تقول "الرياضة شرف وصفاء وقلب طاهر أبيض".. الحمد لله أنه لا يوجد سلوتيب أحمر وإلا كان أعدمه فى البانيو الأبيض!

اضطررت للتجاوز عن كل الألفاظ البيئة التى نهشت أذناى البريئة.. يا دوبك تقدمت خطوة واحدة، وفتحت له الصفحة مرة أخرى على مقالى المولود حديثا القابع فى الحضّانة ويحتاج تنفسا صناعيا ليظهر إلى العالم. وفجأه رأيت وجهه يرخى الستائر ويظلم ويتكسر بصوت مرتفع مقزز

تقشعر له الأبدان.. فانقطفت أزهار العالم كله على جبينى، وتحولت إلى كمالة عدد لبشر عيب أن يكونوا بشرا! سكرتير التحرير الأبيض خريج الزراعة القديمة قبل اختراع الصوبا، قرأ أول كلمة وآخر كلمة وإمضائى فى نهاية مقالى. تقريبا لم يتوقع أن يصل طيشى الأحمر إلى هذا الحد الخطير..

<– مين صاحب المقال؟

– أنا

– مين كتب المقال؟؟؟

– أنا

– يعنى فين اسم الراجل الأجنبى؟؟؟

– مفيش غيرى.. دى أفكارى أنا ورأيى أنا..>

تقريبا كاد قلبه الأبيض يقف من هول صدمة الطبيعة الظالمة، لم يعد قلبه يدق، بل ينتفض كعود الكبريت المراهق! كاد عقله الأبيض يجن من قسوة الزمن الأغبر، لم يعد عقله يعمل، بل يركض كحصان الحواجز المرعوب من الحواجز!!

لم أدرك كم مر من الوقت وأنا أتلقى كما رهيب من لكمات التوبيخ عقابا لى على عباطة جنونى الأحمر الهائج الزائد الماجن، إلى الحد الذى سوّلت لى نفسى الأمّارة بالسوء تهيؤات وضع إسمى المصرى وأفكارى الفاشلة محل اسم الكاتب الأجنبى المستورد وأفكاره المبهرة.. ماذا أصابنى حتى أتلطش فى عقلى وأتجرأ أن أعبر عن ذاتى وأقول رأيى الذى لا يساوى بصلة مصنونة الرائحة؟؟!! ما هى ذاتى؟؟ ما هى مؤهلاتى؟؟ أين تقع على الخريطة؟؟؟

من الآخر اتهمنى مديرى الأبيض أننى صدقت نفسى أكثر من اللازم!

كلمة كلمة وحرف حرف بهدلنى بسببهم نتيجة سوء مستواى وضحالة أفكارى وتخلفى العقلى وتراجعى الحضارى وسذاجة تعبيراتى وقصر نظرى وجهلى الساخر وفلسفتى الإكسترا وشطحاتى الطافحة وأسلوبى البغالى.. عزف منفرد من قلة القيمة والتريقه المستفحلة لأننى افتكرت نفسى بنى آدم!!

ساعة إلا ربع وأنا أتلقى ضربات متلاحقة من البستفة التى لا يتحملها فئران المزارع المدملكة. اندهشت جدااااااااااااااا كيف تحملتنى قدماى الوفية لى أكثر مما توقعت؟! كيف حملتنى كل هذا الوقت الصعب دون أن تخوننى ويشمت فى عدوى الأبيض عينى عينك؟؟!! نصب لى سكرتير التحرير الزراعى أبو قلب أبيض شفاف محاكمة تاريخية سرية بتهمة اعتبار نفسى كائنا يشغل حيزا غير محسوس على سطح الكرة الأرضية دون وجه حق؟؟ أشار سكرتير التحرير الزراعى إلى سوالفه الحائرة بين بقايا شعره الأسود القديم ومساحة شعر أبيض واسعة مصبوغة بلون قلبه الأبيض. وبين هؤلاء وهؤلاء شعرة كاروهات رمادى مدسوسة بين العالمين، تقف وحيدة ممنوعة من السواد الكامل وتخاف من البياض الكامل.

<– مسموح لك أن تكون بشاير بنى آدم عندما تنبت لك شعرة كاروهات رمادى. احتمال بعد سن الخمسين، أو احتمال بعد التمانين؛ دا لو عشت!!!>

خفت على كرات دمى الحمراء أن تشيب قبل الآوان. جرجرت سنوات عمرى الثلاثة والثلاثين قبل أن ينشلها منى ويصبح رصيدى زيرو. مشيت فوق دماء أچندتى الحمراء. عدت إلى مكتبى ككتلة مقتولة من الصمت

الأخرس.. ساعتان وأنا جالس على وضع الحرنكشة المتمردة على صــغر حجم رأسها!

أعترف أننى عدت إلى صوابى بعد حقنة المسخرة التى غرسها سكرتير التحرير المحايد فى كل عضلى..

استعطفت أوراقى الدشت وعليها ترجمتى الجديدة لتــذهب معــى فــى الزيارة القادمة إلى سكرتير التحرير العادل للحفاظ على لقمة العيش، مــع التأكيد أننى مازلت طبقا لوجهة نظره من ذوات الأربع. وتقريبــا ســأظل هكذا طالما أننى لا أكره اللون الأحمر، ولا تســكننى شــعرة كاروهــات رمادى، ولا أنعم بجنسية أجنبية مستوردة خالدة الصلاحية.

المهم أخذت أوراقى الجديدة دون علمها وذهبنا إليه..

ساعة إلا ربع وأنا أستقبل محاضرة بليغة فى جنابى.. واندهشت جــدًا جدا جدًا حتى آخر جدا، كيف رضيت عيناى المكسورتان النظر فى عينى سكرتير التحرير الأبيض كل هذا الوقت، وهو يحرجنى عينى عينك ويقسم وحياة الشباب بتميز أى أجنبى جاهل عنى بألف قرن بدليل هــذه الأوراق العبقرية.... كلمة كلمة وحرف حرف وخريج الزراعة المخضــرم القــديم يتحفنى بدرس خصوصى خبرة فى ارتفاع مستوى الكاتب الإنجليزى للمقال الذى ترجمته، ومدى رقى أفكاره وتمدنه الحضارى ومكر تعبيراته وبعــد نظره وثقافته المفزعة وفلسفته المقتصدة ودهائه المنفلت العيــار وأســلوبه الآدمى.. أداء موسيقى فردى بارع لسكرتير التحرير الكاروهات فى تمجيد الأجنبى الأشقر ومنحه كل الحقوق لأنه النموذج الحقيقى الأجدر أن يكــون بنى آدم!!!

أيام.. شهور.. سنين مرت على هذه اللحظة التاريخية الفاصلة. عشــر سنوات وأنا أترجم مقالات من اللغة الإنجليزية بكــل ذمــة وموضــوعية

ومصداقية مؤمنا بقدراتى الآدمية الضحله. عشر سنوات لم يكتشف فيها سكرتير التحرير الأبيض الذى مازال يجلس على كرسيه بكل قلبه الأسود الحاقد على كل أحمر، أننى عدت إليه يومها بعد محاضرة المسخرة بنفس المقال الذى كتبته أنا بقلمى أنا وأفكارى أنا ورؤيتى أنا، فقط بعدما نقلته من أچندتى الحمراء التى أصابها بالسعال والحصبة وسفالة لسانه إلى أوراق الدشت البيضاء الرمادية الكاروهات التى يحبها ويحترمها وينحنى ذليلا أمامها.. كل ما حدث أننى نقلت مقالى بالكلمة والحرف فقط بعدما أضفت إلى بدايته أربع كلمات فقط لا غير وأداة نصب..

"**ذكرت أحدث الإحصائيات العالمية أن...**"

كنت متأكدا أنه لم يقرأ ولا كلمة من مقالى أول مرة، وكنت متأكدا أنه سيقرأ كل كلمة من مقالى المترجم ثانى مرة!

شعرة رمادى كاروهات بدأت تستبيح سكن سوالفى السوداء. ومازلت حتى اليوم أبدًا مقالاتى التى أبتكرها من بنات أفكارى بالكلمات الأربعة اياها يتبعها حرف النصب.. كلما انهزم الزمالك فى أى مباراة يزغر لى سكرتير التحرير ويدين جهلى وغبائى بصفتى هاربا أحمر أجرب متبجحا متلبسا بختم بطاقتى الشخصية من قفص النسانيس موطنى الأصلى!!!!!!

شوفت منام

أحلام إيه ومنام إيه وكوابيس إيه؟!!! هذه التفاهات كلها كوم، وما عشته أنا فى هذه الليلة الضنك كوم وحده.. يُحكى ويُروى فـــى كتـــب غرائـــب وطرائف بالبنط العريض صفحه أولى..

لم أقابل صديقتى منذ عامين. كانت مسافرة فى بلاد بعيدة. وكما سافرت هى فجأة، عادت هى إلىّ فجأة. ودعتنى بمكالمة تليفون، واستقبلتها بمكالمة تليفون.. بقدر ما كنا ومازلنا نختلف فى الطبائع كلها تقريبا، لكن الموهبـــة المشتركة الوحيدة بيننا كما يقول أصحابنا إن "فينا شىء لله". فراسة.. حاسة سادسة.. حجاب مكشوف.. كلها أسماء ومحاولات تفسيرات لقدرتنا علـــى استكشاف الأمور بدرى قليلا دونا عن غيرنا، والغريب أنها كانـــت دائمًـــا تصيب معنا ولا تخيب!

لا أذكر مكان بيت صديقتى بالضبط. غالبًا ذاكرتى ضعيفة، ثم أنـــا لا أعرف فى شوارع المعادى المضللة إلا محطة بنزين يتيمة تجـــاور محـــل مشهور ودمتم. اتفقت مع صديقتى التى وصلت فجأة أن أصل إلى محطـــة البنزين بمعرفتى، وتأتى هى من بيتها الذى يقع فى أى مكان لتأخذنى. اتفقنا أن أنتهى من عملى ثم أذهب إليها فورا بالأتوبيس المكيّف حتى لا يفترسنى الكسل!! فى العادة يتأخر الأتوبيس المكيّف البطىء كعذاب الحر من نصف ساعة إلى ساعة، لكن لم يحدث – حســـب معلومـــاتى الـــوفيرة وخبرتـــى المشرفة فى الصبر والبهدلة – أن تأخر المكيّف المحروم من التكييف ساعة ونصف بالتمام والكمال.. مع ذلك وقفت وانتظرت وصممت أن أذهب مهما أصابنى المكيّف بأعراض جنون البقر فى عز عقلى وشبابى.

قلبى حاسس أن هناك ما ينتظرنى فى هذا المشوار..

بينى وبين صديقتى العائدة فجأة ثلاثة أحياء. لكن لماذا أجهد نفسى فى العد على أصابعى، إذا كان المكيّف المتين لم يتتعتع من مكان ما ركبته إلا عشرة أمتار فى ساعة كامة؟! والإشارة الحمراء الملعونة عديمة الدم لا تريد أن تفتح أبدًا فى هذا اليوم الضنك. فى العادة تصيب إشارات المرور البشر بالهستريا القابلة أو غير القابلة للعلاج، لكن ليس كل يوم تصعقنا إشارة المرور بالهطل الأزلى إلى هذا الحد، حتى أننا تزحزحنا خمسة أمتار أخرى بعد ساعة إلا ربع بالتمام والكمال! المشوار أخذ حوالى ساعتين ونصف وما يزيد بوقت طويل جدًا الله أعلم به، والغريب أن الأتوبيس المكيّف السلحفاة يمر فى الطريق على بيتى، مع ذلك صممت أن أذهب إلى صديقتى التى عادت من البلاد البعيدة فجأة.

قلبى حاسس أن هناك من ينتظرنى.. هناك!

الحمد الله الذى اخترعوا التليفون المحمول لأتصل بصديقتى وأخبرها أن تنقل مكان الانتظار من الشارع بجانب محطة البنزين إلى بيتها، وتجلس هناك معززة مكرمة حتى أصل بسلامة الله فى الرحلة الطويلة التى أقوم بها من قلب الوطن إلى قلب الوطن..

من باب الذوق وعزومة المراكبية خيّرت صديقتى أن نؤجل زيارتى العظيمة إلى يوم آخر، لكن الغريب أنها صممت هى أيضًا على استكمال المسيرة مهما تأخرت ومهما حدث، لأن قلبها حاسس أنها لابد أن ترانى اليوم!

بعد طول عذاب هبط الأتوبيس المكيّف الذى لا علاقة له بالتكييف أصلا فى مطار محطة البنزين، الوحيدة التى أعرفها فى حى المعادى الواسع جدًا

أكثر من اللازم.. الآن فقط عرفت معاناة المسلمين المستضعفين وهم يتعذبون على يد وأقدام الكفار الأوغاد!! اتصلت بصديقتى التى احترمت نفسها فى بيتها بناء على طلبى، وأخبرتنى أنها ستأتى بسيارتها خلال ربع ساعة حسب التوقيت المحلى لحى المعادى الراقى. أى سيارة؟ لا أعرف! ماركتها.. لونها.. لا أعرف!! فذاكرتى مثل شفاط المطبخ الفاسد الذى يطرد إلى الخارج فقط. مهمة صديقتى أن تعرفنى هى، وتصطادنى فى الليل الذى يطمس بأصابعه أنوار السماء والأرض مع بعض جماعة، اللهم إلا نور المحل الكبير المجاور للبنزينة الوحيدة التى أعرفها فى حى المعادى الذى لا أعرفه.

المنطقة كلها بيوت! لا محلات.. لا محطات أتوبيس.. لا موقف مينى باص.. لا أحد يختبر ذوق سائق الأتوبيس المكيّف ليهبط فى هذا المكان مثلى! ولا إنسان.. ولا لص.. ولا كلب.. ولا سلعوة.. ولا شىء على الإطلاق!! وحدى تماما فى شارع عريض جدا.. بالنوايا الحسنة يوحى شكلى أننى منتظرة حبيبى قليل الذوق الغشيم الذى لطعنى بدون مناسبة، بالنوايا السيئة يدل شكلى أننى فتاة ليل مبتدئة جدد سنه أولى انحراف.. سيارة شباب ضائع تقترب بأشباحها من بعيد، ميّزتها من مدخنة السجائر المتصاعدة من كل الشبابيك، ورقصة الكلاكس التى تنادينى لأساهم فى إشعال نار المدخنة فى الليل وآخره!! تحركت من مكانى بجانب البنزينة الوحيدة التى أعرفها، وتقدمت فى الاتجاه العكسى لأقترب من السيارات التى تأتى فى مواجهتى. على بال ما تلف سيارة الشباب الضائع يكون حلّها حلاّل.. كلما اقتربت من السيارات القادمة بسرعة الريح، كلما لاحظت كتلة غامضة سوداء تغطى على المصابيح المضيئة عن آخرها كعيون التنين فى أفلام الكوارث المرعبة المقرفة. ركنت سيارة الشباب الضائع على جنب،

وزدت أنا فى خطواتى وقد نسيتهم بالتدريج. يقتلنى فضولى لأستكشف هذه الكتلة السوداء التى تعاكس المصابيح الجائعة. كتلة عجيبة جدًا لهـــا قـــوى سحرية، إنها تجبر السيارات كلها بألوانها وماركاتها وأحجامها أن تنحرف عن مسارها وتتجنبها لتفلت من لعنتها..

إننى أقترب.. إنها تتراقص كالچيلى الساخن فى الأطباق.. إننى أقترب أكثر.. إنها تنتشى كأعظم حيه قصيرة تأخذ أعظم حاوى على قـــد عقلـــه، تغنى معه وعليه إلى أن تقضمه مثل غيره.. إننى أقترب جدا..

إنها..

إنه.......

لا أصدق عينى! لا أريد أن أصدقها!! هل أنا أحلم وأنا صاحية؟ هل أنا بكامل قواى العقلية المشكوك فيها من أساسه؟؟ هل طول رحلة العذاب هيأ لى مناما وأنا مفتوحة العينين؟؟؟

إنها............

إنه...

الكتلة...

إنه طفل رضيع يحتفظ بملابس نصفه الأسفل فقط، اختار نصف الشارع بقياس البرجل ليلاعب طوبه خفيفه.. يلقيها.. يزحف وراءها ويضـــحك.. يتمرمغ على الأسفلت ثم يضحك.. يضحك بمزاج عال جداااا! هو يضحك بكل فمه الخالى من الأسنان.. وأنا لا أعرف كيف أسيطر على أبواب فمى التى انفتحت عن آخرها مع طقم أسنانى الطبيعى بدون سابق إنذار!

البيبى بيلعب!!

إنه يجرى وراء الطوبة زحفا على ركبتيه خطوتين يمينـا وخطـوتين يسارا.. لا يسعفه طوله أن يرى مصابيح السـيارات، ولا يمـده قاموسـه بمعنى وفحوى صرخات خلق الله وهى تسب وتلعن اليوم الأغبر الذى ألقى هذه التهمة الحية أمامها وحدها فى عز ليل المعادى التى لا أعـرف فيهـا شيئا.

لو تركته.. لو خذلته.. لن يعيش أكثر من ذلك والله أعلم! لو تظـاهرت أننى لا أراه لن يستكمل البيبى لعبة الطوبة وسيتعكر مزاجه العالى جداااا!! لو ذهبت إليه سيذهب هو وأنا على أقرب مرجيحة إلى العالم الآخـر فـى لعبة هيلا هوب واحدة، وسأكتشف غالبًا هناك أن البيبى أنانى مثـل كـل البيبيهات وسيلعب وحده بالطوبة فى الجنة ويتركنى وحيدة من غير طوبة، هذا لو تقابلنا فى الجنة من أصله!!

من رحمة الله أن الكائن الصغير يجلس بظهـره ولا يـرى كـوارث السيارات التى تنحرف بالعافية قبل جسده بملليمترات لم يرد ذكرهـا فـى حسابات المساطر البشرية التقليدية. وطبعا لا يعبأ هو بأمطار الكلاكسـات التى تهطل فوق رأسه وتصرخ فيه بعلو كلاكسها، ربما يعتقـد هـو أنـه تشجيع الجماهير الغفيرة ليستكمل لعبـة الطوبـه زحفـا علـى ركبتيـه الصغننتين.....

لو فكرت ألف مرة فى الانتحار لما اخترت موتة سريعة كمـا هـدانى قلبى العاطفى الذى تفضل وتكرم بمنح عقلى إجازة مفتوحة بدون مرتـب ليركنه على جنب فى الجراج، حتى ننتهى من إنقاذ هذه التهمـة الطفوليـة بطوبتها الحبيبة.. عرض الشارع واسع جداااااااااا!!!! بدون أدنى ذرة عقل مطلقا بدأ مشط قدمى المرعوشه يخترق خط عرض الشارع الأوسع مـن

خيال الدنيا بحالها. لم أفكر لحظة فى التفاهم مع السيارات بأى لغة منطوقة. هذا ليس من باب الاستغناء والتعالى لا سمح الله، بل لأن التصاقى الشديد بأنوار السيارات أفقدنى والحمد لله القدرة على رؤية أى شىء قادم من ناحية اتجاه السيارات. لم أعد أرى إلا العفريت الصغير بطوبته العفريتة. اللهم ابعد عنا عفريت الموت ولو مؤقتا، على الأقل حتى أرى النتيجة النهائية للعبة الطوبة الممتعة. شاهدت نفسى أتحول إلى أعظم بهلوان خبير فى التاريخ، وأقوم بعملية جراحية شديدة الحساسية للتحكم فى إشارات المخ وأعضاء الجسم؛ كل نصف على حدة..

اضطررت أن أعقد معاهدة خصام أبدية بين يدى اليسرى التى تشير بكل قوتها إلى السيارات التى لا أراها أصلا لتنحرف بعيدا عنى وعن البيبى وعن الطوبة فى أى اتجاه آخر، وبين يدى اليمنى التى تطرقع بأصابعها بمنتهى الحنية والإيقاع المنضبط على الواحدة إلى البيبى، لعل وعسى يعبّرنى المنسجم الصغير ويجدنى أفضل من الطوبة وينتبه إلى وجودى، أو على الأقل يسمح لى بمشاركته اللعب فى مرحلة التصفيات، وأنا على أتم استعداد أن أخلى سبيله بعد ذلك ليذهب إلى أوليمبياد الحوارى وحده ويحصد الميداليات كلها على صدره النمنم. لا أدرى كم خطوة مجنونه قام بها مشط قدمى المرعوب من عفريت الموت.. تقريبا أصبح مشطى فى ربع الشارع.. ربع الشارع بالعرض.. مازلت اشوِّح بيدى اليسرى وأطرقع بأصابع يدى اليمنى كأعظم وأعقل مجنونة فى التاريخ.

فجأة جاء الفرج.. أخيرًا حن علىّ البيبى وبدأ يلتفت إلى طرقعة أصابعى اللى اتهرت وتولول من الألم.. أخاف أن تخوننى أصابعى المطرقعة، لكنها على أى حال مازالت مخلصة وتشارك يدى الأخرى فى التشويح لسرب السيارات المستعد لدهس البيبى والطوبة وأنا فى باكدج

واحدة مجانا.. قبل أن أصل إلى نصف طريق الهلاك تقريبا، فتح الله على البيبى بأعظم حل عبقرى فطرى فى أوراق الإنسانية الطفولية. لقد رمـــى الصغير الطوبه حبيبته ناحيتى، وبدأ يحبو بنفسه تجاهى بعــرض الشـــارع ليعرف مصدر الرقعة الحريمى التى تلاغيه.. آه واللهِ إنه يحبــو نــاحيتى بنفسه شخصيا! تحجّر مشط قدمى المثلج على الأرض، وأدركت أن البيبى لم يلتفت إلى مصدر الصوت، بقدر ما أعجبه الإيقــاع البطـــىء لطرقعـــة أصابعى التى تشبه إيقاع دقة قلب الأم. إن أصابعى تهدهده دون أن أدرى! تثلجت مكانى تضامنا مع مشط قدمى الذى يرفض أن يتقدم أكثر من ذلـــك خوفا من أصابعه المثلجة. بناء على قرار البيبى بالتقدم نحوى بكل تواضع وإعزاز اضطررت أن أوجه قنوات جنونى فى الاتجاه الآخر بشكل جزئى. فأصبحت يدى اليسرى تتسول الرحمة من غيلان السيارات لتتجـــه عكـــس منطقتى أنا والطوبة والبيبى، مع استمرار طرقعة أصـــابع يـــدى اليمنـــى بانسجام أكثر؛ يبدو أن طرقعتى أصبحت تهدهدنى أنا الأخرى..

الليل.. أضواء السيارات.. الطرقعات.. الطوبة.. البيبى.. فعـــلا جـــو شاعرى تحفة!!!!!!

بفعل ترهل عقرب الثوانى الرزل انتقل ثقل الثلج من مشط قدمى إلـــى كعب رجلى الذى يعود الآن مارشدير إلى الخلف عميانى، بدون مرآة خلفية ولا صفارة إنذار ولا كرباج ورا يا اسطى.. كل ما أعرفه أننـــى فصـــلت الرؤيا تماما عن أى شىء سوى البيبى ولعبته، وتقريبا أوشكت سيارة منهم أن تصدمنى جدًا لدرجة أن أنوارها لمست عيناى، حتى اضطررت لرفـــع يدى اليسرى التى أشوِّح بها إلى مستوى عينى أحميها من ناحيـــة، بينمـــا أواصل التشويح والتلطيش بقوة أكثر من ناحية أخرى. إننا نقترب من حدود السيارات المركونة على جنب.. نقترب من الأمان.. نقتـــرب مـــن إنهـــاء

الشـــوط الأول مـــن لعبـــة الطوبـــة. البيبـــى يضـــحك.. ويضـــحككك.. ويضحككككككك.. ومنجلى جدًا من طرقعة أصابعى، التى لم تعـــد تشـــبه شكل الأصابع على الإطلاق. لقد تحولت بفعل اللعب الإجبارى إلى أصابع كوسه رفيعة ماسخة بايرة لا تصلح للحشو بكل أسف!

لا أعرف بالتحديد كم استغرقت عملية الكوماندوز الانتحارية من وقت وتعب وحرقة أعصاب؟! لا أعرف هل وصلت صديقتى التى سافرت فجاة ووصلت فجأة وأنا لم أرها؟؟ أم أنها تأخرت ولم تصل بعد كعادتهـــا منـــذ طفولتنا؟!! الحقيقة أننى لم أعد أعرف أى شىء علـــى الإطـــلاق! طـــول عمرى أسمع عن وقف حال الزمن مجازا، لكن هذه أول مرة أمارس فيهـــا لعبة الحياة والموت معا؛ والرهان طوبة شارع!!

ركنت فرقة ثلاثى أضواء الطوبة على أى سيارة مركونة والسلام. أنـــا أنهج والطوبة تلقف والبيبى العفريت يضحك..

تبدأ الآن أحداث الشوط الثانى من تصـــفيات لعبـــة الطوبـــة المؤهلـــة لأولمبياد الحوارى مباشرة.. الشوط الثانى عبارة عـــن أســـخف فـــزورة ابتكرها عباقرة تاريخ المقالب. سؤال واحد ذهاب بلا إياب بدون إجابـــة.. من يكون هذا العفريت البيبى؟! من كل قلبى تمنيت أن يعقل البيبـــى ولـــو لحظة واحدة ويدلنى على عنوانه، ووعد منى أن أتكفل بعدها بالعثور على عنوان أهل الطوبة!! لكن يبدو أن زمن المعجزات قد احتفل بمولد البيبـــى بالفعل عندما فتح دولابه مرة واحدة لإنقاذه، ثم أغلق كل رفوفـــه وثقوبـــه وأحلامه بالضبه والمفتاح.. طبعا لن يتكلم العفريت! ليس لأنه بخيـــل، ولا لأنه مشغول بالضحك، ولا لأن الطوب أهم منـــى.. بـــل لأنـــه لا يـــتكلم أصلا!!! ثلاثة حروف بالعدد يملكها ويبدِّل فيها مثل لعبة الآراجوز وكراته الملونة التى تلف بالدور على يديه. الصغير يناغى الـــدنيا بلغتـــه السلســـة العجيبة ويقول لها.. واه.. أوه.. هاووو.. أووه.. هاووو.. واااااه إلى آخره

وهكذا إلى ما لا نهاية من هذه التنويعات التى لا يفهمها هو ودنيته التى يعيشها على مقاسه. المشكلة الأعنف أن البيبى القادم من عصر السينما الصامتة بالإكراه، اقترب منى فجأة وتعلّق فى رقبتى بيد، وباليد الأخرى مازال يقبض على الطوبة حبيبته بكل قوة؛ منتهى الإرادة الحديدية!! هل هذا يعنى حسب ذكائى الهلامى أننى لا أعرف هذا البيبى لكنه هو الذى يعرفنى.. قلبه حاسس أنه يعرفنى..

أجريت لنفسى اختبار ذاكرة فاشل جدًا كالعادة وسألتنى.. هل يا ترى قابلته فى أى شارع مضاء من قبل؟ هل كان ضمن أعضاء الشباب الضائع فى السيارة اياها التى لا أعرف مصيرها الآن فى سجل الضياع؟؟ هل تزاملنا يومًا فى الجامعة؟؟؟ هل عزمنى على النادى فى الثانوى؟؟؟؟ هل جرى وراءى يومًا فى فسحة حوش المدرسة الإعدادى؟؟؟؟؟ هل خطف منى المصاصة فى فصل الابتدائى؟؟؟؟؟؟ هل هو قادم من كهف ذكريات الكى چى تو، أم من بين غلاف مصاصة الفراولة زميلة الشقاوة فى كى چى وان.. لا أعرف أين قابلنى هذا العفريت من قبل حتى يتعلق برقبتى؟! سألته بصدق عن نفسه.. عنوانه.. أهله.. حياته.. أحواله.. إنجازاته.. طموحاته.. أحلامه.. حسناته.. ذنوبه.. خطاياه.. لو نطق أبو الهول شخصيا، سينطق هذا العفريت البيبى قبل آوانه.. إنه يضحك ويضحككك ويضحككككككككككككككككك

هو يضحك وأنا.. أنا أيضًا أضحك.. لم أجد سوى أن أضحك، فليس من المعقول أن أنقذه بعملية قيصرية تاريخية فريدة، ثم أخبطه بالطوبة عقابا له على ثقل لسانه الذى مازال فى مرحلة التليين. سألت ملابس نصفه الأسفل المكونة من قطعة واحدة، فلم أفهم إذا كانت متربه علامة على فقر عائلته المجهولة هى والطوبة، أم أنها دليل الكفاح والإخلاص فى لعبه بالطوبه منذ فجر التاريخ؟!!

يا رب.. لقد نفذ رصيدى فى الحيل والتفكير.. برجاء المساعدة.. برجاء المساعدة..........

فجأة فتح ظلام حى المعادى فمه، وظهرت منه فتاة مراهقــة تضــحك وتضحك بمزاج عالى جداااا.. تمسك بيدها النصف الأعلى مــن ملابــس العفريت الذى قدم أعلى مستوى من النذالة عندما رمــانى فجــأة وتعلّــق برقبتها وتشعلق فى سلسلتها المعدنية من مكان يعرفه هو جيدا. أخذته الفتاة بعيدا عنى.. التفت البيبى ناحيتى لحظة، ثبت عينه فى عيناى، لمحت فــى لمعان فرحته شيئا من بواقى الإخلاص النادر فى هذا الزمان وهى تودعنى بنظرة امتنان على شىء تحسه ولا تعرفه.. ثم ابتسم هو والطوبة فى وجه البنت التى توبخه بمنتهى الحنية..

<- كدة يــا حمــادة.. برضــه كــدة.. أمــك قلقانــة عليــك إنــت والطوبة!!!!!!!!!!!!!!!!!!!!!!!!!!!!!!!!>

شوربة عدس

كنت ومازلت أؤمن أن الشرق بكل بلاويه أرحم من الغرب بكثير. قلت أرحم ولم أقل أفضل.. خانة النوع عندنا فى بطاقات الرقم القومى بصورها العفاريتى لا تجزم أننا ملائكة، لكن بداخلنا أطيافا من ذيل ملابس الملائكة معلقة داخل قلوبنا نتوارثها فى متحف الزمن. أحيانا كثيرة تفرض علىّ الظروف السخيفة أن أعيش بليده فى الإنسانيات، معظم الناس لا يفهمون حساسيتى الإكسترا. بعض الخونه منهم يسيئون استخدامها كسلاح ضدى لشطر قمقم وداعتى نصفين؛ وهذا من فرط خيبتهم القوية!

موجودة الرحمة.. على الأقل عندى.. حتى لو كانت منحوتة على جدار صور قديمة ملطوعة فى ألبوم العائلة. باقى من الرحمة قطرات أستخدمها بديلا لفرافيت السكر الغالى جدا، أحلِّى بها شبرا واحدا من حياتى الماسخة ولو بينى وبين نفسى. تقاوى الرحمة عالقة على رفوف روحى. أحيانا أستعين بها فى حالة الإحراج الكامل لأتذكر صورة نفسى على وجهها البوزيتيف بدلا من غرقها فى سواد أوساخ النيجاتيف.

بربر.. همج.. بقر.. بردعاتنا محشورة بين أسناننا.. هذا هو رأى بعض الأجانب أو معظم الأجانب فينا!! مع أن لو كان أصحاب هذا الرأى يملكون تنتوفة رحمة محلية من صنع قلوبنا، كانوا بالتأكيد سيتعافون من داء جهل العنصرية المتبحر فى عقولهم البدائية!!

نسيت الطعام أمامى.. انسجمت مع مراقبة مجموعة شباب أجانب. كوكتيل جنسيات مشتركة من كل صنف ولون. أشقر على أحمر على أسود على برتقالى بدون بذر.. يتحلّقون حول منضدة واحدة فى المطعم الشيك

فى قلب القاهرة. الحقيقة أن الواد الجرسون يخدمهم بعنيه، يعانى الأمـــرين وابتسامته على الجبين وهو يهرتل بلغات يعرفها ولا يعرفها. فيضان مـــن الفهلوة على شلال من سماحته الربّانى، وفى النهاية يعافر حتى يتكلم وينفذ أوامرهم فى الطلبات والدردشة أيضًا بناء على طلبهم.

تخليت عن طعامى وأنا ابحلق فيهم بغضب.. أهل المنضدة وغير أهـــل المنضدة يزوروننا فى بلادنا ليتكبروا علينا، ويثبتوا لنـــا ولأنفســـهم أنهـــا الأفضل ليس إلا.. فهل هم مخلوقين من ملبن ونحن لـــم ينبنـــا إلا مـــرار الملبن؟! المنضدة كلها.. كل المنضدة.. أرزل من بعض، ما عدا شاب وفتاة يجلسان منعزلين عنهم وعنى وعن المطعم وعن الدنيا بما فيهـــا. يـــأكلان قليلا ويحبان كثيرا. حب صادق تفوح رائحته وتتســـاقط كحبـــات النـــدى الملطف على منضدتى، تحولها إلى قازة مربعة من نهر الجنة أعـــوم أنـــا على وجهه. أحفظها جيدا رائحة الحب.. فالحب هو حجر أساس الرحمة.

اعتزلت الطعام وأنا أراقب مجموعة صفوة الأجانب المزكومين بفلفـــل الغرور، المنفوخين على أنفسهم وعلينا وعلى المطعم وعلى خوفو وعلـــى الواد الجرسون كما البالونة الشمطاء.

وجاء وقت الحساب..

بكل أدب انحنى الواد الجرسون انحناءة تربية عالية بعدما طرقعوا لـــه بأصابع أيديهم وأرجلهم مع بعض. وقف الواد فى حاله ينتظر الحساب. لم يكن يعرف هو أن اليوم يوم الحساب. أقام أعضاء الوفد السامى حفل تسول جماعى من بعضهم بالدولار واليورو والاسترلينى والجنيه المصرى اليتيم وكله.. الكل يتسول ماعدا الحبيبين اللذين دفعا حسابهما وحـــدهما، ومنحـــا الواد الجرسون بقشيشا كريما من ورقات يورو سيصرفها ولو بعد حـــين،

وكبشة من عملات نورانية مصكوكة فى بنك الحب مرسوم عليها حورية جنية مرمرية تطيل العمر.

عاد الواد الجرسون إلى بقية جنود الاحتلال ليأخذ الحساب. مازال يقف منتظرا نتيجة حملة التسول بكل أدب. كلماته تتناقص.. يتهته.. يتلجلج.. إنه يسكت.. يصمت.. ينكتم.. يحتقن.. يتذهل.. يبتعد.. إنه.. إنه يحتضر.. إنه يموت ع الواقف!

فجأة صرخت أنا بعلو صوتى..

<– جرسوووووووووووووووووووووووووون>

انتشلته صدمة غارة صوتى من فم المصير المجهول. ساقته قدماه ناحيتى كالآلى المسحور!

<– مالك؟؟؟؟؟؟؟؟؟؟؟؟؟؟؟؟؟؟؟؟؟؟؟؟؟؟؟؟؟؟؟؟؟؟؟>

سكت الواد الجرسون وأناب عنه نظرة غزال أسير يحس أن نهايته اقتربت

<– مالك!! إنت مش سامعنى؟؟

– كفاية سمعتهم..

– قالولك إيه؟

– صمت مطبق

– قالولك إيييييه؟؟؟؟

– قالوا لبعضهم لازم ندى الغجرى دا االى يكفيه عشان يشترى فردة جزمة يمشى بيها على رجل واحدة لحد ما نرجعله فى الشتا الجاى بتمن الفردة التانية.. ولو مارجعناش تانى يقدر يعمل فردة الجزمة دى معلقة يشرب بيها الشوربة!

– يا ولاد ال...>

تحجرت دموع الإهانة فى عيون الواد الجرسون. قبل أن أفكر فى استدعاء الانتربول الذى لن يفعل شيئا بالتأكيد لأنهم حماية، هب علينا نسيم عطر حلو، عطل احتمال لحظة موت الواد الجرسون.. سحب الحبيبان مقعدين وجلسا أمامنا دون كلمة واحدة. دس الشاب نقود فاتورة منضدة الحماية فى يد الواد الجرسون، وأمسكت الفتاة يده الأخرى وطبطبت عليها بحنان أمهات العالم كله..

<– ميرسى بوكو..>

ابتعد الواد الجرسون الجريح بعدما تطوع الحبيبان بنفحة قبلة الحياة. اقتربت منهما وعلمت أنهما يعملان على سويتش اتصالات لتلقى طلبات زبائن البيتزا فى مدينة صغيرة بجنوب فرنسا.

سمعت صوتها لأول مرة وأنا أطلب واحد بيتزا.. كنت لا أعرف ماذا أريد أن أكل.. صبرت علىّ هى، تقبلت تهتهتى.. تعاطفت مع ترددى.. ساعدتنى لاختيار ما يناسب ذوقى وجيبى.. فهمتنى هى كما لم أفهم أنا نفسى من قبل. ذهبت إليها، قابلتها، أحببتها، ذبت فى عينيها. تركت وظيفتى الأكبر لأعمل معها فى نفس الوردية بمحل البيتزا لأننى لا أقدر على فراقها..

اكتشفنا مع بعضنا.. هو وأنا.. أننا متفقان فى كره كل الأكلات الحادقة لأن الحياة حلوة، متفقان فى الإيمان بالحب لأن العمر قصير، فى الفرار

من باريس مدينة المنتهى.. منتهى السرعة.. منتهى البارفانـــات.. منتهـــى الغرور.. منتهى العنصرية والهمجية.. نحن الاثنان.. هو وأنا.. من مواليد مدينة باريس وعشاق برج إيفل. أخذنا شموخه معنا فى قلبنا، وهرب كـــل واحد منا إلى مدينة الجنوب لنبحث عن عالم حقيقى ببارفان حقيقى مكتوب عليه "صنع فى القلب"..

عاد الواد الجرسون بثلاثة أطباق شوربة عدس لم يطلبها أحد، مع طبق رابع عليه فاتورتهم مدفوعة الحساب. سكت.. سكتنا.. ثم قال..

>– ميرسى بوكو<

استدار الواد سريعا واختفى.. أحلى شوربة عدس ذقناها نحن الثلاثة فى حياتنا بإجماع الآراء المصرى والفرنساوى الجنوبى. أناب دخانها الصاعد عن دموع الواد التى سالت داخله وحوشها ولملمها فى أطباقنا ليقدمها أجمل تذكار للحبيبين صاحبى رائحة الحب الفوّاحة..

عريس ترانزستور

عادى جدا.. كنت فى يوم من الأيام عائدة من العمل، مضــروبه مائــة كلمة مهينة من رئيسى الغتيت، مضروبة فى الأتوبيس ميت جزمة وجزمة تركت تشكيلة مدهشة من العلامات البارزة على ملابسى؛ وأنــا وبختــى.. كعب عالى.. بوز صندل جحاشى، بصمة إصبع مدلدلة من رجــل حافيــة كانت تتسلى خارج الشبشب من باب التهوية، ثم عــادت محمّلــة ببصــمة كريمة على ملابسى التى كانت قبل حرب الأتوبيس محترمة وبنت عيلة.

عادى جدا.. كل يوم أنزل من بيتى على هيئة بنى آدم، وأعود إليه وأنا متنكرة فى زى كلبة بنت قط!!!

اليوم.. الثلاثاء.. آخر أيام هذا الشهر الحار جدا. اســتقبلتنى والــدتى بضحكة زيادة ولمعة زيادة، وأغرقتنى تحت سطح أحضانها بحنان دوبــل. خير اللهم اجعله خير يا رب. من عادتى أن أستلف أنا من والدتى، ولــيس من عادتها أبدًا أن تستلف هى منى. فهى تملك وأنا لا أملك، أخجل أنا من رد طلبها وهى تخجل أن تطلب. والمسألة مستورة.. والحمد لله.. والرزق على الله.. جرجرتنى أمى من يد الشنطة المبرومة على كتفى، وأجلســتنى تقريبا فوق عدة التليفون دون سبب منطقى واضح. ظللت أنا جالسة منتظرة من فرط هدِّة الحيل، وظلت هى تنتظرنى صامتة من فرط السعادة. وفجــأة همست أمى فى أذنى.. "عريس". كانت لحظة من أسوأ لحظــات حيــاتى، ليسب بسبب العريس المجهول، لكن لأننى بغير موت من الهمس فى أذنى!

عادى جدا.. تراجعت وأنا جسمى يقشعر بشدة، نســيت أمــى طبعــى المهبب، واعتقدت أننى لم أسمع أو على الأقل بســتعبط.. وفجــأة انطلــق صوتها كطلقة مدفع رمضان فى عز النهار وفــى عــز أى شــهر غيــر

رمضان. "عريييييييييييييييييس".. بالتأكيد أكون سمعت صح هذه المرة، وإلا ستغتالنى هذه الست الطيبة كأول وأعظم وآخر جريمة ترتكبهـا فـى حياتها. أمى.. عصير طيابة الدنيا المُركز.

مش عادى أبدا.. فجأة انطلقت أمى فى الكلام على غير عادتها ونسيت الفرامل، وظلت تحكى لى لمدة ثلاث ساعات متواصلة وبنجاح ساحق عن عريس مجهول اتصل بها فجأة من ثلاث ساعات، وكيف أنها سـلّمت لـه أذنها بمنتهى الفرح والغرور والتواضع والدموع، ليأكلها قضمة قضمة على أقل من مهله. ثلاث ساعات وهى تحكى لى كيف أن الأفندى العـريس الفخم الضخم يشرفه جدًا أن يتقدم إلىّ رسميا بعدما تأكد من نزاهة أخلاقى، ليس طبقا للأوراق الرسمية فى محاضر البوليس، بـل نتيجـة مجهوداتـه الذكية الفردية الكولومباوية الجبارة بمنطق "اخدم نفسك بنفسـك"!.. ثلاثـة أشهر كاملة وهو متفرغ لمراقبتى فى أى وقت، فى أى يوم، فى كل وقت، وفى كل يوم. المدعوء كان يلبد تحت الباب وأنا لا أراه مثلما لا أرى كـل شىء، وطبعا مهمة المراقبة سهلة جدًا عند العريس افندى الضخم الفخـم، لأن الأفندى بسلامته محام متمرس فى المراقبة، وبالذات مراقبـة البنـات بصفته متخصص فى فحص ملفات قضايا الآداب..

حكت لى أمى قليلة الكلام جدًا سابقا مكالمة الثلاث ساعات فـى سـت ساعات، كل هذا وأنا أجلس بملابسى وحذائى وكدماتى وآهـاتى وذهـولى وصمتى ودمى ودموعى وابتساماتى.. أخيرًا ابتلعت أمى كل ريقها المتبقى فى حلقها الناشف جدًا والمبتل جدا، وفجأة فتحت فمها لتنطر فـى وجهـى كلمة رومانسية غريبة جدًا عليها، وعلى نفسى، وعلى الظـروف، وعلـى البيئة، وعلى الأتوبيس، وعلى كل شىء.. وقالت كلمتين لا ثالث لهما..

<–الواد متيّم!!!!!!!!!!!!!!!!!!!!!!!!!!!!!!!!!!!>

فضول أو.. ربما فضول دفعانى معا لأقابل هذا المتيّم الفخـــم الضـــخم عاشق التليفون. اشترطت علىّ أمى ألا أرفض نعمة العريس كعادتى قبـــل أن أراه، واشترطت أنا عليها أنه احتمال كبير أرفضه وأرفسه لكـــن بعـــد مقابلته ومعاينته على الطبيعة فى النادى المتواضع لعائلتنـــا المتواضـــعة. المهم أن المقابلة لن تتم فى البيت أبدا، ليس لأنها موضة قديمـــة وبطلـــت، لكن لأنى طهقانة من كل حاجة ومشتاقة أخرج وبتلكك للعثور على ســـبب مقنع ولو نص نص..

عادى جدًا جدا.. وصلنا بعد موعدنا بقليل.. المواصلات صعبة جـــدا. والعريس أفندى وصل بعدنا بقليل بسيارته الصغيرة المرضانه بوضـــوح. الإشارات زحمة جدا.. بناء على أوامر مشددة من والدتى تركتنـــى أخـــى بذوق إجبارى ونقل على المنضدة الملاصقة لنا تماما وكأنه يجلـــس معنـــا بالضبط. الأمر سيان.. نظرة واحدة إلى العريس وتأكدت أننى سأرفضـــه بيدى وقدمى ورأسى وحوافرى وذيلى وكل الزوائد التى أمتلكها فى خزانتى الوهمية. اعتدت أن تفسد أحلامى قبل أن تبدأ. من أول نظـــرة اتضـــح أن العريس المنتظر الفخم الضخم مجرد عريس ترانزستور بالبطاريات.. عديم الكهرباء.. قصير.. مكير.. مستدير.. كرشه كبير.. شعره غزير يطيـــر.. دلوع خالص.. عقله صغير.. يعنى بالاختصار فرفور ابن فرافير!

ثلاث ساعات متصلة وهو يحكى لى عن يقينه الأكيد أننى سأسعده هـــو وأهله كلهم، ثلاث ساعات بلا فواصل ولا توقف ولا هدنة ولا رحمـــة ولا حاجة أبدا. قطار إكسبريس أرادت هيئة السكة الحديد أن تطلقه على سبيل التجربة، لكنها مع خالص الأسف لا تعرف كيف توقفه. والنتيجة الإجبارية الوحيدة بلا اختيارات إصابتى إصابات مباشرة بعلقة صـــداع مخيـــف لـــم يخترعوا له دواء ولا مبيدا حتى الآن. إنه الآن يبلع ريقـــه الهـــارب فـــى انتظار كلمة واحدة لم أقلها. ألقيت نظرة على النيل الراكد بجـــانبى لأتـــابع

سير فلوكه تسير فى حالها بلا أصوات ولا إشارات ولا إهانات، فغضب المحامى وزمجر وأمرنى أن أنظر إليه وحده ولا أرمش، لأنه يترافع فى حبى مرافعة بليغة لن يجود بها الزمان البخيل إلا مرة واحدة الآن وعلى لسانه هو.

انتظر هو منى كلمة وحيدة مسموح أن أنطقها أثناء كلامه لم أقلها. وفجأة سألنى الفخم الضخم بكل ثقة عن موعد الفرح.. يعنى فرحنا.. قلّبت فى نتيجة حياتى واخترت هذه اللحظة فى هذا اليوم لأخبره أننى مضطرة للانصراف حالا، لأن عندى أى سبب يمنعنى من الجلوس أكثر من ذلك! نظرة واحدة إلى أخى الذى نام على نفسه من ساعتين وشددت أنا كل ما تبقى لى من هامتى التى انقصف رقبتها، ووقفت على قدم واحدة يا دوب أحميها من كارثة التنميل الكامل الذى أصاب شقيقتها الأخرى الوحيدة.

ابن اللئيمة!!! إنه راديو ترانزستور رغاى جدًا بقوة ستة حصان وعشرتاشر ألف حمار!!!!! عاد المحامى الفخم الضخم الفرفور ابن الفرافير فى مقعده إلى الوراء، فخفت أن يكرمش روب المحاماه الذى لم يرتديه فى حياته أبدا.

نظر لى المحامى العاشق المجروح فى غروره نظرة طويلة جدًا كلها كلامممم × كلاممم. نظرة اعتاد رشقها فى قلوب بنات الليل والنهار صاحبات الدوسيهات السميكة فى قضايا الآداب. نظرة بلا آخر زادتنى صداعا على صداع. وأخيرا لخص مرافعته أمام محكمة العدل الدولية المحلية المهلبيه وقال لى بمنتهى الثقة والحب والغل والظلم..

<– طظ فيكى!!!!!!!!!!!!!!!!!!!!!!!!!!!!!!!!!!!!!>

أحقر كلمة حب سمعتها فى حياتى..

عادى جداا

فتلة وإبرة

وأنا صغيرة كنت أضحك من كل قلبى على والدتى وهى تلملم حاجيات البيت كله فى الشنطة بكل سهولة، لكنها تقلب الدنيا على كل أنواع الإبر وألوان بكرات الخيط ودبابيس المشبك بكل الأشكال والأحجام والجنسيات وتملأ بها الحقيبة حتى فمها. لم تكن والدتى تملأ شنطة السفر، بل حقيبة يدها الحريمى الخاصة. وحدها كانت هذه الحقيبة تلعب دائمًا دور مخزن الغزل والنسج والإصلاح والترميم والصيانة والتنكيس فى كل زمان ومكان.. شلة أدوات الخياطة هى البطل الأسطورى الذى لا يقهر أبدًا قبل أى رحلة سفر طويلة أو قصيرة حتى لو كان منتهاها عند الجيران، لكنه بطل سوبر يهزم كل توقعاتى بالقاضية الساحقة.

كم سألت والدتى كثيرًا عن سر هذه الاستعدادات المعدنية الصناعية الزراعية، طالما أنه لا يحدث أى شىء. كم ابتسمت وهى تؤكد لى أننى لن أعرف قيمة هذه القترينة المتنقلة طالما أنه لا يحدث شىء، لكننى سأعرف الفرق عندما تلعب هذه القترينه الصناعية اللونية دور الفارس المنقذ فى وقت الزنقة..

<- وإمتى هييجى وقت الزنقة؟

- لو كنا نعرف ماكانوش سموه "وقت زنقة" وماكانوش اترعبوا منه كل الرعب دا!>

مر هذا الحوار كالخيط الرفيع الملضوم فى رأسى رغم أن بينه وبينى – تقديم من باب الأدب – خمسة وعشرون عاما.. صنع خيط الذكريات لوحة كاناڤا داخلى على ستائر قلبى أستدعيها كلما حان موعد ترتيب شنطة السفر. أنا لا أسافر كثيرًا فى الداخل، ونادرا ما أسافر إلى الخارج. لكن

جاء بختى هذه المرة للسفر المفاجىء إلى سويسرا لقضاء مهمة قصـــيرة.. من يسمع سويسرا ومهمة قصيرة وهذا الجو، يعتقد أننى أصــبحت ســيدة أعمال مثلا، أو أشغل أى حيز قيمة فى المجتمع إن شاء الله!! الحقيقــة أن المسألة كلها جاءت بالصدفة البحتة.. مراسلة مع صديقة أجنبيــة ودعــوة كريمة منها لقضاء عدة أيام عندها فى سويسرا، على أن أتحمل أنا تكاليف السفر والتأمين وخلافه. طبعا أى طلب منى أن تتحمل هــى زيــادة عــن طاقتها ستصبح فضيحة دولية مع سبق الإصرار والترصد. بعــد اللملمــة والسلف والتلف والوعود أخذت تأشيرة السفر من الشاب الحلو الواقف فى شباك السفارة. من حسن حظى أنى استلمتها فى اليوم التالى مباشــرة، لأن سويسرا وقتها كانت بكل قواها العقلية ولم تنضم إلى الاتحاد الأوروبى بعد. يعنى ڤيزا من منازلهم صدة ردة.

القاهرة.. سويسرا.. القاهرة والسلامو عليكو!

تذكرة السفر من القاهرة إلى برن على معظم شركات الطيران أسعارها مشتعلة كحرائق آبار بترول العراق التى لا تتوقف.. كعوب قــدمى ذابــت وتآكلت واتهرت واشتكت وكادت تكلم نفسها من اللف والدوران والتســول المحترم بين أسعار شركات الطيران. وفى النهاية دلنى أولاد الحلال أمثالى من المواطنين الشرفاء على شركة طيران تابعة لإحدى دول الكتلة الشرقية سابقا بصفتها أرخصهم، غض النظر عن فصولاتها الباردة إلى حد أننـــى يمكن أن أسافر واقفة بدون كرسى! لم يذكر أحد إمكانية التســطيح علـــى سقف الطائرة ولله الحمد!!

أقف.. أجلس.. أتشقلب على رأسى كالبهلوان، المهم أسافر إلى بـــرن. الساعات القليلة تمر سريعا، هكذا قال لى أولاد الحلال وأقنعونى. أنا أيضًا كنت أريد أن أقتنع. بعدما دفعت كل ما كان يدفىء حقيبتـــى مـــن أمـــوالى

الأصلية والمستعارة، أخبرتنى الآنسة الموظفة من بين أسنانها النصف مطلية بالبويا البيضاء بكل ذوق وأدب وضمير..

<– ملحوظة بسيطة.. الرحلة هتطول ست ساعات عن المعتاد لأن فيه ترانزيت فى مطار بودابست بالمجر.. مع السلامة!>

تلقيت ركلة الحياة الباردة فى فم معدتى دون أن أنطق ولا حرفا واحدا.. اعتبرتها صدمة جديدة تحدث نوعا من الطراوة المطلوبة فى هذا الحر الميمون. ما علينا.... المهم جاء يوم تجهيز شنطة السفر، تركتنى والدتى أرتب ما أرتب وانهمكت هى تحشو جيب حقيبة يدى الكبيرة المحشوة أصلا بما زاد عن الوزن بأكياس بلاستيكية شفافة لا أدرى ما بداخلها. لم أستطع سؤالها لأنها ببساطة لن ترد. واضح أنها مقتنعة جدًا بما تفعل.

اللهم إنى فوضت أمرى إليك يا رب!

مشيت فى شوارع القاهرة وصالة المطار كأننى سائحة مصرية فى بلدى، ألفع شنطة السفر بالعجل وراءى باتزان المهرج الجدد فى السيرك. أحمل حقيبة يدى على كتفى خلف ظهرى لأنها أكبر حقيبة وجدتها عندى تستوعب بعض ثمرات التفاح والكمثرى حتى لا أتشرد فى بلاد الأغراب.

طارت الطائرة وانقضى الوقت سريعا لأننى فى بداية الرحلة أنتظر مصيرا جديدا..

مرت الرحلة كما مرت وعشت أياما جميلة. ولا داعى للمقارنة بين البلاد لتجنب التعقيد واليأس ومحاولات الانتحار الفاشلة والناجحة..

حان وقت العودة. جلست فى مطار برن أنتظر الطائرة المتجهة إلى بودابست. مر الوقت بطيئا لأننى كنت ذاهبة إلى مصير قديم أعرفه من قبل.. من سوء الحظ أن الوقت زاد ثقله فوق رأسى وأنا أنتظر.. أنتظر وحدى داخل المطارساعات طويلة لأن محبس سماء برن انفتح فوق

رؤوسنا بدموع الأمطار ونحن فى عز شهر يوليو.. ثلاث ساعات ونحــن أسرى مقاعدنا فى انتظار إقلاع الطائرة الجميلة الخوافه التى تهاب الطيران تحت المياة حتى لا تبتل ملابسها المعدنية أكثر..

عيب جدًا أن أهل الغرب يعيبون علينا ويعايروننا بركوب الجمال إلــى الآن.. على الأقل الجمل كائن شجيع لا يخاف على فورمة شعر رأســه أن تفسد من خيرات السماء السائلة!

الله وحده أعلم كيف أقلعت الطائرة لكنها أقلعت والسلام.. تمرجحنا قليلا أو كثيرًا فى الطريق، لم أهتم، أو تظاهرت أننى لم أهتم.. فحتى لو زنجرت وغضبت وعندت، فماذا بيدى أن أفعله ولم أفعله؟! هل أنــزل فــى الجــو لأستقل الطائرة التالية من موقف شارع فيصل مــثلا؟ ســألت المضــيفه الشقراء الجميلة فى الطريق وسط الليل الأسود الغطيس..

<- هتعملوا إيه فى الطيارة اللى مستنيانا فى بودابست؟

- أنهى طيارة؟؟!!

- طب هتتصرفوا ازاى فى الشنط اللى هتاخد وقت طويل لحد ما تنتقل من الطيارة دى للتانية؟؟!!

- أنهى شنط؟! وهننقلها ليه والطيارة هتطير على باريس فــورا بعــد بودابست؟

- يا ست يا شقرا يا حلوة انتى ركزى معايا شوية الله لا يسيئك.. أنــا بتكلم عن خط سيرى أنا مش خط سير الطيارة. تــذكرتى بــرن - بودابست - القاهرة، هتصرف ازاى فى شنطى؟ يعنى الطيارة التانية هتستنانا وتعذرنا لأننا اتأخرنا عليها خمس ساعات بس؟؟!!>

أخيرا استوعبت المضيفة الصفراء البلونداية الجميلة المتوترة جدًا مــا أقصد، بدليل لفظ بيئه موت صدر من فمها الجميل دون أن تشعر!! لفظ لا

أستطيع أن أقوله لأننى بنت مهذبة........ وضعت المضيفة المجرية جـــدًا المُحرجة جدًا يدها على فمها تغطيه وتعاقبه بكل ذعر وغادرتنى ولـــم أر وجهها مرة ثانية أبدا.. إلى الآن..

وصلنا مطار بودابست فى الفجر. طبعا.. طبعا يعنى طائرتى الأخـــرى كانت قد أقلعت إلى القاهرة من قديم الأزل بكـــل ســـلام وأمـــان وقلبـــى معها.......... ماذا سأفعل فى بودابست؟ كيف سأنام؟؟ أين سأبيت؟؟؟ وما هذا البرد المفترس؟؟؟؟ كيف سأتصرف بدون تأشيرة والمجـــر مـــن دول الاتحاد الأوروبى المحرم علىّ دخولها؟؟؟؟؟ هل أستأجر تاكســـى بـــريش وجناحين أعود به إلى القاهرة عن طريق البر؟ مـــا مصـــير أمـــى التـــى تنتظرنى فى البيت؟؟ بالاختصار ماذا سأفعل فى هذا العالم الواسع الآن وأنا ضائعة فيه كالفتلة المقطوعة من جذورها فى خرم الإبرة؟!!

مكالمة واحدة وغطاء واحد وكرسى واحد فى صالة المطار الواســـعة الفارغة، والمفروض أن أنصرف فى الصباح مع كل المتأخرين المتخلفين أمثالى. كلمات متقطعة متأففة ألقتها المضيفة الأرضية المجرية فى الفجـــر على وجهى بكل زهق. ذكرتنى هذه المضيفة النائمة الزهقانة بنفسى وأنـــا أغنى نشيد الصباح فى المدرسة زمان بكل زهق وملل، لأننى محكوم علىّ بغناء أغنية سخيفه جدًا كل صباح.. هذا لو اعتبرناها أغنية أساسا!!

وحدى جلست فى ساحة مطار بودابست الواسعة جدًا الفارغة جدا، وقد تناثر مسافر أو اثنان شكلهما بلديات من مصر فى ركنين بعيـــدين جـــدا، يشاركاننى مصيرى المتطلع إلى القاهرة. حتى فى الغربة نجلس فى الصالة الفارغة بعيدين عن بعضنا صامتين وكأننا فى عزاء عزيز علينا!!!! سندت رأسى على حقيبة يدى الطويلة. جلست أفكر وأنا أجلس نصف جلسه تحت شيء ما أخف من الهواء يشبه الغطاء من بعيد جدًا يغطينى حتـــى منطقـــة الوسط فقط يا دوب.. التكييف المركزى المتوحش الرهيب يفتح أسنانه من

فتحت السقف، ويرحب بى من خلال مراسيل عاصفة الصقيع بكــل حــب وترحاب. خفت أن تغفل عينى ويفوتنى التصرف الذى وعدت به المضيفه المجرية الزهقانة فى عيشتها والمنتظر فى الصباح القريب، مــع أنــى لا أعرف ما هو التصرف، ولا أى صباح تقصد الست المضيفة؟

سلّيت نفسى بمراقبة عاملات النظافة اللائى تأخذ الطرقــات الواســعة ذهابا وإيابا بكل زهق مثل غناء نشيد الصباح بالإكراه.

وفجأة..

فجأة كدا............ طقــت تحــت أذنـــى فرقعــة غريبـــة لا أدرى مصدرها! ماذا لو كنت غفلت وكانت الفرقعة حلما؟! ماذا لو كانت الفرقيعة حقيقية وقد شن الأعداء هجوما على بودابست الممنوع علىّ دخولها بسبب التأشيرة المتحجرة القلب؟؟! ماذا لو...... لو ماذا؟؟؟؟ نظرت بعينى إلـــى أسفل عند أذنى كما الضفدع المريض لأجد حقيبة يدى الجلديـــة الطويلـــة السميكة تفاجئنى بأحلى مفاجأة فى هذه الليلة الليلاء ليصبح ختامها مســكا، هذا إذا كان هذا هو ختامها إن شاء الله!

فتق طويييييييييييييل جدا.. أطول من هرم خوفــو وخــوفى.. يـــا لهوى!! لقد انكشف كل ما بداخل حقيبة يدى التى لا أملــك غيرهــا الآن، فحقائب سفرى الأخرى فى الطائرة السابقة مصيرها مجهول مثل مصيرى حتى الآن... كيف سأسد هذا الفتق بيدى وأسند كل هــذه الحاجــات التـــى تتدلدق وراء بعضها البعض كانهيار الهويس المجنون؟!!

هأ.. هأ.. هأهأ.. هأ.. هأ..

رحت أضحك وحدى وسط الصالة الواســعة جــدا.. البــاردة جــدا.. محرومة من أى لحظة مشاركة إنسانية، أو حتى لحظــة ســخرية تبصــم

وتبصق على ذاكرتى التى تتخلق من جديد فى بودابســت بمنتهــى الفــن المرعب والإبداع القاتل.

رحت أصفق بيدى وقدماى كالقرد الحر الذى لا يصدق أنه حر! نزلت بأصابعى على حقيبة يدى أنقر عليها، بدلا من أن أنقر على خدودى الساقعة جدا..

آآه

طرف سن حاد جدًا قادم من جيب الحقيبة ظل يداعبنى ويشكشكنى فى إصبعى بكل استمتاع. فتحته بكل توجع ويأس وبؤس وبرد وغضب مكتوم، لأجد........ لأجد كل ما لذ وطاب من أشهى أنواع الإبر والخيوط ودبابيس الإبرة ودبابيس المشبك وأزرار ولضّامة!!

آه يا أمى.. أجزخانة الفرج جاءت من نبع الفرج فى وقت الزنقة..

ساعة بحالها وأنا أجرى أسوأ عملية جراحية صناعية مأساوية لترقيــع وتجميل ولملمة فضيحة جلد حقيبة يدى، وأكدت على عمليتى بكل الخيــوط معى حتى لا ينفتق الجرح مرة ثانية وننفضح.. بعد حوالى ساعتين ســندت رأسى إلى جيب الشنطة الملصم بكل ألوان خيوط قوس قــزح والأقــواس الأخرى.

أبتسم أنا.. أو ربما لا أبتسم.. لا أعرف.. لكنى كنت راضية ومســنودة من داخلى بدعوات وخيوط وإبر أمى وهذا يكفى..

فرافيرو المتين

قابلتهما فى السوبرچيت.. شاب وفتاة هادئان كهدوء موج نهر النيـــل، مسالمان كالعاصفة النائمة، وديعان كطوب الأرض المستسلم لمصيره على أرض الشارع لكل من تسول له نفسه ويشوطه من الغيظ. غصـــب عنـــى راقبتهما بتمعن، أعجبانى وقررت أنا الفتاة الآليطة أكثر من اللازم بطبعى، رمز الأناقة الأنثوية والذكورية فى سلة چينات واحدة، قررت أن أبدًا معهما الكلام. الحمد لله أن شعرها أطول من شعره حتى أميز بينهما! أنا لا أعانى لا سمح الله من داء عدم التمييز، لكن الورطة أن الأشقاء الآسيويين كلهـــم شبه بعض، وكأنهم عائلة نبيلة كبيرة أقسمت أن تضع كل أبنائهـــا تـــواءم امتنانا لجبروت الطبيعة.

انحرفت بزاوية ثلاثين درجة من مقعدى قليلا لأقترب من الفتاة التـــى تجلس بجانبى فى نصف الأتوبيس الآخر. لكن كيف ترانى إذا كانت تقرأ.. من أول طريق مدينة الإسماعيلية وهى تقرأ.. اقتربنا من القـــاهرة وهـــى تقرأ.. عبرنا مطبات وسننزل قريبا ولو على جذور رقبتنا وهـــى تقـــرأ.. بنفس الحماس، بنفس التركيز، بنفس الاهتمام، بنفس الضمير! قلة ذوق أن أحاول الحديث مع الشاب بجانبها أبو شعر قصير، فربمـــا تتصـــور أننـــى أعملها كوبرى لا سمح الله! هذه واللهِ نوايا سيئة لم تزر خيالى مطلقا. حتى لو كان عندى ربع نيه لذلك كيف أستخدمها كوبرى وهى تقرأ وتقرأ وتريد أن تستزيد مما تقرأ عنه.. هل من الممكن أن تتعب نفســـها فـــى معرفـــة معلومات عن البعيد عنها، ولا تكلف خاطرها بمعرفة القريب منها؟!! أكيد هى تحفظ الشاب الجالس بجانبها جيدا. لو لم تشعر بى الفتاة ستشـــعر بـــه هو.. ما هذه السخافات الآسيوية الأوروبية المصرية الموزمبيقية العالميـــة

التى أهلوسها؟!! أنا لا أريد أى كوبرى ولا أى جسر أساسا، الحقيقة أننـــى أريد أن أكلمهما معا، لأن شكلهما مع بعض يعجبنى على بعض.

كان من السهل علىّ تجاوز الفتاة التى مازالت تقرأ فى كتابها الأخيـــر الذى يفوق حجم يديها المنمنمتين عدة مرات، لأراقب صاحبها أو حبيبها أو زوجها أو.. لا أعرف.. لا يهمنى أن أعرف.. يا دى الداهية!!!! هو أيضًا يقرأ! لكنه يقرأ تفاصيل الطريق فى صمت منذ لحظة انطلاقنا. إنه يلـــوح رقبته بدرجة خمس وأربعين درجة فى اتجاه الشباك ولا يحركها.. يلـــتقط هو المنظر مرة واحدة مثل رزعة ختم النسر على الأوراق المســـكينة، ولا يعود إليه مرة ثانية مهما حدث. لا يتردد.. لا يسأل.. لا يأكل.. لا يشرب.. لا يتكلم.. إنه يتأمل ويتأمل ويتأمل..

حوسة ما بعدها حوسة.. أعطيت عقلى إجازة مفتوحة لمدة ثانية واحدة، أنا مدرسة الرياضيات الحديثة، مدمنة حساب كل شـــىء بالورقـــة والقلـــم والأرقام، المتحجرة القلب التى لا تخطىء. اللهم اجعل الفتاة تعتزل الكتاب لحظة واحدة فقط، بعدها تعود إلى عالمها كيفما تشاء. هموت واكلمها. من الذوق أن أبدًا الكلام معها هى. أشعر أن آلاطتى عادت إلى رشدها.. أحس أن بريستيچى ينقح على رقبتى ويجز عليها حتى كاد يخنقنى.. لو لم أكلمها الآن سترتد حالة طيشى إلى عشها المجنون بلا رجعة.

الحمد لله كحت وشرِقت.. البنت شرقت ورفعت عينيها من هذا الكتـــاب العجيب وأغمضتهما بقوة رغما عنها. كح.. كح.. يا دوب عدد ٢ كحه من فمها الآسيوى الصغننوت تصنيع اليابان وتقفيل الصين. رقه أصلى قادمـــة من بلادها بورق الفبر.. لم يعرف الفتى ماذا يفعـــل لأن زجاجـــة الميـــاه أمامهما أفرغت محتوياتها فى جوفهما منذ حوالى نصف ســـاعة ويزيـــد.. مددت يدى إلى الفتاة بزجاجتى بزاوية خمس عشرة درجة حتى لا تحرجنى

وتكون مصابة بداء الأنافة من الإخوة الأفارقة والأشقاء العرب كما هي العادة.. ربنا الأعلم بأسرار القلوب! من باب السماحة، أو من باب الاضطرار، مدت الفتاة يدها الصغننتة، واضطرت تأخذ منى زجاجتى غير المبرشمة، ورشفت رشفاية واحدة فقط دون أن تنطق. انتظرت هى وانتظر الفتى.. سكتت هى وسكت الفتى.. أخيرًا تعطفت علىّ وشكرتنى الشرقانة بلغة إنجليزية تهبل مُحملة بموسيقى آسيوية أصلى. أخيرًا تكلما.. أخيرًا سمعتهما.. استخدمت ثقافتى اللغوية الإنجليزية المتوسطة لأعرف منهما أن الشاب صينى والفتاة يابانية.. القاهرة على بعد عشر دقائق من الآن. كانت هذه الثوانى كافية جدًا ليحكى لى الشابان قصة حياتهما الغريبة المثيرة، وكيف أنهما تزوجا على غير رغبة عائلتهما معا. كل أسرة كانت تريدهما أن يسكنا بجوارها فى نفس البلد على الأقل.. وحتى لو تزوج كل منهما بجنسية أخرى، فلن يكون هو ولن تكون هى! فعائلة الفتاة اليابانية ثرية،. تنظر إلى الشاب الصينى الفقير بآلاطة ما بعدها آلاطة.. آنفة ما بعدها آنفة. مع ذلك قرر الحبيبان وتزوجا وحلا المشكلة بتقدير الحبيبة لظروف حبيبها الفقير، وارتضت أن تعيش معه فى بيت صغنن فى الصين، لكن فى مدينة غير التى يسكن بها أهله وقريبة من اليابان للبعد عن المشاكل لكى يتفرغا لبناء حياتهما معا.

استلف العاشقان الآسيويان من طوب الأرض لزيارة مصر، وقضاء ثلاثة أيام عسل داخل المتحف المصرى! هدية العريس الفارس الصينى الأصلى لعروسته اليابانية الجدعة، هى زيارة المتحف المصرى بالقاهرة بوصفه أحلى مكان فى الدنيا من وجهة نظرها المثقفة. جدعنة من العروسة الجديدة عزمت زوجها على رحلة ست ساعات داخل مدينة الإسماعيلية، ليشم هواء المدينة التى يعشقها سماعى. وجدعنة على جدعنتها أهداها هو كتابا قيما عن المتحف المصرى لتعيش معه وتستجم وتنسجم وتستحم بعبق

صفحاته فى أتوبيس السوبرچيت ذهابا وإيابا. ناس محترمه وأصلى أصلى.. جدعنة منى عرضت عليهما تحقيق أمنية واحدة لهما بشرط.. أن تكون حلمهما معا. سكتا.. ثم سكتا.. وأخيرا أخبرتنى الأميرة اليابانية الجدعة أنهما تمنيا بالأمس رؤية نهر النيل ومراكبه من أمام مبنى التليفزيون على كورنيش القاهرة.

منتهى التواضع حتى فى الأحلام. سألت نفسى أين المعجزة فى هذا الحلم؟!! وأجابنى الشاب أن المعجزة الحقيقية هى عبور الشارع المهول لإنجاز هذه الأمنية المستحيلة!! الشاب الصينى والفتاة اليابانية قادمان من أزحم بلاد الدنيا، لكنها بلاد فيها نظام لعبور المشاة وغير المشاة. أما نحن فلا عندنا نظام للحياة ولا للحوادث ولا لرحلة الموت إلى العالم الآخر فيما بعد مرحلة الحوادث!

وصلنا القاهرة.. نزلنا.. وقفنا.. تحنط الضيفان فى مكانهما! شاهدت على وجههما واحدا من أجمل وأبشع مشاهد الرعب التى رأيتها فى حياتى... إنه الموت المجسّم! وقفنا فى شارع ماسبيرو نريد أن نعبر الشارع لنصل إلى كورنيش النيل فى الناحية الأخرى. وقفنا طويلا ولا ذرة واحدة من إمكانية عبور هذا الشارع المتوحش المقسّم إلى حارتين أكثر توحشا ذهابا وإيابا. يعنى مصيبتين وليست واحدة!

كدت أضحك لولا.. لولا رغرغة الدموع التى رأيتها فى عيون الحبيبين.. حلمهما أمامهما ولا يستطيعان تحقيقه؟؟!! يلمسانه ولا يمسكانه، يحسانه ولا يملكانه!!!!!!!

سكت أنا.. وقفت.. قرأت.. تأملت.. انتظرت.. وقررت.. ألقيت بجدول حصص الرياضيات الحديثة على الرصيف، واستشرت قلبى واتفق مع

جنونى المختبىء داخلى، وأخذا بعضهما أنجچيه وتسللا إلى لسانى بأغرب اقتراح يخطر على بال عاقل أو مجنون. أنا نفسى لا أعرف كيف تهورت وعرضته عليهما بثقة الدنيا كلها..

<– إنتى واثقه فى حبيبك؟

– هزة رأس بالإيجاب

– إنتى بتثقى فيا؟

– رمشة عين بالإيجاب

– من فضلك غمضى عينيكى اليابانية وحطى إيدك اليمين فى إيدى الشمال، وسلِّمى إيدك الشمال لإيد حبيبك الصينى الوحيد.>

ققفشت العروسة فى يدى وكأن اليابان المجنونة تعلن الحرب على تخلف الآخرين العقلاء الذين لا ينتمون إلى اليابان. وقفشت جامد جدًا فى يد حبيبها الذى لم يفهم حتى الآن خطتى العنيفة، لكنه نفذ كلامى هو الآخر بكل ثقة. اقتربت منها قليلا وهمست فى أذنها المقطقطة..

<– إنتى دلوقتى فى حماية حبيبك الصينى المخلص. فقير نعم لكنه مخلص. استمتعى فى خيالك بصورة حلمك. حلمك قرّب. إتكلمى مع النيل عشان يسمعك لحد ما نوصل عنده ويكلمك هو بنفسه. نيلنا كريم لكنه آليط. مايبدأش بالكلام أبدا. بس دايما بيرد بكرم على كل اللى بيكلمه من قلبه.>

أغمضت الحبيبة اليابانية عينيها.. أغمضت كل أعصاب يديها المنتحرة.. أغمضت كل حسابات التكنولوچيا المتقدمة فى بلادها.. رهنت ثقتها كلها فى جراب إحساسها فقط. من حسن الحظ أن الحبيبة اليابانية أقصر من حبيبها القصير أصلا.. نظرت أنا إليه نظرة ثقة ورجاء بكل

لغات الدنيا، فتراجعت رغرغة الدموع بعينيه، وجفت أحزانه فى مهــدها. فتأكدت أنه وافق.. من قال إننى لست مرعوبة من عبورها هاتين الحارتين اللعينتين، لكنه رعب محلى مقدور عليه، وكأنه عرض مسلسل عبيط مــن منازلهم وسط الأهل والأصدقاء واللاإحراج من الخوف ومظاهره المخجلة أحيانا.. من قال إن العريس الصينى ليس خائفا على نفسه أن ينكسر، لكنه يحبها ويخاف أن يكسر قلب حبيبته اليابانية الأصلى.

أمسكت أنا أصابع الزوجة الجدعة وكأننى فرافيرو المتين بقوة حمايــة الأب وحنان قلب الأم. أشرت إلى حبيبها الصينى ليهمس فى أذنها بكــلام جميل طبقا للمنهج المحفور فى اسطوانة قلبه التى لا تُمســح ولا تتكســر. تركت إبهامى حرا لزوم إعطاء إشارات السير والتوقف. تراقــب عينــاى السيارات على يمينى بقلب مذعور، بعكس يدى المطمئنة بالإكراه لتطمــئن يد الحبيبة المثقفة. نصف خطوة فى ربع خطوة وحبيبها الصينى الخــائف على حبيبته وعلى نفسه أيضًا يشغلها ويطمئنها ويشبع أنوثتها يحكــى لهــا طوال عبور طريق الأهوال والأدغال كيف أحبها من أول نظرة منها، كيف لا يرى الحياة إلا فى نظرة منها، وكيف سيعيش يحبها حتى آخــر نظــره منها.. أنا أقود وهو يحكى، هو يحكى وأنا أقود.. واليابانية الأصيلة تمشى مغمضة العينين على ريش نعام خيالها فوق صفحة نهر النيل الذى يناديها، تلاطفه ويناغشها، تلاغيه ويحاورها، تحبه ولا يعذبها، تــدلله ولا يتمنــع. كيف يعذبها وهو متأكد أن قلبها الرقيق لا يقدر على تحمل دلاله؟؟؟

لا أعرف بدقة ما حدث لكنه حدث..

لقد وصلنا..

حمد الله على السلامة..

سحبت يدى بصعوبة من يد الفتاة، فعرفت هى أنها الآن فـــى منتهـــى الأمان، وأن مهمة الحارس الثانى قد انتهت بنجاح وحب. وضعت الجميلـــة يدها النظيفة على سور الكورنيش غير النظيف، وانسحب لسانى فى حلقى احتراما لهيبة الصمت وحلاوة اللقاء الأول. تركتها تفتح عينيها بنفســـها.. ببطء.. باستعذاب.. وكأنه صعبان على الجميلة فراق الحلم فـــى خيالهـــا، وعليها الآن اتخاذ قرار جرىء لتنهى حلما خيالا وتبدأ حلما واقعيا آخر كم اشتاقت إليه من كل قلبها الصغنن.

فتحت عينيها..

سكتت هى.. وقفـــت.. قـــرأت.. تأملـــت.. انتظـــرت.. وانتظـــرت.. وانتظرت..

لم أنظر أمامى إلى النيل الذى أعرفه بقلبى، لكننى استغرقت جدًا فـــى صورة النيل الذى لا أعرفه داخل عينيها. أول مرة أرى النيل صافيا، نائما، نظيفا، أميرا، سعيدا، عاشقا.. إنها المدينة الفاضلة التى تمناها أفلاطون كما أنزلت. مدينة فاضلة مصرية صينية يابانية عالمية إنسانية أصلى. ما هـــذه الحلاوة التى أستطعمها فى حلقى؟؟ حلاوة حلوة لم أذق طعمها فى حيـــاتى من قبل أبدا!

كريستال أبيض

شيء واحد فقط ينغص عليّ حياتي.. قسوة قلب أمي الحنون! هل يجمع الله الحلو والمُر في قطعة شيكولاتة واحدة؟!!

أمي حرِّيفة شطرنج. نقلت إليّ عدوى الهوس بالوراثة. في البداية تعاملت أنا مع دور الشطرنج كموظف حكومة يهرش رأسه على قدر ملاليم الماهية.. حركاتي تقليدية كئيبة، والعسكري عندي هو كل الدنيا. أعشق أنا الصف الأول دائما. معلوماتي أن كل الأمهات تنغلب أمام أبنائها لتسعدهم ولو ع الحركرك، لكن أمي لم تسمح لي أن أغلبها بالزور أبدا، ولم تسمح لنفسها بالفرحة على حسابي أبدا. أمي تتأنى لدرجة تعل في التفكير بالنصف ساعة ويزيد، وأنا أذهب لمشاهدة المسلسل العربي دون أي اعتراض منها. ثم يدق نفير عودتي مع نقر أظافرها على المنضدة علامة اقتراب اختمار الخطة، وفي ثلاث لعبات يا دوب أنهزم كما الباشا كالمعتاد..

كبرت قليلا وزادت سفريات والدي كثيرا.. فكرت أن أستثمر الوقت الذي تفكر فيه أمي لأفكر فيما تفكر فيه هي! صحيح أنني فشلت لكنني بدأت أفتتن بنقلات حصاني الطائرة. رائحة حنان أمي تحتضن نسمات البيت كله في يوم عيد ميلادي الخامس عشر. استجابت هي لكل طلباتي بلا مناقشة، إلا توسلي أن تنهزم من أجل خاطري أمام بطل النادي في الشطرنج لأنه أعز أصدقائي. عشر دقائق وتلقى الضحية هزيمة منكرة، هزّني حزنه وقلت لأمي بعد أيام إن قلبها يشبه لوحة الشطرنج أبيض × أسود. رمقتني أمي بنظرة محيرة دون رد. لم أغفر لنفسي قلة الأدب هذه حتى الآن!

مع عامي الخامس والعشرين أصبحت أمي تستغرق وقتا أطول لهزيمتي، ربما بسبب نضج نقلاتي، ربما بسبب احترامي المتصاعد لدويتو الفيل والطابية. كثُر غيابي عن البيت بعد تخصصي في الجراحة، وزاد

تعلق أمى برقعة الشطرنج مع أصحابها وأبناء الجيران وأحفادهم بعد وفاة والدى. توسلت إلى أمى لاستقبال الفتاة التى اخترتها شريكة لحياتى بحب، لكنها اكتفت بالسلام عليها ودمتم.

<- يا حبيبتى.. أمى إنسانة حنونة للغاية، قلبها زى .. زى الكريستال، يبان صلب لكنه أحيانا بيعكس اللون الأسود من غير ما يقصد.>

فى عامى السابع والعشرين اكتشفت أن حبيبتى ممثلة محترفة فى كل شىء، طويت رقعتها ورضيت بالهزيمة وانتهى الأمر. يومًا ما عسكرت فى البيت لملازمة أمى المريضة بنزلة شعبية حادة، وبالمرة خالتى التى جاءت تمرضها فالتقطت منها العدوى. جاءتنى استغاثة تليفونية عاجلة من صديقى لنقل زوجته حبيبته إلى المستشفى. صمت وأخفيت عينى بكفى لأفكر. سحبت أمى السماعة من يدى وأعلنت صديقى أننى سأحضر إليه حالا. كان هو نفس صديقى ضحية شطرنج أمى فى عيد ميلادى الخامس عشر.

<- يا أمى إنتى أهم!

- يا إبنى .. طول عمرك بتنهزم فى الشطرنج لأنك مش بتحط الأولويات فى مكانها الصحيح. أى ثغرة تفتحها فى جيشك لحماية العسكرى والحصان والفيل والطابية كانت فى مقابل تضحيتك بالأهم. دايما تنسى إن كل دول عايشين لحراسة الملك. يا حبيبى مريضك دلوقتى هو الملك، وصديقك هو جيشك، وأنا هتسلى مع أختى بالعطس والكَحْ ولعب دور شطرنج لحد ما ترجع!>

يومها أدركت أن أمى قلبها صحيح كريستال .. كريستال صلب قلبه أبيض من كل مربعات رقع الشطرنج فى كل هذه الدنيا المربعة!

المؤلفة في سطور

د. نهاد إبراهيم

مواليد ١/ ١/١٩٧١– القاهرة - مصر

ناقدة مسرحية وسينمائية وأدبية حرة.. شاعرة عامية.. قاصة.. مترجمة

حاصلة على ليسانس آلسن قسم اللغة الألمانية/الإيطالية - جامعة عين شمس - ١٩٩٢

حاصلة على دبلوم الدراسات العليا للنقد الفنى – تقدير امتياز – المعهد العالى للنقد الفنى – أكاديمية الفنون - ١٩٩٦

حاصلة على درجة الماجستير فى النقد الأدبى "*شخصية شهرزاد فى الأدب المصرى المعاصر*" - تقدير امتياز - المعهد العالى للنقد الفنى - أكاديمية الفنون - ٢٠٠١

حاصلة على درجة الدكتوراه فى النقد الأدبى "*أسطورة فاوست بين مارلو وجوته والحكيم وباكثير وفتحى رضوان – دراسة تحليلية مقارنة*" – مع مرتبة الشرف – المعهد العالى للنقد الفنى – أكاديمية الفنون – ٢٠٠٦

لها العديد من المقالات والدراسات النقدية المتخصصة فى الصحف والمجلات المصرية والعربية

شاركت كعضو لجنة مشاهدة واختيار الأفلام بمهرجانات القاهرة والإسكندرية والإسماعيلية السينمائية الدولية

شاركت فى ترجمة وتحرير كتالوجات مهرجانات القاهرة والإسكندرية والإسماعيلية وسينما الطفل السينمائية الدولية

شاركت فى إدارة ندوات محلية ودولية بالمهرجانات المختلفة والمجلس الأعلى للثقافة ومكتبة الإسكندرية

شاركت كعضو لجنة تحكيم النقاد بمهرجان الإسماعيلية الدولى للأفلام التسجيلية والقصيرة/ممثلة لجمعية نقاد السينما المصريين– ٢٠٠٢

مثلت مصر فى لجنة تحكيم النقاد الدولية بمهرجان لوكارنو السينمائى الدولى / ممثلة للاتحاد الدولى للنقاد/FIPRESCI – ٢٠٠٣

شاركت كعضو لجنة تحكيم بمسابقة الأفلام التسجيلية والروائية القصيرة والتحريك بالمهرجان القومى للسينما المصرية عام ٢٠١٣.

شاركت كعضو لجنة تحكيم بمسابقة الأفلام الروائية الطويلة بالمهرجان القومى للسينما المصرية عام ٢٠١٧.

عضــو فــى

* جمعية نقاد السينما المصريين "E.F.C.A " التابعة للاتحاد الدولى لنقاد السينما "FIPRESCI"

* جمعية كتاب ونقاد السينما المصريين

* اتحاد كتاب مصر

صدر لها

* "***دراما بلا حدود***" عن السيناريست المصرى عبد الحى أديب - إصدارات المهرجان القومى للسينما المصرية – ٢٠٠٠

* ديوان شعر عامية ***"كلام أغانى..؟!!"*** - دار النيل - ٢٠٠٤

* ديوان شعر عامية ***"شكلى مش زى الصورة"*** - إصدارات مركز الحضارة العربية – ٢٠٠٥

* ***"شهرزاد فى الأدب المصرى المعاصر"*** - إصدارات الهيئة العامة لقصور الثقافة – سلسلة كتابات نقدية – ٢٠٠٥

* تحرير وتقديم كتاب ***"عناكب فى المصيدة/ ثلاث روايات روسية"*** – المشروع القومى للترجمة - إصدارات المجلس الأعلى للثقافة - ٢٠٠٥

* تحرير وتقديم الرواية الروسية ***" موزاييك الحب والموت"*** – المشروع القومى للترجمة - إصدارات المجلس الأعلى للثقافة - ٢٠٠٦

* تحرير وتقديم ***"كراسة مصر/ روايتان روسيتان"*** – المشروع القومى للترجمة - إصدارات المجلس الأعلى للثقافة - ٢٠٠٦

* ***"توفيق الحكيم من المسرح إلى السينما"*** - إصدارات الهيئة العامة لقصور الثقافة – سلسلة آفاق السينما – رقم ٤٩ - ٢٠٠٦

* ديوان شعر عامية ***"إتفرج يا سلام"*** - إصدارات الهيئة المصرية العامة للكتاب – ٢٠٠٧

* ***"أسطورة فاوست بين مارلو وجوته والحكيم وباكثير وفتحى رضوان"*** – إصدارات المجلس الأعلى للثقافة – ٢٠٠٩

* ترجمة وتقديم كتاب ***"المخرجون – كلاكيت أول مرة"*** – إصدارات المركز القومى للترجمة – ١٥٩٦ – ٢٠١٠

* ديوان شعر عامية ***"فى بيتنا شجر التوت"*** – ٢٠١٢

* المجموعة القصصية ***"الكونت دى مونت شفيقه"*** – ٢٠١٢

* ديوان شعر عامية ***"كل كلام الأغانى"*** – إصدارات مركز الحضارة العربية - ٢٠١٤

* ديوان شعر عامية ***"بيقولوا عليّا حمار!!!"*** – إصدارات مركز الحضارة العربية – ٢٠١٤

* ترجمة ***"تحت مقص الرقيب"*** – إصدارات المركز القومى للترجمة – رقم ٢٠٣٨ – ٢٠١٤

* ***"قراءات نقدية فى العروض المسرحية"*** – إصدارات مركز الحضارة العربية – ٢٠١٤

* ***"سينما حول العالم"*** – إصدارات دار العلوم للنشر والتوزيع – ٢٠١٥

* ***"دراسات سينمائية متنوعة"*** – إصدارات دار العلوم للنشر والتوزيع - ٢٠١٥

* ديوان شعر عامية ***"عيشة تسد النفس"*** – إصدارات دار العلوم للنشر والتوزيع – ٢٠١٥

* "***موسوعة النقد السينمائى - تشكيل الوعى عبر القوى الناعمة"*** - ٦ أجزاء – تجليد فنى – ٣٢٢٨ صفحة – ١٠٤٦ مقال – مقاس ١٧ سم × ٢٤ سم _ إصدارات دار العلوم للنشر والتوزيع – ٢٠١٦

* ***"قراءات نقدية فى العروض المسرحية- تشكيل الوعى عبر القوى الناعمة*** "– الطبعة الثانية – تجليد فنى - إصدارات دار العلوم للنشر والتوزيع – ٢٠١٦

* ***"استلهام شخصية شهرزاد فى السينما المصرية" –*** المجلس الأعلى للثقافة – ٢٠١٧

***** ديوان شعر عامية ***"فى بيتنا شجر التوت"*** – الطبعة الثانية – إصدارات دار العلوم للنشر والتوزيع – ٢٠١٨

***** ديوان شعر عامية ***"كل كلام الأغانى"*** – الطبعة الثانية – إصدارات دار العلوم للنشر والتوزيع – ٢٠١٨

***** ديوان شعر عامية ***"شكلى مش زى الصورة"*** – الطبعة الثانية – إصدارات دار العلوم للنشر والتوزيع – ٢٠١٨

***** ديوان شعر عامية ***"بيقولوا علّيا حمار"*** – الطبعة الثانية – إصدارات دار العلوم للنشر والتوزيع – ٢٠١٨

***** سيناريو روائى ***"دو رى مى"*** – إصدارات دار العلوم للنشر والتوزيع – ٢٠١٨

جذبت معظم إصداراتها انتباه قمم الجامعات الأمريكية الراقية لتحتفظ بها فى مكتباتها مع نجاحات أخرى عربية ودولية.

تتضمن قائمة هذه الجامعات المرموقة:

هارفارد – ييل – أوهايو – برينستون – ستانفورد – كاليفورنيا، بيركلى – كاليفورنيا، لوس أنجلوس –

كولومبيا – تكساس أوستن – إنديانا – بنسلفانيا - إيوا - واشنطن – نيويورك - براون - ديوك – متشيجان فى الولايات المتحدة الأمريكية

الجامعة الأمريكية بالقاهرة - الجامعة الأمريكية فى بيروت

جامعة بامبرج بألمانيا - جامعة مارتن لوثر بألمانيا

فى بداياتها ظلت تكتب شهورا طويلة مقالات نقدية سينمائية بمجلة الكواكب المصرية بإمضاء **"الآنسة كاف"**

جوائز

* فازت المجموعة القصصية ***"الكونت دى مونت شفيقه"*** بجائزة أفضل مجموعة قصصية ٢٠١٣/٢٠١٢ ضمن جوائز اتحاد كتاب مصر

البريد الإليكترونى: nihadibrahim30@yahoo.com

الفهرس

فكرت كثيرا أن أجلس فى البيت بظهرى حتى لا أراها هدانى عقلى إلى إطفاء النور باستمرار حتى لا تحدث المواجهة الدامية، لكن اتضح أن شكلها فى النور أرحم بكثير من شكلها فى الظلام.. والمصيبة أننى أخاف من الظلام وسنينه! فى النهاية أصبحت أتلكك لافتعال أى خناقة تافهة من لا شيء، واخترعت لها انشغالى فى مأموريات عمل لا تنتهى حتى أخرج من هذا المكان الذى تحول بسببها من بيت التفاح" إلى "بيت الأشباح". كثيرا ما أشتاق إلى زوجتى.. حبيبتى.. لكنى لا أجدها

من قصة "نيولوك"

نظر لى المحامى العاشق المجروح فى غروره نظرة طويلة جدا كلها كلام × كلام.. نظرة اعتاد رشقها فى قلب بنات الليل والنهار صاحبات الدوسيهات كلام × كلام.. نظرة اعتاد رشقها السميكة فى قضايا الآداب. نظرة بلا آخر زادتنى صداعا على صداع. وأخيرا لخص محكمة العدل الدولية المحلية المهلبية وقال لى بمنتهى الثقة والحب والغل والظلم مرافعته أمام طظ فيكى !!!!!!!!!!!!!!!

أحقر كلمة حب سمعتها فى حياتى.. عادى جدا

من قصة "عريس ترانزستور"





ناقدة مسرحية وسينمائية وأديبة حرة . شاعرة .. قاصة ومترجمة حاصلة على الدكتوراة فى النقد الأدبي ، لها العديد من المقالات والدراسات النقدية المتخصصة فى الصحف والمجلات المصرية والعربية.







الكونت دى مونت شفيقة مجموعة قصصية د. نهاد إبراهيم دار العلوم للنشر والتوزيع